الحرّية الأولى والأخيرة

جودو كريشـنا مورتي

ترجمة: أسامة إسبر





الحرية الأولى والأخيرة

العنوان الأصلي للكتاب

Judo Krishnamurti

The First and Last Freedom

جودو كريشنامورتي

الحرية الأولى والأخيرة

ترجمه عن الإنكليزية: أسامة إسبر

الطبعة الأولى: 2012

بدايات للطباعة والنشر والتوزيع

سوريا ـ جبلة ، مجمّع الروضة التجاري

009631- 41- 807826

هاتف: 00963 - 11-933-515761

دمشق: ص.ب 30833

تصميم الغلاف: الفنان أحمد معلا

جودو كريشنامورتي

الحرية الأولى والأخيرة

تقديم : ألدوس هكسلي

نقله إلى العربية: أسامة إسبر



جودو كريشنامورتي

وُلد جودو كريشنامورتي Judo Krishnamurti في الهند في العام 1895، وفي سنّ الثالثة عشرة، تبنّته الجمعية الثيوصوفية*، التي اعتبرته "المعلّم العالمي" القادم الذي كانت تبشّر به. وبزغ كريشنامورتي بسرعة كمعلّم قوي، لا يساوم وغير قابل للتصنيف، ولم ترتبط أحاديثه وكتاباته بأي دين، ولم تنتم لا إلى الشرق ولا إلى الغرب، وإنما إلى العالم كلّه. رفض بقوّة الصفة الرّسولية، وفي سنة 1929 حلّ المنظمة الضخمة والمموّلة التي بُنيتْ حوله، معلناً أن الحقيقة "أرض لا طريق إليها"، ولا يمكن الوصول إليها عبر أي دين رسمي أو فلسفة أو طائفة.

رفض كريشنامورتي فيما تبقى من حياته صورة المعلّم التي حاول الآخرون أن يضفوها عليه. وواصل جذبَ جمهور كبير في أنحاء العالم. لم يدّع أية سلطة أو مرجعية، ولم يرغب بأي حواريين، وتحدث دوماً كفرد إلى فرد آخر. وفي جوهر تعاليمه هناك فكرة أن التغيّرات الجوهرية في المجتمع لا يمكن أن تحدث إلا عبر تحويل وعي الفرد. شدّد باستمرار على الحاجة إلى معرفة الذات، وفهم التأثيرات التقسيمية والمقيّدة. وقد أشار كريشنامورتي دوماً إلى الحاجة الملحّة للانفتاح، إلى تلك "الفسحة الواسعة في الدماغ التي توجد فيها طاقة غير قابلة للتصوّر". وبدا كأن تلك الفسحة هي منبع إبداعه والمفتاح لفهم تأثيره المحفّز في عدد واسع ومتنوّع من البشر.

حاضر كريشنامورتي في أنحاء العالم كافّة إلى أن وافته المنيّة في سنة 1986 في سنّ التسعين. وقد حُفظتْ أحاديثه وحواراته ويوميّاته ورسائله في أكثر من ستين كتاباً، وفي مئات من الأقراص المضغوطة.

---

* نشأت هذه الجمعية في الولايات المتحدة سنة 1875 وبُنيتْ في المقام الأول على أساس من الصوفية البوذيّة.

وفي هذا الكتاب الذي يُترجم لأوّل مرة إلى اللغة العربية يفكّك أحد أبـرز المعلمين الروحيين في القرن العشرين الرموز والروابط المزيّفـة في البحـث عـن الحقيقة النقية والحرية التامة. إن الحرية التي يتحدث عنها كريشنامورتي هي التخلص من الاهتمـام الأنـاني بالـذات. وحالـما يحقـق البـشر حـريتهم الأولى يتخلّصون من الاستحواذات المجتمعية المدمرة.

في كتـاب **الحريـة الأولى والأخـيرة** ينـاقش كريـشنامورتي موضـوعات متنوعة تشمل المعاناة، والخوف، والثرثرة والجنس، ولكنه يعـود باسـتمرار إلى مفهومه الجوهري في الحرية. وهنـا يـصبح بحـثُ كريـشنامورتي بحـثَ القارئ، مما يحدث تأثيراً هائلاً.

مقدمة

الإنسان حيوان برمائي يعيش في عالمين في آن واحد معاً: عالم المادة والحياة والوعي، المصنوع محلياً، وعالم الرموز. ذلك أننا نستخدم في تفكيرنا عدداً كبيراً من الأنظمة الرمزية اللغوية والرياضية والبصرية والموسيقية والطقسية المتنوّعة. من دون أنظمة رمزية كهذه لن نمتلك فناً، ولا علماً، ولا قانوناً ولا فلسفة، أي لن نمتلك مبادئ الحضارة: بتعبير آخر، سنكون حيوانات.

لا غنى عن الرموز إذاً. ولكنّ الرموز ـ كما يوضح تاريخ عصرنا وتاريخ العصور الأخرى كافة ـ يمكن أن تكون مهلكة. فكروا، على سبيل المثال، بميدان العلم من ناحية، وبميدان الدين والسياسة من ناحية أخرى. إن تفكيرنا عبر مجموعة واحدة من الرموز، وعملنا كاستجابة لها مكّنانا، إلى حد ما، من فهم العناصر الأولية للطبيعة والسيطرة عليها. وجعلنا تفكيرنا وعملنا عبر مجموعة واحدة من الرموز نستخدم هذه الأدوات كقوى جريمة شاملة وانتحار جماعي. في الحالة الأولى اختيرت الرموز التفسيرية جيداً، وحُلّلت بعناية وتم تكييفها تدريجياً مع الحقائق البازغة للوجود المادي. في الحالة الثانية، لم تخضع الرموز التي اختيرت على نحو سيئ أبداً لتحليل شامل ولم يتم تحويلها كي تتناغم مع الحقائق الناشئة للوجود البشري. إن ما هو أسوأ من هذا هو أن هذه الرموز المضلّلة عوملت باحترام في جميع الأمكنة على نحو لا مبرر له أحياناً، وكأنها، بطريقة غامضة ما، أكثر واقعية من الوقائع التي أشارت إليها. ولقد نُظر إلى الكلمات في سياقي الدين والسياسة، على نحو غير ملائم، على أنها لا تعبر عن الأشياء والأحداث؛ على العكس، اعتُبِرَتْ الأشياء والأحداث تمثيلات معيّنة للكلمات.

لم يُستخدم الرمز حتى الوقت الحاضر على نحو حقيقي إلا في تلك الميادين التي لا نشعر أنها مهمة جداً. فقد أصرّينا في جميع المواقف التي

تتصل بدوافعنا الأعمق على استخدام الرموز، ليس على نحو غير واقعي فحسب وإنما بعبادة عمياء، وبجنون أيضاً. كانت النتيجة هي أننا صرنا قادرين على أن نرتكب، بدم بارد، وفي فترات طويلة من الزمن، أفعالاً لا يرتكبها إلا المتوحشون للحظات قصيرة وفي ذروة غضبهم، ورغبتهم أو خوفهم. ولأن البشر يستخدمون الرموز ويعبدونها صار بوسعهم أن يصبحوا مثاليين؛ وبعد أن صاروا مثاليين، تمكنوا من تحويل جشع الحيوان إلى الإمبرياليات متكلِّفة العظمة لرودس (Rhodes) أو جي.بي.مورغان (J.P.Morgan)؛ إلى حب الحيوان للإرهاب في الستالينية أو محاكم التفتيش الإسبانية؛ وإلى ارتباط الحيوان بمنطقته في نوبات اهتياج قومية. ومما يدعو للسعادة أن البشر استطاعوا أيضاً أن يحوّلوا لطف الحيوان إلى عمل خيريّ يستمر طول الحياة لدى أشخاص مثل إليزابيث فراي (Elizabeth Fry) أو فنسنت دي بول (Vincent de Paul)؛ واستطاعوا تحويل إخلاص الحيوان لأنثاه أو صغاره إلى ذلك التعاون العقلاني والمثابر الذي برهن، حتى الوقت الحاضر، على أنه قوي بما يكفي كي ينقذ العالم من عواقب النوع الآخر الكارثي من المثالية. هل سيظل قادرا على إنقاذ العالم؟ لا تمكن الإجابة على السؤال. إن كل ما نستطيع قوله هو أن امتلاك مثاليي القومية للقنبلة النووية، جعل احتمال نجاح مثاليي التعاون وفعل الخير في إنقاذ العالم يتراجع بحدة.

لا يشكّل حتى أفضل كتاب في فن الطبخ بديلاً لأسوأ عشاء.ذلك أن الحقيقة تبدو واضحة بما يكفي. فقد ارتكب أعمق الفلاسفة، وأكثر علماء اللاهوت معرفة وذكاء، باستمرار، وعبر العصور، خطأ مماهاة بناءاتهم اللفظية المحضة مع الحقائق، أو ارتكبوا الخطأ الأكبر متخيلين أن الرموز هي نوعاً ما أكثر حقيقية مما ترمز إليه. لم تمر عبادتهم للكلمة من دون احتجاج. فقد قال القديس بطرس: " إن الروح هي التي تمنح الحياة؛ أما الحرف فيقتل".وسأل إيكهارت (Eckhart): لماذا تثرثرون عن الله؟ إن كل ما تقولونه عن الله يخلو من

الصحّة". وفي الطرف الآخر من العالم أكد أحد مؤلفي **الماهايانا سوتراس** * **Mahayana Sutras** أن " بوذا لم يكرز بالحقيقة أبداً، لأنه آمن أن المرء يجب أن يدركها في نفسه". شُعر أن كلمات كهذه تخريبية، وتجاهلها البشر المحترمون. وتواصل الغلوّ الغريب في عبادة الكلمات والرموز من دون فحص. تدهورت الأديان؛ لكن العادة القديمة في صياغة العقائد وفرض الإيمان عبر التلقين تواصلت حتى بين الملحدين.

قام علماء المنطق وعلماء دلالات الألفاظ في السنوات الأخيرة بتحليل شامل للرموز التي يفكر الناس عبرها. أصبحت اللسانيات علماً، ويمكن للمرء حتى أن يدرس موضوعاً منحه المرحوم بنجامين ورف (Benjamin Whorf) اسم ميتالسانيات. إن كل هذا جيد جداً؛ لكنه غير كاف. فالمنطق، وعلم دلالات الألفاظ، والدراسات الألسنية المتقدمة فروع فكرية محضة. وهي تحلل الطرق المتنوعة، الصحيحة وغير الصحيحة، الهادفة وغير الهادفة، التي يمكن أن تُربط بها الكلمات بالأشياء، والسيرورات والأحداث. لكنها لا تقدم دليلاً، فيما يتعلق بالمشكلة الأكثر جوهرية لعلاقة الإنسان بكليته النفسية من ناحية، وعالميه: عالم المعطيات وعالم الرموز، من ناحية أخرى.

كان أفراد من الرجال والنساء يحلون المشكلة على نحو متكرر في المناطق كافة وفترات التاريخ كلّها. وحتى حين تحدّثوا أو ألّفوا، لم يضعوا مناهج: لأنهم كانوا يعرفون أن المنهج إغراء يدفع إلى تبني الرموز بجدية كبيرة، وإلى الانتباه إلى الكلمات أكثر من الوقائع التي من المفترض أن ترمز إليها. لم يكن هدفهم أبداً تقديم شروح جاهزة ودواء عام. كان هدفهم استمالة الناس كي يشخّصوا ويعالجوا أمراضهم، لكي يذهبوا إلى المكان الذي تخضع فيه مشكلة الإنسان وحلّها إلى التجربة المباشرة.

---

* نصوص بوذية مقدّسة، إلا أن بعض مدارس البوذية تشكك في أصالتها.

في هـذا الكتـاب الـذي يتـضمن مختـارات مـن كتابـات وأحاديـث كريشنامورتي المسجلة، يجد القارئ شهادة معاصرة واضحة عن المشكلة البشرية الجوهرية، ودعوة إلى حلها بالطريقة الوحيدة التي يمكن أن تُحل بها: من أجل نفسه وبنفسه. ذلك أن الحلول الجماعية، والتي يعقّد بها كثيرون إيمانهم على نحو يائس، ليست صحيحة أبداً. "كي نفهم البؤس والفوضى الموجودين في داخلنا، وكذلك في العالم، ينبغي أن نعثر أولاً على الوضوح في داخلنا، يأتي هذا الوضوح عبر التفكير الصائب. ويجب ألا يُنظم هذا الوضوح، لأنه لا يمكن تبادله مع الآخرين. إن تفكير الجماعة المنظمة هو مجرد تكرار. فالوضوح ليس نتيجة التأكيد اللفظي، وإنما الوعي الذاتي المكثف والتفكير الصحيح. إن التفكير الصحيح ليس نتاج الذهن أو مجرد صقل له، وليس التكيف مع نموذج، مهما كان جديراً ونبيلاً. يأتي التفكير الصحيح مع معرفة الذات؛ دون معرفة الذات، لا تمتلك أساساً للفكر؛ دون معرفة للذات، ما تفكر به غير صحيح".

طور كريشنامورتي هذا الموضوع الجوهري في نصوصه المتعاقبة. "هناك أمل للبشر، ليس في المجتمع، ولا في الأنظمة، أو في الأديان، بل فيك وفيّ". إن الأديان، بوسطائها، وكتبها المقدسة، وعقائدها القطعية، وتراتبياتها وطقوسها، لا تقدم إلا حلاً مزيفاً للمشكلة الرئيسية. "حين تستشهد بنص من **البهاغافاد غيتا**♠ Bhagavad Gita أو **الكتاب المقدس** أو من كتاب صيني مقدس ما، فأنت بالتأكيد تكرر فحسب، أليس كذلك؟ وما تكرره ليس هو الحقيقة. إنه كذبة؛ ذلك أن الحقيقة لا يمكن أن تُكرر". فالكذبة يمكن أن تُوسّع، وتُقدم وتُكرر، أما الحقيقة فلا تُكرر. حين تكررون الحقيقة، تتوقف عن كونها حقيقة، بالتالي، إن الكتب المقدسة غير مهمة. إن الإنسان يصلُ، عبرَ معرفة الذات، وليس عبر الإيمان برموز

♠ نصوص هندوسية مقدّسة تُعتبر من أهم النصوص في تاريخ الأدب والفلسفة، وتشكّل جزءاً من المهابهاراتا.

شخص آخر، إلى الحقيقة الأبدية، التي يتأصل فيها وجوده. ذلك أن الإيمان بالصِحّة الكاملة والقيمة المفرطة لأية أنظمة رمزية مفترضة لا يقود إلى التحرر، وإنما إلى التاريخ، إلى مزيد من الكوارث القديمة نفسها. "إن الإيمان يفصلُ على نحو حتميّ. إذا كنت مؤمناً، أوحين تنشد الأمن في إيمانك، تصبح منفصلاً عن أولئك الذين ينشدون الأمن في شكل آخر من الإيمان. إن الأديان المنظمة قائمة على الانفصال، برغم أنها يمكن أن تكرز بالأخوة". إن الإنسان الذي نجح في حلّ مشكلة علاقاته مع عالمي المعطيات والرموز، هو إنسان لا يمتلك إيماناً. أما فيما يخص مشكلات الحياة العملية فهو يتبنّى سلسلة من الفرضيات العاملة، التي تخدم أهدافه، ولكن التي تفقد أهميتها وتصبح مثل أية أداة أو وسيلة أخرى. وفيما يتعلق بالكائنات الأخرى، وبالحقيقة التي يتربّون وينشأون عليها، فإن لدى كريشنامورتي التجارب المباشرة للحب والتبصّر. ولكي يحمي نفسه من المعتقدات لم يقرأ كريشنامورتي "أية أدبيات مقدسة، لا **البهاغافاد غيتا ولا الأبانيشادز**[*] Upanishads . أما نحن فلا نقرأ حتى الأدبيات المقدسة؛ نقرأ صحفنا الخاصة، ومجلاتنا والقصص البوليسية. وهذا يعني أننا نقارب أزمة أزمنتنا، لا بحب وتبصّر، وإنما بـ "صيغ وأنساق" - وهي صيغ وأنساق فقيرة. ولكن "رجال الإرادة الطيبة ينبغي ألا تكون لديهم صيغ"؛ ذلك أن الصيغ تقود، حتميّاً، إلى "تفكير أعمى" فحسب. إن إدمان الصيغ كوني تقريباً. وهذا حتمي لأن "نظامنا التربوي يستند إلى *ما* نفكر به، وليس إلى *كيف* نفكر". تربّينا كأعضاء مؤمنين وممارسين تابعين لمذهب ما: مسيحي أو شيوعي، إسلامي، هندوسي، بوذي، فرويدي. بالتالي "نستجيب للتحدي، الذي هو دوماً جديد، بحسب نموذج قديم؛ بالتالي لا تمتلك استجابتنا ترابطاً، جدة أو طزاجة.

[*] نصوص هندوسيّة تشكّل التعاليم الجوهرية للفيدانتا.

إذا استجبنا ككاثوليك أو شيوعيين، فنحن نستجيب ـ أليس كذلك ؟ ـ وفقاً لفكر مقولب. بالتالي لا أهمية لاستجاباتنا. ألم يسبب الهندوسي، والمسلم، والبوذي والمسيحي هذه المشكلة؟ إن الدين الجديد هو عبادة الدولة، أما الدين القديم فقد كان عبادة فكرة". إذا استجبتَ لتحدٍ ما وفقاً للتكيّف القديم، فإن رد فعلك لن يمكّنك من فهم التحدي الجديد. بالتالي "ما ينبغي أن يفعله المرء كي يواجه التحدي الجديد، هو أن يخلّص نفسه بنحو كامل من الخلفية ويواجه التحدي بجدة". بتعبير آخر، يجب ألا تُرفع الرموز إلى مرتبة العقائد القطعية، يجب ألا يُعدّ أي نظام أكثر من شيء مفيد مؤقتاً. فالإيمان بالصيغ والعمل بحسب هذه المعتقدات، لا يستطيعان أن يقودانا إلى حلول لمشاكلنا. "لا يمكن إلا عبر الفهم الخلّاق لأنفسنا أن يكون هناك عالم خلّاق، عالم سعيد، عالم لا توجد فيه أفكار". إن عالماً لا توجد فيه أفكار يمكن أن يكون عالماً سعيداً، لأنه سيكون عالماً خالياً من قوى التكييف الجبارة التي تُكره البشر على القيام بفعل غير ملائم، عالماً يخلو من العقائد القطعية المقدسة التي تبرّر أسوأ الجرائم، وتعقلن أكبر الحماقات.

إن تربيةً تعلمنا لا كيف نفكر فحسب بل بماذا نفكر هي تربية تدعو إلى طبقة حاكمة من القساوسة والأسياد. ولكن "فكرة أن يقوم شخص ما بالقيادة هي بحد ذاتها ضد المجتمع وضد الروح". تحقق القيادة بالنسبة إلى الشخص الذي يمارسها إشباع التوق إلى السلطة؛ أما بالنسبة للمقودين فهي تحقق لهم إشباع الرغبة باليقين والأمن. يقدم المعلم الروحي نوعاً من المخدّر. ولكن، يمكن أن يُسأل كريشنامورتي: "ماذا تفعل؟ ألا تفعل مثل معلمنا الروحي؟" "أكيد"، يجيب كريشنا مورتي، " أنا لا أتصرف كمعلكم الروحي، لأنه، أولاً، أنا لا أقدم لكم أي إشباع. أنا لا أقول لكم ما الذي يجب أن تفعلوه من لحظة إلى أخرى، أو من يوم لآخر، ولكنني فقط أشير إلى شيء ما؛ وبوسعكم أخذه أو تركه، وهذا يعود إليكم، وليس إليّ. لا

أطالبكم بأي شيء، لا بالعبادة، ولا بالإطراء، لا إهاناتكم ولا آلهتكم. أقول: هذه حقيقة؛ خذوها أو اتركوها. وسيتركها معظمكم، لسبب واضح وهو أنكم لا تعثرون على إشباع فيها".

ما الذي يقدمه كريشنامورتي؟ ما الذي نستطيع أخذه منه إذا رغبنا، والذي من المرجح أكثر أننا سنفضّل أن نتركه؟ لا يقدّم، كما رأينا، نسق إيمانات، كتالوجاً من العقائد القطعية، مجموعة من الأفكار والمثل الجاهزة. لا يقدّم القيادة، ولا التأمل، ولا التوجيه الروحي، ولا حتى المثال.لا الطقس، ولا الكنيسة، ولا القوانين، ولا النهوض أو أي نوع من الثرثرة الإلهامية.

ربما يقدّم الانضباط الذاتي؟ كلا؛ فالانضباط الذاتي ليس الطريقة التي تُحل بها مشكلتنا. فمن أجل العثور على المشكلة، ينبغي على الذهن أن يفتح نفسه على الواقع، يجب أن يواجه العالمين الداخلي والخارجي دون مفاهيم مسبقة أو قيود. (إن خدمة الله هي حرية تامة. والعكس هو الصحيح، إن الحرية التامة هي خدمة الله). حين نصبح منضبطين، لا يخضع الذهن لتغير جذري؛ إنها الذات القديمة، ولكنها "مقيدة، تحت السيطرة".

يدخل الانضباط الذاتي في قائمة الأشياء التي لا يقدمها كريشنا مورتي، هل يمكن إذاً أنه يقدم الصلاة؟ إن الجواب هو كلا."يمكن أن تقدم لكم الصلاة الجواب الذي تنشدونه؛ ولكن هذا الجواب يمكن أن يأتي من لاوعيكم، أو من الاحتياطي العام، مخزن جميع متطلباتكم. إنّ الجواب ليس الصوت الهادئ للرب".فكروا، بكريشنامورتي وهو يواصل كلامه: "ماذا يحدث حين تصلّون. ذلك أنه عبر التكرار المتواصل لعبارات معيّنة، وعبر التحكم بأفكاركم، يصبح الذهن هادئاً،أليس كذلك؟ على الأقل، يهدأ الذهن الواعي.تركعون كما يفعل المسيحيون، أو تجلسون كما يفعل الهندوس، وتكررون وتكررون، وعبر التكرار يصبح الذهن هادئاً. في

هذا الهدوء هناك إعلان عن شيء ما. هذا الإعلان عن شيء ما، الذي صليتم من أجله، يمكن أن يكون من اللاوعي،أو يمكن أن يكون استجابة ذكرياتكم. ولكنه، بالتأكيد، ليس صوت الحقيقة؛ ذلك أن صوت الحقيقة يجب أن يأتي إليكم؛ لا يمكن أن يرغّبكم به، لا تستطيعون الصلاة من أجله. لا يمكنكم إغراؤه للدخول في قفصكم الصغير عبر تأدية طقوس عبادة، عبر تقديم الزهور إليه، باسترضائه، بقمع أنفسكم أو منافسة الآخرين. حالما تتعلمون خدعة تهدئة الذهن، عبر تكرار الكلمات، وتلقي تلميحات في ذلك الهدوء، فإن الخطر الذي يداهمكم ـ إلا إذا كنتم متنبّهين إلى مصدر هذه التلميحات ـ هو أنكم ستُؤسرون، وعندها تصبح الصلاة بديلاً للبحث عن الحقيقة. فما تطلبونه تحصلون عليه؛ ولكنه ليس الحقيقة. إذا أردتم، وإذا توسلتم، ستتلقون، ولكنكم ستدفعون من أجله في النهاية".

نعبر من الصلاة إلى اليوغا،نكتشف أن اليوغا شيء آخر من الأشياء التي لا يقدمها كريشنامورتي. ذلك أن اليوغا تركيز، والتركيز إقصاء."تبنون جداراً من المقاومة عبر التركيز على فكر قمتم باختياره، وتحاولون صد الآخرين كلهم".ما يُدعى بشكل شائع التأمل هو فقط "صقل المقاومة، التركيز الحصري على فكرة خيارنا".ولكن ما الذي يجعلك تختار؟ "ما الذي يجعلك تقول هذا جيد، صحيح، نبيل، وكل ما تبقى ليس كذلك؟من الواضح أن الخيار قائم على المتعة، المكافأة أو الإنجاز؛ أو أنه مجرد رد فعل لتكيّف المرء أو تراثه. لماذا تختارون في النهاية؟ لماذا لا تفحصون جميع الأفكار ؟ حين تكونون مهتمين بالكثرة،لماذا تختارون واحدة؟ لماذا لا تفحصون الاهتمامات كلّها؟ بدلاً من المقاومة، لماذا لا تفحصون كل اهتمام وهو ينشأ، دون أن تأسركم فكرة واحدة، واهتمام واحد؟ في النهاية، أنت مصنوعون من اهتمامات عديدة، ولكم أقنعة كثيرة، بوعي أو دون وعي. لماذا تختارون واحداً وتنبذون الأخرى كلّها،

إذ إنكم تستنفدون طاقتكم وأنتم تصارعونها،وهكذا تنشئون المقاومة، الصراع والخلاف.بينما، إذا فكرتم بالأفكار كلّها وهي تنشأ ـ الأفكار كلّها،وليس بضع أفكار ـ عندها لن يكون هناك إقصاء. ولكن من المضني فحص الأفكار كلها. لأنه، بينما أنتم تدرسون فكرة، تنزلق أخرى داخلة. ولكن إذا كنتم واعين من دون هيمنة أو تبرير، سترون أنه، حين تقومون بفحص فكرة، فإنه لن تتطفّل فكرة أخرى. حين تشجبون، تقارنون، وتقاربون، تقوم الأفكار الأخرى بالدخول".

"لا تحكم بأن تُعفى أنت من الحُكم".إن مبدأ الإنجيل ينطبق على تعاملنا مع أنفسنا كما ينطبق على تعاملنا مع الآخرين. حيث هناك حكم، حيث هناك مقارنة وشجب، يكون انفتاح الذهن غائباً؛ لا يمكن أن تكون هناك حرية من طغيان الرموز والأنظمة، ولا نجاة من الماضي والبيئة. إن الاستبطان من أجل هدف محدد مسبقاً، وفحص الذات في إطار شفرة تقليدية ما، ومجموعة من المسلمات المقدسة لا يساعدنا ولا يمكن أن يساعدنا. هناك تلقائية حياة ترنسندنتالية، "حقيقة إبداعية"، كما يدعوها كريشنامورتي، لا تكشف عن نفسها إلا حين يكون ذهن المدرك في حالة "هدوء متيقظ"، "وعي لا إرادي".فالحكم والمقارنة يلزماننا بشكل نهائي بالثنائية. إن الوعي لا اللاإرادي فحسب يمكن أن يقودنا إلى اللاثنائية، إلى مصالحة الأضداد في فهم كلي وحب كلي. إذا أحببت، يمكن أن تفعل ما تريده. ولكن إذا بدأت بفعل ما تريد، أو بفعل ما لا تريد خاضعاً لنظام تقليدي ما، أو لأفكار ومُثُل ومحظورات، فإنك لن تحب أبداً. يجب أن تبدأ سيرورة التحرير بوعي لاخياري لما تشاءه وردود فعلك على نظام الرمز الذي يقول لك إنه ينبغي عليك، أو لا ينبغي عليك، أن تشاءه. وعبْرَ هذا الوعي اللاخياري، فيما هو يخترق الطبقات المتعاقبة للأنا ولاوعيه المرتبط به، يأتي الحب والفهم، ولكن من نظام آخر غير الذي نعرفه. فالوعي اللاخياري ـ في كل لحظة وفي جميع ظروف الحياة ـ هو التأمل الوحيد

الفعال. تقود جميع أنواع اليوغا الأخرى إما إلى التفكير الأعمى الذي يولد من الانضباط الذاتي، وإما إلى نوع ما من النشوة المستحثّة ذاتياً، إلى شكل ما من السماداهي* Samadhi المزيفة. إن التحرر الحقيقي هو "حرية داخلية للحقيقة الإبداعية". وهذا ليس هبة؛ يجب أن يُكتشف ويُجرب. ليس شيئاً تكسبونه لأنفسكم من أجل تمجيد أنفسكم. إنه حالة وجود، كالصمت، ليس فيه صيرورة، فيه كمال. إن هذا الإبداع يمكن ألا ينشد بالضرورة التعبير؛ ليس موهبة تتطلب تجلياً خارجياً. ولا يحتاج إلى أن تكون فناناً عظيماً أو يكون لك جمهور؛ إذا سعيت إلى هذه الأمور ستفقد الحقيقة الداخلية. إنه ليس هبة، وليس نتيجة موهبة؛ يجب أن يُعثر على هذا الكنز الخالد، حيث الفكر يحرر نفسه من الشهوة، والحقد والجهل، حيث يحرر الفكر نفسه من الدنيوية والتوق الشخصي كي يكون. يجب أن يُجرب عبر التفكير الصحيح والتأمل". إن وعي الذات اللاخياري سيقودنا إلى الحقيقة الإبداعية التي تكمن خلف جميع ادعاءاتنا المدمِّرة، إلى الحكمة الهادئة التي هي موجودة دوماً، برغم الجهل، برغم المعرفة التي هي مجرد جهل في شكل آخر. إن المعرفة مسألة رموز وهي، في غالب الأحيان، عائق أمام الحكمة، أمام اكتشاف الذات من لحظة لأخرى. إن ذهناً جاء إلى هدوء الوجود "سيعرف الوجود، سيعرف ما الحب. فالحب ليس شخصياً وليس موضوعياً. إن الحب هو الحب، ويجب ألا يعرفه أو يصفه الذهن كحصري أو شامل. إن الحب هو أبديته الخاصة؛ إنه الحقيقي، الأعلى، والذي لا يُقاس".

ألدوس هكسلي

* تركيز يوغيٌّ، تأمّل لعناصر الممرّ الثامن إلى التنوير.

الفصل الأول

مقدمة

من الصعب جداً أن نتواصل، حتى لو كنا نعرف بعضنا بعضاً على نحو جيد جداً. قد أستخدم كلمات يمكن أن تكون لها دلالة مختلفة بالنسبة إليك عما قصدتهُ. ذلك أن الفهم لا يأتي إلا حين نلتقي جميعاً على المستوى نفسه وفي الوقت نفسه. لا يحدث هذا إلا حين يكون هناك تعاطف حقيقي بين الناس، بين الزوج والزوجة، بين الأصدقاء الحميمين. هذه هي الصلة الحميميّة الحقيقية. يأتي الفهم الفوري حين نلتقي على المستوى نفسه في الوقت نفسه.

ليس من السهل أن نتواصل بسهولة، على نحو فعال وبطريقة محددة. أنا أستخدم كلمات بسيطة، غير تقنية، لأنني أعتقد أن نمطاً تقنياً من التعبير لن يساعدنا في حل مشكلاتنا الصعبة؛ وهكذا لن أستخدم أية مصطلحات تقنية، لا من علم النفس ولا من العلم. لم أقرأ أية كتب في علم النفس أو أية كتب دينية، لحسن الحظ. أود أن أشرح، بالكلمات البسيطة نفسها التي نستخدمها في حياتنا اليومية، دلالة أكثر عمقاً؛ ولكن هذا في غاية الصعوبة إذا كنتم لا تعرفون كيف تُصغون.

هناك فن في الإصغاء. كي يكون المرء قادراً على الإصغاء، يجب أن يتخلّى عن الآراء المسبقة، والأنشطة اليومية. حين يكون الذهن في حالة تلقّ، يمكن أن تفهموا الأمور بسهولة؛ فأنتم تصغون حين يتركز انتباهكم الحقيقي على شيء ما. ولكن، لسوء الحظ، إن معظمنا يصغون عبر حجاب من المقاومة. فنحن محجوبون بالمسبقات، سواء كانت دينية أو روحية أو نفسية أو علمية؛ أو محجوبون بحالات قلقنا اليومية، ورغباتنا، ومخاوفنا. وبعد أن تصير هذه حجاباً نصغي. بالتالي، نحن نصغي في الواقع إلى ضجيجنا، وإلى صوتنا الخاص، وليس إلى ما يُقال. من الصعب

جداً أن نرمي جانباً تدريبنا، ومسبقاتنا، وميلنا، ومقاومتنا، ونصل إلى ما وراء التعبير اللفظي كي نصغي بحيث نفهم على الفور. ستكون هذه إحدى الصعوبات التي تواجهنا.

إذا قيل أثناء الحديث أي شيء يعارض طريقتكم في التفكير وإيمانكم، أصغوا؛ لا تقاوموا. يمكن أن تكونوا على صواب، ويمكن أن أكون مخطئاً؛ إذا ما أصغينا وفكّرنا معاً فإننا سنكتشف ما هي الحقيقة. لا يمكن لأحد أن يمنحكم الحقيقة. ينبغي أن تكتشفوها؛ ولكي تكتشفوها، ينبغي أن تكون هناك حالة ذهنية فيها إدراك مباشر. تغيب الحالة الذهنية حين توجد مقاومة، وحارس، وحماية. لايأتي الفهم إلا من خلال كونك واعياً لما هو موجود. إن معرفتك لما هو موجود، للحقيقي، والفعلي، من دون تأويله، من دون شجبه أو تبريره، هي بداية الحكمة. حين نبدأ التأويل، والترجمة،بحسب حالتنا، بحسب مسبقاتنا، فإننا نفقد الحقيقة. إن الأمر يشبه عملية البحث.لكي تعرفوا حقيقة شيء ما يتطلب هذا بحثاً. لا تستطيعون ترجمة هذه الحقيقة وفقاً لأمزجتكم. وعلى نحو مشابه، إذا كان بوسعنا أن نبحث، ونلاحظ، ونصغي، نكون واعين لما هو موجود، عندها تُحل المشكلة.وهذا ما نحاول أن نفعله في جميع هذه الأحاديث.سوف أشير إلى ما هو موجود دون أن أترجمه بحسب خيالي؛ وينبغي ألا تترجموه أو تؤولوه بحسب خلفياتكم أو تدريبكم.

أليس من الممكن، إذاً، أن نعي كل شيء كما هو؟ إذا ما بدأنا من هنا يمكن أن يحصل فهمٌ. إن اعترافنا وفهمنا ووعينا لما هو كائن، ينهون الصراع. إذا عرفتُ أنني كذاب،وهذه حقيقة أعترف بها،عندئذ ينتهي الصراع. أن نعترف ونعي ما هو المرء، بداية الحكمة، بداية الفهم، الذي يحررك من الزمن. إن إدخال صفة الزمن ـ الزمن، لا بالمعنى التسلسلي، ولكن كأداة، كسيرورة نفسية، كسيرورة عقلية ـ مدمر، ويسبب الفوضى.

هكذا، نستطيع أن نفهم ما هو موجود حين نعترف به من دون شجب، من دون تبرير،ومن دون تماهٍ.أن نعرف أن المرء هو في وضع

معيّن، في حالة معيّنة، سيرورة تحرر؛ لكن رجلاً لا يعي ظرفه، وصراعه، يحاول أن يكون شيئاً آخر غير ما هو، مما يقودنا إلى العادة. هكذا، إذاً، دعونا نضع في ذهننا أننا نريد فحص ما هو موجود، لكي نرصد ونعرف بدقة ما هو حقيقي دون أن نمنحه أي رأي شخصي، ودون أن نؤوّله. ثمة حاجة إلى ذهن ذكي بشكل فائق للعادة، وإلى قلب مرن بشكل فائق للعادة، من أجل أن نعي ونتبع ما هو موجود؛ لأن ما هو موجود دائم الحركة، دائم التحول، أما إذا رُبط الذهن بمعتقد، بالمعرفة، فإنه يتوقف عن البحث، يتوقف عن إتّباع الحركة السريعة لما هو موجود. فما هو غير ثابت، يتحرك باستمرار، كما سترون إذا نظرتم إليه بتمعن شديد. للحاق به، تحتاجون إلى ذهن سريع جداً وقلب سمِح يغيبان حين يكون الذهن ثابتاً، مقيداً في معتقد، في مسبّق، في تماه؛ لا يستطيع الذهن والقلب الجافان اللحاق بسهولة وبسرعة بما هو موجود.

يعي المرء، كما أعتقد، دون كثير من النقاش والتعبير اللفظي، أن هناك فوضى فردية كما أن هناك فوضى جماعية، أن هناك فوضى وبؤساً وأسى ليس في الهند فحسب، وإنما في جميع أنحاء العالم؛ في الصين، وأميركا، وإنكلترا، وألمانيا. وهذه أمور ليست قومية، ليست موجودة هنا فحسب، إنها في أنحاء العالم كافة. ثمة معاناة قاسية فائقة للعادة، ليست فردية فحسب إنما جماعية أيضاً. بالتالي ثمة كارثة عالمية، من السخف أن نحصرها بمنطقة جغرافية، بقسم ملون على الخريطة؛ لأننا عندها لن نفهم المغزى الكامل لهذه المعاناة الشاملة للعالم والفردية كذلك. كوننا واعين لهذه الفوضى، ما هي استجابتنا اليوم؟ كيف يكون رد فعلنا؟

هناك معاناة، سياسية واجتماعية ودينية؛ إن وجودنا النفسي برمّته مشوّش، خَذَلَنا القادة السياسيون والدينيون كلّهم؛ وفقدتْ الكتب جميعها أهميتها. يمكنكم الرجوع إلى **البهاغافاد غيتا** أو **الكتاب المقدس** أو إلى آخر أطروحة في السياسة أو علم النفس، وستكتشفون أنها فقدت ذلك الرنين،

وسمة الحقيقة تلك؛ وصارت مجرد كلمات.أنتم أنفسكم، مكرّرو هذه الكلمات، مشوشون وغير متيقنين، ذلك أن تكرار الكلمات لا يقدم أي شيء. فقدت الكتب والكلمات قيمتها؛ أي إذا استشهدتهم بـ "**الكتاب المقدس**"، أو ماركس،أو **البهاغافاد غيتا**،بما أنكم أنتم الذين تستشهدون فأنتم مشوشون وغير متيقنين، إن تكراركم يصبح كذبة؛ لأن ما هو مكتوب هناك يصبح مجرد دعاية، والدعاية ليست الحقيقة. وهكذا حين تكررون، تتوقفون عن فهم حالة وجودكم .إن كل ما تفعلونه هو أنكم تخبئون تشوّشكم بكلمات السلطة. ولكن ما نحاول القيام به هو فهم هذا التشوش وأن لا نخبئه بالاستشهادات؛ بالتالي ما هي استجابتكم له؟ كيف تستجيبون لهذه الفوضى الفائقة للعادة، لهذا التشوش،للايقين الوجود هذا؟ كونوا واعين له،فيما أناقشه:اتبعوا، لا كلماتي، وإنما الفكرة الناشطة فيكم. ذلك أن معظمنا معتاد على أن يكون مشاهداً وعلى ألا يشارك في اللعبة. نقرأ الكتب ولكننا لا نؤلف الكتب أبداً. ولقد صار تقليداً لنا،عادتنا القومية والكونية،أن نكون مشاهدين،أن نشاهد مباراة كرة القدم،أن نشاهد السياسيين والخطباء .نحن خارجيون فحسب، ننظر من الخارج، لقد فقدنا الطاقة الخلاقة. بالتالي نريد أن نمتصّ ونشارك.

إذا كنتم تراقبون فحسب،إذا كنتم مجرد مشاهدين،فإنكم لن تفهموا مغزى هذا الخطاب، لأن هذا ليس محاضرة يجب أن تصغوا إليها بسبب قوة العادة. أنا لا أقدم لكم معلومات يمكنكم الحصول عليها من أية موسوعة.ما نحاول القيام به هو أن نتابع أفكار بعضنا بعضاً،أن نلاحق قدر استطاعتنا،التلميحات، استجابات مشاعرنا.وهكذا من فضلكم تبيّنوا ما هي استجابتكم لهذه القضية، لهذه المعاناة؛ وليس كلمات شخص آخر، وإنما كيف تستجيبون. ستكون استجابتكم هي اللامبالاة إذا استفدتم من المعاناة،من الفوضى،إذا استخلصتم الفائدة منها،سواء كانت اقتصادية أو اجتماعية أو سياسية أو نفسية. بالتالي لن يهمكم إذا تواصلت هذه الفوضى.من المؤكد أنه كلما كان هناك مزيد من الإزعاج

في العالم، ازدادتْ الفوضى، وازداد بحث المرء عن الأمن. ألم تلاحظوا ذلك؟ حين تسود الفوضى العالم، نفسياً وبكافة الطرق، فإنكم تغلّفون أنفسكم بنوع من الأمن، سواء كان رصيداً في مصرف أو إيديولوجيا؛ أو تلجأون إلى الصلاة، تذهبون إلى المعبد، وهذا في الواقع هربٌ مما يحدث في العالم. يولد المزيد من الطوائف، ينشأ الكثير من المذاهب في أنحاء العالم كافة. ذلك أنه كلما ازدادتْ الفوضى، أردتم قائداً، شخصاً ما يقودكم خارج هذه الفوضى، وهكذا تلجأون إلى الكتب الدينية، أو إلى أحدث المدرّسين؛ أو تتصرفون وتستجيبون بحسب نظام يبدو أنه يحل المشكلة، نظام إما يساري وإما يميني. هذا ما يحدث بالضبط.

في اللحظة التي تعون فيها الفوضى، ما هو موجود بالضبط، تحاولون الهرب منه. وتلك الطوائف التي تقدم لكم نظاماً لإنهاء المعاناة، اقتصادياً أو اجتماعياً أو دينياً هي الأسوأ؛ لأن النظام يصبح عندئذ مهماً وليس الإنسان ـ سواء أكان نظاماً دينياً، أو نظام اليسار أو اليمين. يصبح النظام هامّاً، تصبح الفلسفة، الفكرة، هامّة، وليس الإنسان؛ ومن أجل الفكرة، والإيديولوجيا، تريدون التضحية بالبشرية كلها، وهذا ما يحدث في العالم. وليس هذا تأويلي أنا فحسب؛ إذا راقبتم، ستجدون أن هذا هو ما يحدث. لقد أصبح النظام مهمّاً، بالتالي، بما أن النظام صار مهمّاً، أفقد أنا وأنت ـ نحن البشر ـ أهميتنا؛ ويتولى المسيطرون على النظام، سواء الديني أو الاجتماعي، سواء من اليمين أو اليسار، السلطة، يكتسبون القوة، وبالتالي يضحون بنا، بالفرد. هذا ما يحدث بالضبط.

ما سبب هذه الفوضى، هذا البؤس؟ كيف جاء البؤس، والمعاناة، ليس داخلياً فحسب بل خارجياً أيضاً، كيف جاء هذا الخوف من الحرب وهذا التوقع للحرب، الحرب العالمية الثالثة التي تنشب؟ ما هو سببها؟ أكيدٌ أنَّ هذا يشير إلى انهيار القيم الروحية والأخلاقية وتعظيم القيم الحسية، قيمة الأشياء المصنوعة باليد أو بالعقل. ماذا يحدث حين لا نمتلك أية قيم سوى قيمة أشياء الحواس، قيمة منتجات الذهن، اليد أو الآلة؟ كلما كانت

الأهمية التي نمنحها للقيمة الحسية للأشياء أكبر كانت الفوضى أكبر، أليس كذلك؟ مرة أخرى، هذه ليست نظريتي. لستم مضطرين للاستشهاد بالكتب كي تكتشفوا أن قيمكم، وثرواتكم، ووجودكم الاجتماعي والاقتصادي تستند إلى أشياء صنعتها اليد أو الذهن. وهكذا نعيش ونعمل ويكون وجودنا منغمساً في القيم الحسية، مما يعني أن الأشياء، أشياء العقل، أشياء اليد والآلة أصبحت مهمّة؛ وحين تصبح الأشياء مهمّة، يصبح الإيمان مهيمناً ومهمّاً، وهذا هو مايحدث في العالم، أليس كذلك؟

بالتالي إن إضفاء المزيد من الأهمية على قيم الحواس يسبب الفوضى؛ وكوننا في فوضى، نحاول أن ننجو منها عبر أشكال متنوعة، سواء أكانت دينية، اقتصادية أو اجتماعية، أو عبر الطموح، عبر القوة، عبر البحث عن الحقيقة. لكن الحقيقي قريب، لا تحتاجون إلى نشدانه؛ فالإنسان الذي ينشد الحقيقة لن يعثر عليها أبداً. ذلك أن الحقيقة هي في ما هو موجود وهنا يكمن جمالها. تبدؤون بالصراع؛ والإنسان الذي يصارع لا يستطيع الفهم. لهذا يجب أن نكون هادئين، ومراقبين، وواعين بشكل هادئ. نرى أن حياتنا، وفعلنا، هما دائماً داخل مجال الدمار، داخل مجال الأسى؛ يباغتنا التشوش والفوضى دوماً كمثل موجة. ليس هناك من فاصل في فوضى الوجود.

كل ما نفعله حالياً يبدو كأنه يقود إلى الفوضى، إلى الأسى والشقاء. انظروا: إن حياتنا هي دوماً على حدود الأسى. فعملنا، ونشاطنا الاجتماعي، وسياستنا، والاجتماعات المختلفة للأمم من أجل إيقاف الحرب، كل ذلك ينتج المزيد من الحرب. الدمار يأتي في أعقاب الحياة؛ وكل ما نفعله يقود إلى الموت. هذا ما يحدث فعلاً.

هل بوسعنا إيقاف هذا البؤس فوراً، والتحرر من موجة التشوش والأسى؟ هذا ما حققه المعلمون العظام، سواء بوذا أو المسيح؛ لقد قبلوا الإيمان، وربما حرروا أنفسهم من الفوضى والأسى. ولكنهم لم يمنعوا الأسى أبداً، لم يوقفوا الفوضى أبداً. ذلك أن الفوضى مستمرة، والأسى مستمر. إذا

انسحبتم، وأنـت تـشاهدون هـذا التـشوش الاجتمـاعي والاقتـصادي، هـذه الفوضى، إلى ما يُدعى الحياة الدينية وتخليتم عن الدنيا، يمكـن أن تـشعروا بأنكم تنـضمون إلى هـؤلاء المعلمـين الكبـار؛ ولكـن العـالم يـستمر بفوضـاه، وبؤسه ودماره، وبالمعاناة الأبدية لأغنيائه وفقرائـه. بالتـالي، إن مـشكلتنا، مشكلتكم ومشكلتي، هي إن كان بوسعنا الخروج من هذا البؤس على الفور. إذا، فيما أنتم تعيشون في العالم، رفضتم أن تكونـوا جـزءاً منـه، سـتساعدون الآخرين على الخروج من هذه الفوضى، ليس في المستقبل، ليس غداً، ولكـن الآن. هذه هي مشكلتنا، لأن المشاكل قوية جداً وقريبة جداً. ولكن أنتم وأنـا نستطيع أن ندرك الفوضى والأسـى علـى الفور، ألـيس كـذلك؟ يجـب أن ندركهما، وعندها سنكون في موقع يمكّننا من أن نوقظ الفهم نفسه للحقيقـة في آخر. بتعبير آخر، هل بوسعكم أن تكونوا أحراراً علـى الفـور؟ لأن هـذه هي الطريقة الوحيدة للخروج من هذا البـؤس. لا يمكـن أن يحـدث الإدراك إلا في الحاضر؛ ولكن إذا قلتم: " سأفعله غداً"، سـتباغتكم موجـة الفوضـى، وستصبحون عندئذ متورطين في الفوضى دائماً.

هل من الممكن الوصول إلى تلك الحالة التي فيها أنـتم أنفـسكم تـدركون الحقيقة على الفور، وبالتـالي تنهـون الفوضـى؟ أقـول وأكـرر إن هـذه هـي الطريقـة الوحيـدة الممكنـة. أقـول إنهـا يمكـن أن تُنجـز ويجـب أن تُنجـز، وليست مستندة إلى الفرضية أو الإيمان. إن شن هذه الثورة الفائقـة للعـادة - التي ليست ثورة للتخلص من الرأسماليين وتنصيب مجموعـة أخـرى - إن إحـداث هـذا التحـول الرائـع، الـذي هـو الثـورة الوحيـدة الحقيقيـة هـو المشكلة. إن ما يُدعى بالثورة عادة هو مجرد تعـديل أو اسـتمرار للحـق وفـق أفكار اليسار. فاليسار، في النهاية، هو اسـتمرار للـيمين في شـكل معـدل. إذا كان اليمين مـستنداً إلى أفكـار حـسية، فاليـسار هـو مجـرد اسـتمرار للقـيم الحسية نفسها، لكنه مختلف فقط في الدرجة أو التعبير. بالتـالي، لا يمكـن أن تحدث الثورة الحقيقية إلا حين تعي أنت، أيها الفـرد، علاقتـك مـع

الآخـر، وعلاقتـك مـع زوجتـك،ومع طفلـك،ومع رئيـسك،وجارك،في المجتمع. فالمجتمع في ذاته غير موجـود.إن المجتمـع هـو ما خلقته أنـا وأنت عبر علاقتنـا؛ إنـه الإسقاط الخـارجي لحالاتنـا النفسية الداخليـة. بالتالي إذا لم نفهم أنا وأنت أنفسنا، فإن مجرد تحويل الخـارجي، الـذي هو إسقاط للداخلي، لا يمتلك أية قيمة؛ أي لا يمكـن أن يحـدث تبـدل أو تعديل مهم للمجتمع طالما لا أفهم نفسي عبر العلاقة معك.كوني مشوشاً في علاقتي،أخلق مجتمعاً هـو نـسخة مطابقـة، تعـبير خـارجي لما أنـا. هـذه حقيقـة واضحة،نـستطيع مناقـشتها.نـستطيع أن ننـاقش إن كـان المجتمع،التعبير الخارجي، أنتجني، أو إن كنت قد أنتجته.

أليس من الواضح بالتالي أن علاقتي مع آخـر تنـتج المجتمـع وأنـه،من دون أن أحوّل نفسي جذرياً،لا يمكن أن يحدث تحول للوظيفـة الجوهريـة للمجتمع؟ حين نتطلع إلى نظام لتحويل المجتمع،فنحن نقوم فقـط بتجنـب المسألة، لأن النظام لا يستطيع أن يحوّل الإنسان؛ ذلـك أن الإنـسان دومـاً يحوّل النظام، وهذا أمر يبيّنه التاريخ.إذا لم أقم أنا،في علاقـتي معـك،بفهم نفسي،أظل سبب الفوضى والبؤس والخوف والوحشية.إن فهم نفسي لـيس مسألة وقت؛أستطيع أن أفهـم نفـسي في هـذه اللحظـة.لـو قلـت: "سـأفهم نفسي غداً"، فأنا أسبب الفوضى والبؤس، وفعلي هدميٌّ. وفي اللحظة الـتي أقول فيها إنني "يجب" أن أفهم، فإنني أُحْضِرُ عنصرَ الـزمن وبالتـالي أنـا أسير في موجة الفوضى والدمار. يحدث الفهم الآن وليس غـداً. إن غـداً هـو للذهن الكسول، والبليد، وغير المهتم. حين تهـتم بـشيء مـا، تفعلـه علـى الفور، ثمة فهم فوري، تحول فوري. إذا لم تتغير الآن، فلـن تـتغير أبـداً، لأن التغير الذي يحـدث غـداً هـو مجـرد تعـديل. إن التحـول لا يمكـن أن يحدث إلا فوراً؛ ولا يمكن أن تحدث الثورة إلا الآن، لا غداً.

حين يحدث هذا، تتحرر من جميع المشكلات، وعندئذ لا تقلق الـذات على نفسها؛ بل تتجاوز موجة الدمار.

ما الذي نبحث عنه؟

ما الذي ينشده معظمنا؟ ما الذي يريده معظمنا؟ خاصة في هذا العالم القلق، حيث الجميع يحاولون العثور على نوع من الطمأنينة، ونوع من السعادة، وعن ملاذ، ثمة ضرورة كي نعرف، أليس كذلك؟ ما الذي نحاول نشدانه، ما الذي نحاول اكتشافه؟ ربما ينشد معظمنا نوعاً ما من السعادة، نوعاً ما من الطمأنينة؛ ففي عالم مليء بالفوضى، والحروب، والتنافس، والنزاع، نريد ملجأ يمكن أن توجد فيه بعض الطمأنينة. أعتقد أن هذا ما يريده معظمنا. وهكذا نبحث، وننتقل من قائد إلى آخر، ومن منظمة دينية إلى أخرى، ومن معلم إلى آخر.

والآن، هل نحن ننشد السعادة أم ننشد إشباعاً من نوع ما نأمل أن نستمد منه السعادة؟ هناك فرق بين السعادة والإشباع. هل بوسعك أن تنشد السعادة؟ ربما تستطيع العثور على الإشباع ولكن من المؤكد أنك لا تستطيع العثور على السعادة. إن السعادة مشتقة؛ إنها منتج فرعي لشيء آخر. بالتالي، قبل أن نمنح عقولنا وأذهاننا لشيء ما يقتضي كمية كبيرة من الجدية، والانتباه، والتفكير والعناية، يجب أن نكتشف ما الذي ننشده؛ سواء كان سعادة أم إشباعاً، أليس كذلك؟ أخشى أن معظمنا ينشدون الإشباع. نريد أن نكون ممتنين، نريد أن نكتشف إحساساً بالامتلاء في نهاية بحثنا.

إذا كان المرء ينشد الطمأنينة فهو يستطيع العثور عليها بسهولة كبيرة. يمكن أن يكرّس المرء نفسه على نحو أعمى لقضية ما، لفكرة، ويأوي إليها. أكيد أن هذا لا يحلُّ المشكلة. ذلك أن الانعزال في فكرة تسجنك ليس تحرراً من الصراع. بالتالي، يجب أن نكتشف ما الذي يريده كل منا داخلياً وخارجياً، أليس

كذلك؟ إذا كنا واضحين في تلك المسألة، إذاً يجب ألا نذهب إلى أي مكان، إلى أي معلم، إلى أية كنيسة، إلى أية منظمة. بالتالي إن الصعوبة التي تواجهنا هي أن نكون واضحين في أنفسنا حيال نيتنا، أليس كذلك؟ أيمكن أن نكون واضحين؟ وهل يأتي هذا الوضوح عبر البحث، من محاولة العثور على ما يقوله الآخرون، من أرفع معلم إلى الواعظ العادي في كنيسة في زاوية الشارع؟ هل ينبغي أن تذهبوا إلى شخص ما كي تكتشفوا؟ هذا ما نفعله، أليس كذلك؟ نقرأ كتباً لا تُحصى، نحضر كثيراً من الاجتماعات ونناقش، ننضم إلى كثير من المنظمات ـ محاولين عبر ذلك أن نعثر على علاج للصراع، لحالات بؤس حياتنا. أو، إذا لم نفعل هذا، نعتقد أننا اكتشفنا؛ أي نقول إن منظمة معينة، ومعلّماً معيناً، وكتاباً معيناً يرضوننا؛ لقد اكتشفنا كل شيء نريده في ذلك؛ ونبقى في ذلك متبلّرين ومحبوسين.

لا ننشد، عبر كل تلك الفوضى، شيئاً مستمراً، شيئاً ندعوه حقيقياً، الله، الحقيقة، أو ما تشاؤون، فالاسم لا يهم، ذلك أن الكلمة ليست الشيء. بالتالي يجب ألا نعلق في الكلمات. اتركوا هذا للمحاضرين المحترفين. هناك بحث عن شيء مستمر، أليس كذلك؟ ثمة في معظمنا شيء نستطيع التمسك به، شيء يمنحنا طمأنينة، وأملاً، وحماسة مستمرة، ويقيناً دائماً، لأننا في قرارة أنفسنا نحن غير متيقّنين. لا نعرف أنفسنا. نعرف الكثير من الحقائق، ما قالته الكتب، ولكننا لا نعرف أنفسنا، لا نمتلك تجربة مباشرة.

ما الذي ندعوه بالمستمر؟ ما هو الذي ننشده، الذي نأمل أنه سيمنحنا الاستمرارية؟ ألا ننشد سعادة أبدية، وإشباعاً مستمراً، ويقيناً مستمراً؟ نريد شيئاً يستمر على نحو أبدي، شيئاً يشبعنا. سنكتشف هذا إذا جردنا أنفسنا من الكلمات والعبارات كلّها، ونظرنا إلى الأمر بدقة. هذا ما نريده. نريد متعة مستمرة، وإشباعاً مستمراً، ما ندعوه بالحقيقة، أو الله أو ما تشاؤون.

حسن جداً، نريد المتعة،ولكن هذا ما نريده في الواقع. نريد معرفة تمنحنا المتعة، التجربة التي تمنحنا المتعة، إشباعاً لن يذوي غداً. لقد جرّبنا إشباعات عديدة تلاشت كلها؛ ونأمل الآن العثور على إشباع مستمر في الحقيقة، في الله. هذا هو ما ننشده كلّنا، الأذكياء منا والأغبياء،المنظّرون والواقعيّون الذين يجهدون وراء شيء ما. هل هناك إشباع دائم؟ أهناك ما يمكن أن يستمر.

إذا كنتم تنشدون الإشباع الدائم ـ سمّوه الله،أو الحقيقة،أو ما تشاؤون، فالاسم لا يهم ـ يجب أن تفهموا الشيء الذي تنشدونه. حين تقول: " أنا أنشد السعادة الدائمة" ـ الله، أو الحقيقة، أو ما تشاء ـ ألا ينبغي أن تفهم أيضاً الشيء الذي يبحث، الباحث،الناشد؟ لأنه يمكن ألا يكون هناك شيء مثل الأمن الدائم، والسعادة الدائمة. فالحقيقة يمكن أن تكون شيئاً مختلفاً على نحو كامل؛ وأعتقد أنها مختلفة على نحو كامل عما تستطيع رؤيته أو إدراكه أو صياغته. بالتالي،قبل أن ننشد شيئاً ما مستمراً أليس من الضروري أن نفهم الناشد؟ هل الناشد مختلف عن موضوع بحثه؟ حين تقول: " أنا أنشد السعادة؟" هل المفكر مختلف عن الفكرة؟ أليسا ظاهرة مشتركة، بدلاً من سيرورتين منفصلتين؟ بالتالي، من الجوهري فهم الناشد، قبل أن تكتشف ما الذي يبحث عنه.

يجب أن نصل إلى النقطة التي نسأل فيها أنفسنا على نحو جدي وعميق، إن كانت الطمأنينة، والسعادة والحقيقة والله أو ما تشاء، يمكن أن يُمنحوا لنا من شخص آخر. هل يستطيع هذا البحث الذي لا يتوقف، هذا التوق، أن يمنحنا الإحساس الفائق للعادة بالحقيقة، الوجود الإبداعي، الذي يأتي حين نفهم حقاً أنفسنا؟ هل تأتي معرفة النفس عبر البحث، عبر إتّباع شخص آخر، عبر الانتماء إلى أية منظمة معينة، عبر قراءة الكتب، وهلمّجرّا؟ هذه هي المسألة الرئيسية،أليس كذلك؟ طالما أنني لا أفهم نفسي لا أمتلك أساساً للفكر، وكل بحثي سيكون بلا جدوى. يمكن أن أهرب إلى الأوهام، يمكن أن أهرب من الصراع والتنافس والعراك؛

يمكن أن أعبد آخر؛ يمكن أن أبحث عن خلاصي عبر شخص آخر. لكنني طالما أنا جاهل لنفسي وطالما أنني لا أعي السيرورة الكلية لنفسي، لا أمتلك أساساً للفكر، وللتعاطف، وللفعل.

لكن هذا آخر ما نريد: أن نعرف أنفسنا. أكيد أن هذا الأساس الوحيد الذي نبني عليه. ولكن قبل أن نقدر على البناء، قبل أن نقدر على التحوّل، قبل أن نستطيع الشجب أو الهدم، ينبغي أن نعرف من نحن. أما إذا خرجنا للبحث عن الأساتذة والمعلمين الروحيين، واستبدالهم، وممارسة اليوغا، والتنفس وتأدية الطقوس وإتّباع المعلمين، فإن هذا بلا فائدة. ولا معنى له، رغم أن الذين نتبعهم يمكن أن يقولوا: "ادرس نفسك"، لأن ما نحن هو العالم. إذا كنا تافهين وغيورين وجشعين فهذا ما نشيعه حولنا، هذا هو المجتمع الذي نعيش فيه.

يبدو لي أنه قبل أن ننطلق في رحلة للعثور على الحقيقة، للعثور على الله، قبل أن نستطيع الفعل، قبل أن نمتلك علاقة مع آخر، الذي هو المجتمع، من الجوهري أن نبدأ بفهم أنفسنا أولاً. أعتبر الشخص الجدي شخصاً معنياً على نحو كامل بكيفية وصولنا إلى هدف محدد، لأنه إذا لم نفهم أنا وأنت أنفسنا كيف يمكن، أن نُحدث، بفعلنا، التحوّل في المجتمع، وفي العلاقة، وفي أي شيء نفعله؟ ولا يعني هذا أن معرفة الذات متناقضة مع العلاقة أو معزولة عنها. لا يعني التأكيد على الفرد، الأنا، كتعارض مع الجماعة، ومع آخر.

إذا لم تعرف نفسك وطريقتك في التفكير ولماذا تفكر بأشياء معينة، إذا لم تعرف خلفية حالتك ولماذا تمتلك معتقدات معيّنة عن الفن والدين، عن بلادك وجارك وعن نفسك، كيف يمكن أن تفكر بأي شيء على نحو صادق؟ إذا لم تعرف خلفيتك، إذا لم تعرف جوهر فكرك ومن أين جاء فإن بحثك لا طائل منه، وعملك لا معنى له. وسواء كنت أميركياً أو هندوسياً أو من أي دين آخر فإن هذا لا معنى له أيضاً.

قبل أن نعرف ما هو الهدف النهائي للحياة، وماذا يعني - الحروب، العداوات القومية، الصراعات، الخطأ كله - يجب أن نبدأ بأنفسنا. يبدو هذا بسيطاً لكنه في غاية الصعوبة. من أجل أن تراقب نفسك، وتفهم كيف تعمل أفكارك، يجب أن تكون متيقظاً على نحو فائق للعادة، بالتالي كلما كان المرء أكثر تيقظاً حيال تعقيدات تفكيره واستجاباته ومشاعره، بدأ بامتلاك وعي أكبر ليس لنفسه فحسب بل أيضاً لآخر تربطه به علاقة. أن تعرف نفسك هي أن تدرسها في الفعل، الذي هو العلاقة. إن الصعوبة التي تواجهنا هي أننا فاقدون للصبر؛ نريد أن نتابع، نريد أن نصل إلى غاية، وهكذا لا نمتلك الوقت ولا المناسبة كي نمنح أنفسنا الفرصة لندرس ونراقب. التزمنا على التناوب بأنشطة متنوعة - لكسب معيشتنا، لتربية أبنائنا - أو تولينا مسؤوليات معينة لدى منظمات مختلفة؛ بالتالي ألزمنا أنفسنا بطرق مختلفة بحيث بالكاد نمتلك وقتاً لتأمل الذات، وللمراقبة، وللدراسة. وهكذا في الواقع تعتمد مسؤولية رد الفعل على الذات، وليس على الآخر. إن البحث في كل أنحاء العالم عن المعلمين الروحيين وأنظمتهم، وقراءة آخر الكتب عن هذا وذاك، وهلمجرّا، يبدو لي أمراً فارغاً على نحو كامل، ولا جدوى منه، إذ يمكنك التجول في كل أنحاء الأرض ولكنك ستعود إلى نفسك في النهاية. وكما لا يعي معظمنا أنفسهم بشكل كامل، من الصعب جداً البدء بأن نرى بوضوح سيرورة تفكيرنا وشعورنا وفعلنا.

كلما عرفت نفسك، كان هناك وضوح. ليس لمعرفة الذات نهاية، فهي لا تكتمل، وليس لها خاتمة. إنها نهر بلا نهاية. كلما درسها المرء، وغاص فيها، عثر على الطمأنينة. حين يكون الذهن هادئاً فحسب - عبر معرفة الذات وليس عبر الانضباط الذاتي - ففي ذلك الهدوء، في ذلك الصمت، يمكن أن تتجلى الحقيقة. ويمكن أن تكون هناك سعادة كاملة، وفعل إبداعي. يبدو لي أنه من دون هذا الفهم، ومن دون هذه التجربة، فإن

مجرد قراءة الكتب، وحضور المحاضرات، للقيام بالدعاية، أمر صبياني، نشاط لا فائدة منه؛ بينما إذا كان المرء قادراً على فهم نفسه، فهو بالتالي يحقق تلك السعادة الإبداعية، ذلك التجريب لشيء ما ليس من الذهن، ربما عندئذ يمكن أن يحدث تحول في العلاقة المباشرة حولنا ومن ثمَّ في العالم الذي نعيش فيه.

الفصل الثالث

الفرد والمجتمع

إن السؤال الذي يهمّنا جميعاً هو إن كان الفرد مجرد وسيلة للمجتمع أو غاية المجتمع؟ هل وُجدنا أنا وأنت كفردين كي تُستخدم، وتُدار، ونُربى، ويتم التحكم بنا، ونُشكّل وفق قالب معيّن من قبل المجتمع والحكومة؛ أم هل توجد الدولة والمجتمع من أجل الفرد؟ هل الفرد غاية المجتمع؛ أم هو مجرد دمية يجب أن تُعلم وتُستغل وتُذبح كأداة للحرب؟ هذه هي المشكلة التي تواجه معظمنا. هذه هي مشكلة العالم؛ سواء كان الفرد مجرد أداة للمجتمع، ألعوبة من المؤثرات يجب أن تُصاغ؛ أو كان المجتمع يوجد من أجل الفرد.

كيف ستكتشف هذا؟ إنها مشكلة جدية، أليس كذلك؟ إذا كان الفرد مجرد وسيلة للمجتمع، فالمجتمع إذاً هو أكثر أهمية من الفرد. وإذا كان هذا صحيحاً، فعندئذ يجب أن نتخلى عن الفردية ونعمل من أجل المجتمع؛ ويجب أن يُثوَّر نظامنا التربوي ككل ويُحوِّل الفرد إلى وسيلة كي تُدمَّر وتُقتل، ويتم التخلّص منها. ولكن إذا كان المجتمع يوجد من أجل الفرد، فإن وظيفة المجتمع عندئذ ليست جعله ينسجم مع أي نموذج وإنما منحه الشعور، وحافز الحرية. بالتالي، علينا أن نكتشف ما هو مزيف.

كيف ستتحقق من هذه المشكلة؟ إنها مسألة حيوية، أليس كذلك؟ إنها لا تعتمد على أية إيديولوجيا، يمينيّة أو يساريّة؛ إذا كانت معتمدة على إيديولوجيا، فإنها تصبح عندئذ مسألة رأي. ذلك أن الأفكار تولّد العداء، والفوضى والصراع دوماً. إذا اعتمدت على كتب اليسار أو اليمين أو على الكتب المقدسة فأنت إذاً تعتمد على مجرد رأي، سواء أكان رأي بوذا أو المسيح أو الرأسمالية أو الشيوعية أو ما تشاء. إن أي رأي عن الحقيقة

يمكن أن يُنكر. إذا استطعنا أن نكتشف ما هي حقيقة المسألة، سنتمكّن من التصرف على نحو مستقل عن الرأي. أليس بالتالي من الضروري نبذ ما قاله الآخرون؟ إن رأي اليساري أو قادة آخرين هو محصلة شرطهم، بالتالي، إذا اعتمدت من أجل اكتشافك على ما يُعثر عليه في الكتب، فأنت مقيد بالرأي فحسب، وبعيد عن المعرفة.

كيف يكتشف المرء حقيقة هذا؟ سنوضح الأمر: لاكتشاف حقيقة هذه المسألة، يجب أن تكون هناك حرية من الدعاية كلها، مما يعني قدرتك على النظر إلى المشكلة بنحو مستقل عن الرأي. إن مهمة التربية ككل هي إيقاظ الفرد. كي تفهم حقيقة ذلك، يجب أن تكون واضحاً جداً، وهذا يعني أنك لا تستطيع الاعتماد على قائد. حين تختار قائداً تفعل ذلك بسبب التشوش، بالتالي إن قادتك هم مشوشون كذلك، وهذا ما يجري في العالم. بالتالي لا تستطيع أن تتطلّع إلى قائدك من أجل التوجيه أو المساعدة.

إن ذهناً يرغب بفهم المشكلة يجب ألا يفهم المشكلة على نحو كامل فحسب، وإنما يجب أن يكون قادراً أيضاً على ملاحقتها بسرعة، وذلك لأن المشكلة ليست ثابتة أبداً. إن المشكلة جديدة دوماً، سواء كانت مشكلة مجاعة، أم مشكلة نفسية، أو أية مشكلة أخرى. إن أي مشكلة هي دوماً جديدة؛ بالتالي، كي نفهمها، يجب أن يكون الذهن جديداً دوماً، وسريعاً في ملاحقتها. أعتقد أن معظمنا يدركون ضرورة ثورة داخلية، والتي تستطيع وحدها أن تحدثَ التحول الجذري في العالم الخارجي، أي في المجتمع. هذه هي المشكلة التي تشغلني أنا ومعظم الجديين. إن المشكلة التي تواجهنا هي كيف نُحدث تحوّلاً جوهرياً وجذرياً في المجتمع؛ إن هذا التحويل للعالم الخارجي لا يمكن أن يحدث من دون ثورة داخلية. وبما أن المجتمع ثابت دوماً، فإن أي فعل وأي إصلاح يُكمل من دون هذه الثورة الداخلية يصبح ثابتاً على نحو مساو؛ بالتالي ليس هناك أمل دون هذه الثورة الداخلية المستمرة، لأنه بدونها يصبح الفعل الخارجي

تكرارياً، وعادياً. إن فعل العلاقة بينك وبين آخر، بينك وبيني، هو المجتمع؛ إن هذا المجتمع يصبح ثابتاً، لا يمتلك صفة منح حياة، طالما أنه لا تحدث الثورة الداخلية المستمرة، والتحول النفسي، والإبداعي؛ ولأنه لا تحدث تلك الثورة الداخلية المتواصلة يصبح المجتمع دوماً ثابتاً، متبلراً، ويجب بالتالي أن يُهدم دوماً.

ما العلاقة بينك وبين البؤس، والفوضى، فيك وحولك؟ أكيد أن هذه الفوضى، هذا البؤس، لم يأتيا إلى الوجود تلقائياً. أنا وأنت خلقناهما، لا مجتمع رأسمالي أو شيوعي أو فاشي، وإنما أنا وأنت خلقناهما في علاقتنا مع بعضنا بعضاً. ما أنت في الداخل قد أُسقط إلى الخارج، على العالم؛ فما أنت، ما تفكر به وتشعر به، ما تفعله في وجودك اليومي، يُسقط إلى الخارج، وهذا يشكّل العالم. إذا كنا بائسين، ومشوشين وفوضويين من الداخل، هكذا يصبح العالم، هكذا يصبح المجتمع عبر الإسقاط، لأن العلاقة بينك وبيني، بيني وبين آخر هو المجتمع - المجتمع هو نتاج علاقتنا - وإذا كانت علاقتنا مشوشة، وأنانية، وضيقة، ومحدودة، وقومية، نُسْقط ذلك ونولّد الفوضى في العالم.

ما أنتَ، هو العالم. بالتالي مشكلتك هي مشكلة العالم. أكيدٌ أنّ هذه حقيقة بسيطة وأساسية، أليس كذلك؟ في علاقتنا مع الواحد أو الكثيرين نبدو نوعاً ما كأننا نغفل هذه النقطة طول الوقت. نريد أن نحدث تغييراً في نظام أو ثورة في الأفكار أو القيم المستندة إلى نظام، ناسين أنه أنت وأنا من ينشئ المجتمع، من يسبب الفوضى أو النظام عبر طريقتنا في الحياة. وهكذا يجب أن نبدأ مما هو قريب، أي يجب أن نهتم بوجودنا اليومي، بأفكارنا ومشاعرنا وأفعالنا اليومية، التي تتجلّى في طريقة كسبنا لعيشنا وفي علاقتنا مع الأفكار والمعتقدات. هذا هو وجودنا اليومي، أليس كذلك؟ نحن مهتمون برزقنا، بالحصول على وظائف، بكسب المال؛ نحن مهتمون بالعلاقة مع أسرتنا ومع جيراننا، ونحن مهتمون بالأفكار والمعتقدات. الآن، إذا فحصت عملنا، سترى أنه يستند جوهرياً إلى الحسد، ليس

مجرد وسيلة لكسب الرزق. إن المجتمع مبني بطريقة تجعله سيرورة من الصراع المتواصل، والصيرورة المتواصلة؛ وهو يستند إلى الجشع، والحسد، حسد المتفوق عليك؛ حسد الموظف الذي يريد أن يصبح المدير، مما يظهر أنه ليس مهتماً فحسب بكسب الرزق، وسيلة العيش، وإنما بالحصول على المنصب والمكانة. إن هذا الموقف يخلق بشكل طبيعي فوضى في المجتمع، في العلاقة، ولكن إذا كنت أنا وأنت مهتمين بالرزق فقط سنجد الوسائل الصحيحة لكسبه، وسائل غير مستندة إلى الحسد. إن الحسد هو أحد العوامل الأكثر تهديداً في العلاقة لأن الحسد يشير إلى الرغبة بالقوة، بالمنصب، ويقود في النهاية إلى السياسة؛ وكلاهما وثيق الصلة. فالموظف، حين يسعى كي يصبح مديراً، يصبح عاملاً في خلق سياسة القوة التي تنتج الحرب؛ بالتالي هو مسؤول بنحو مباشر عن الحرب.

إلى ماذا تستند علاقتنا؟ إلى ماذا تستند العلاقة بينك وبيني، بينك وبين آخر - الذي هو المجتمع - ؟ أكيدٌ ليس على الحب، رغم أننا نتحدث عنه. ليست مستندة إلى الحب لأنه إن كان هناك حب سيكون هناك نظام، وسلام، وسعادة بينك وبيني. ولكن في تلك العلاقة بينك وبيني هناك كمية كبيرة من الضغينة التي تتخذ شكل الاحترام. لو كنّا كلانا متساويين في الفكر، والشعور، لن يكون هناك احترام، لن تكون هناك ضغينة، لأننا سنكون فردين يلتقيان، ليس كحواريٍ ومعلم، وليس كزوج يسيطرُ على زوجته، وليس كزوجة تسيطرُ على زوجها. حين يكون هناك ضغينة تكون هناك رغبة بالسيطرة تثير الحسد، والغضب، والهوى، وكلها تخلق في علاقتنا صراعاً متواصلاً نحاول أن نهرب منه، وينتج هذا المزيد من الفوضى والبؤس.

فيما يتعلق بالأفكار، التي هي جزء من وجودنا اليومي، ألا تشوّه الصيغ والمعتقدات أذهاننا؟ ما هو الغباء؟ إن الغباء هو إضفاء قيم خاطئة على تلك الأشياء التي يبدعها العقل، أو على تلك الأشياء التي تنتجها الأيدي. إن معظم أفكارنا تنشأ من غريزة حماية الذات، أليس كذلك؟ إن

أفكارنا،آه، كثير منها، ألا تُضفي عليها أهمية مزيّفة، ليست فيها؟ بالتالي حين نؤمن بأية صيغة،سواء كانت دينية، اقتصادية أو اجتماعية، حين نؤمن بالله، بالأفكار، بالنظام الاجتماعي الذي يفصل الإنسان عن الإنسان، بالقومية، وهلمّجرّا، فنحن نضفي أهمية خاطئة على الإيمان، مما يشير إلى الغباء، ذلك أن الإيمان يفرق بين الناس، لا يوحدهم. وهكذا نرى أننا نستطيع أن ننتج بطريقة حياتنا النظام أو الفوضى، السلام أو الصراع، السعادة أو الشقاء.

إن المشكلة التي تواجهنا هي إن كان يمكن أن يوجد مجتمع ثابت، وفي الوقت نفسه فرد تحدث فيه هذه الثورة المتواصلة، أليس كذلك؟ أي،يجب أن تبدأ الثورة في المجتمع بالتحول السيكولوجي الداخلي للفرد. إن معظمنا يريدون أن يروا تحوّلاً جذرياً في البنية الاجتماعية. هذه هي المعركة التي تجري في العالم ـ إحداث ثورة اجتماعية على الطريقة الشيوعية ـ أو أية طريقة أخرى. إذا حصلت ثورة اجتماعية،تتعلق بالبنية الخارجية للإنسان، مهما جذرية، فإن طبيعتها ستكون ثابتة إن لم تحدث ثورة داخلية، أو تحوّلاً نفسيّاً في الفرد. بالتالي من أجل بناء مجتمع ليس متكرراً، أو ثابتاً أو متفككاً، مجتمع حيّ على الدوام، ينبغي أن تحدث ثورة في البنية النفسية للفرد، ذلك أنه من دون ثورة نفسية داخلية فإن مجرد تحويل البنية الخارجية لا أهمية له. ذلك أن المجتمع يصبح متبلراً باستمرار، ثابتاً، وبالتالي متفككاً دوماً. مهما طُبق القانون بحكمة فإن المجتمع سيظل دوماً على طريق الخراب لأن الثورة يجب أن تحدث في الداخل، وليس في الخارج فحسب.

أعتقد أنه من المهمّ فهم هذا وألا نغفله، فحين يُنجز الفعل الخارجي، ينتهي، يصبح ثابتاً؛ وإذا لم تكن العلاقة بين الأفراد، والتي هي المجتمع، محصّلة ثورة داخلية، فإن البنية الاجتماعية حينئذ، تمتص الفرد، كونها ثابتة، بالتالي تجعله ثابتاً أيضاً، ومكرراً. إذا أدركنا هذا، إذا أدركنا الأهمية الفائقة للعادة لهذه الحقيقة، لن تكون هناك مسألة اتفاق أو خلاف. إنها حقيقة

أن المجتمع يتبلر دوماً ويمتص الفرد وأن الثورة الإبداعيةالمتواصلة الإبداعية لا يمكن أن تحدث إلا في الفرد، وليس في المجتمع، ليس في الخارج. أي أن الثورة الخلاقة لا يمكن أن تحدث إلا في العلاقة الفردية، التي هي المجتمع. نحن نشهد كيف تتفكك بسرعة بنية المجتمع الحالي في الهند وأوروبا وأميركا وفي كل جزء من العالم؛ ونعرف هذا داخل حيواتنا. نستطيع أن نلاحظه حين نخرج إلى الشوارع. ولسنا بحاجة إلى مؤرخين عظام كي يخبرونا بحقيقة أن مجتمعنا يتفكك؛ وينبغي أن يكون هناك مهندسون معماريون جدد، بناؤون جدد، كي يبدعوا مجتمعاً جديداً. يجب أن يُبنى البناء على أساس جديد، على حقائق وقيم مكتشفة حديثاً.لا يوجد حتى الآن مهندسون معماريون كهؤلاء. لا يوجد بناؤون يراقبون ويعون حقيقة أن البناء يتداعى، يحولون أنفسهم إلى مهندسين. هذه هي مشكلتنا. نرى المجتمع يتفتت ويتفكك، ونحن، أنا وأنت، من ينبغي أن يكونا المهندسين المعماريين. أنا وأنت يجب أن نكتشف القيم ونبني على أساس جوهري وأبدي؛ لأننا إذا نظرنا إلى المهندسين المعماريين المحترفين، وإلى البنائين السياسيين والدينيين، سنكون في الموقع نفسه بالضبط كما من قبل.

لأنني، أنا وأنت، غير مبدعين، اختزلنا المجتمع إلى هذه الفوضى، بالتالي ينبغي أن أكون أنا وأنت خلاقين لأن المشكلة ملحة؛ يجب أن أعي أنا وأنت أسباب انهيار المجتمع وننشئ بنية جديدة لا تستند إلى مجرد المحاكاة وإنما إلى فهمنا المشترك. ينطوي هذا الآن على تفكير سلبي، أليس كذلك؟ إن التفكير السلبي هو الشكل الأعلى للفهم. أي من أجل أن نفهم ما هو الفكر الخلاق يجب أن نقارب المشكلة بنحو سلبي، لأن المقاربة الإيجابية للمشكلة ـ التي هي أنني أنا وأنت يجب أن نكون خلاقين من أجل أن نبني بنية جديدة للمجتمع ـ ستكون قائمة على المحاكاة. من أجل فهم ما يتفتت، يجب أن نستقصيه، ونفحصه سلبياً، ليس بنسق إيجابي،وصيغة إيجابية، واستنتاج إيجابي.

لماذا ينهار المجتمع ويتفتت،كما يحصل الآن؟ إن أحد الأسباب الجوهرية هو أن الفرد،أنت، قد توقف عن أن يكون خلاقاً. سأشرح ما

أعنيه.أنا وأنت أصبحنا مقلدين، نحن ننسخ، خارجياً وداخلياً. خارجياً، حين نتعلم تقنية، حين نتصل مع بعضنا بعضاً على المستوى اللفظي، سيكون هناك بعض المحاكاة والنسخ على نحو طبيعي. أنا أنسخ الكلمات. كي أصبح مهندساً يجب أولاً أن أتعلم التقنية، ثم أستخدمها كي أبني جسراً. ينبغي أن تكون هناك كمية معيّنة من المحاكاة، والنسخ، في التقنية الخارجية، ولكن حين تكون هناك محاكاة داخلية نفسية نتوقف عن كوننا مبدعين. إن تربيتنا، وبنيتنا الاجتماعية، وما يُدعى بحياتنا الدينية، كلها مستندة إلى المحاكاة؛ وهذا يعني أنني أناسب قالباً دينياً أو اجتماعياً معيناً. توقفت عن كوني فرداً حقيقياً؛ أصبحت، على المستوى النفسي، مجرد آلة للتكرار باستجابات معينة مشروطة سواء كانت تلك التي للهندوسي أو المسيحي أو البوذي أو الألماني أو الإنكليزي. إن استجاباتنا مشروطة وفق نمط المجتمع سواء كان شرقياً أو غربياً، دينياً أو مادياً. وهكذا فإن أحد الأسباب الجوهرية لتفكك المجتمع هو المحاكاة، وأحد عوامل التفكك هو القائد، الذي يقوم جوهره على المحاكاة.

ومن أجل فهم طبيعة المجتمع المتفكك أليس من الضروري أن نتحقق إن كنت أنا أو أنت، خلاقين؟ وبما أن مركّبنا الذهني والنفسي يستند إلى السلطة،ينبغي أن نتحرر منها، كي نكون خلاقين. ألم تلاحظوا أنه في لحظات الإبداع، لحظات الأهمية الحيوية تلك، ليس هناك إحساس بالتكرار، بالمحاكاة؟ إن لحظات كتلك هي دوماً جديدة، وخلاقة، وسعيدة. وهكذا نرى أن أحد الأسباب الجوهرية لتفكك المجتمع هي المحاكاة،أي عبادة السلطة.

الفصل الرابع

معرفة الذات

إن مشكلات العالم ضخمة وبالغة التعقيد، يحتاج المرء من أجل فهمها وحلها إلى أن يقاربها بطريقة بسيطة ومباشرة ؛ لا تعتمد البساطة والمباشرة على الظروف الخارجية ولا على مسبقاتنا وأمزجتنا الخاصة. وكما أشرتُ، يجب ألا يتم العثور على الحل عبر المؤتمرات، وجداول الأعمال، أو عبر استبدال قادة قدماء بجدد، وهلمّجرًا. يكمن الحل بوضوح في صانع المشكلة، في مسبِّب الإساءة، والحقد وسوء الفهم الكبير الموجود بين البشر. إن مسبِّب هذه الإساءة، وهذه المشكلات، هو الفرد، أنت وأنا، وليس العالم كما نفكر به. فالعالم هو علاقتك مع آخر. إن العالم ليس شيئاً منفصلاً عنك وعني؛ إن العالم، المجتمع، هو العلاقة التي نؤسسها أو ننشد تأسيسها بيننا.

إن المشكلة هي أنا وأنت، وليس العالم، لأن العالم هو انعكاس لأنفسنا؟ وكي نفهم العالم يجب أن نفهم أنفسنا. فالعالم ليس منفصلاً عنا؛ نحن العالم، ومشكلاتنا هي مشكلات العالم. يحدث هذا لأن أذهاننا بليدة بحيث نفكر بأن مشكلات العالم لا تهمنا، أنها يجب أن تُحل من قبل الأمم المتحدة أو عبر استبدال قادة قديمين بجدد. إنها ذهنية بليدة جداً تلك التي تفكر هكذا، لأننا مسؤولون عن هذا البؤس المخيف والفوضى في العالم، هذه الحرب التي تهدِّد دائماً. كي نحوِّل العالم، يجب أن نبدأ بأنفسنا؛ وما هو مهمٌّ في البدء بأنفسنا هو النية. يجب أن تكون النية فهم أنفسنا وأن لا نترك للآخرين أن يحوّلوا أنفسهم، أو أن يحدثوا تغيّراً معدّلاً عبر الثورة، سواء من اليسار أو اليمين. من المهمّ أن نفهم أن هذه مسؤوليتنا، مسؤوليتك ومسؤوليتي؛ لأنه مهما كان العالم الذي نعيش فيه

صغيراً، إذا كان بوسعنا أن نحوّل أنفسنا، أن ننشئ وجهة نظر مختلفة جذرياً في وجودنا اليومي، ربما نستطيع عندئذ التأثير في العالم بعامة، في العلاقة الموسعة مع الآخرين.

كما قلت، سنحاول اكتشاف سيرورة فهم أنفسنا، والتي ليست سيرورة معزولة. ليست انسحاباً من العالم، لأنك لا تستطيع العيش في عزلة. أن تكون هو أن تجمعك علاقة، وليس هناك شيء يدعى العيش في عزلة. إن ما يسبب الصراعات والبؤس والتنافس هو غياب العلاقة الصحيحة؛ ومهما كان عالمنا صغيراً، إذا استطعنا تحويل علاقتنا في ذلك العالم الغامض، سيكون كموجة تمتد إلى الخارج طوال الوقت. أعتقد أنه من الضروري أن نفهم هذه النقطة: إن العالم هو علاقتنا، مهما كان ضيقاً؛ وإذا استطعنا أن نحدث تحولاً جذرياً في هذه العلاقة، عندئذ ننطلق بنشاط كي نحوّل العالم. إن الثورة الحقيقية لا تحدث وفق أي نموذج معين، سواء كان يسارياً أو يمينياً، إنها ثورة في القيم، ثورة تقوم بالانتقال من القيم الحسية إلى القيم التي ليست حسية أو أبدعتها مؤثرات البيئة. من أجل العثور على هذه القيم الحقيقية التي ستُحدث ثورة جذرية، وتحولاً أو انبعاثاً، من الجوهري فهم الذات. إن معرفة الذات هي بداية الحكمة، وبالتالي بداية التحول أو الانبعاث. ومن أجل فهم الذات يجب أن تكون هناك نية للفهم، ومن هنا منشأ الصعوبة التي تواجهنا. ورغم أن معظمنا ساخطون، نرغب بأن نحدث تغييراً مفاجئاً، ذلك أن سخطنا موجّه فقط لتحقيق نتيجة معيّنة؛ كوننا ساخطين، إما نروم وظيفة مختلفة أو نخضع للبيئة. إن السخط، بدلاً من أن يثيرنا، ويجعلنا نشكك بالحياة، وسيرورة الوجود، هو موجّه، وبالتالي نصبح عاديين، فاقدين للدافع، لذلك التوتر الذي يحفّزنا للعثور على معنى الوجود كله. بالتالي من الضروري أن نكتشف هذه الأمور بأنفسنا، لأن معرفة الذات لا يمكن أن يقدمها لنا آخر، ولا يُعثر عليها في أي كتاب. يجب أن نكتشف، وكي نكتشف

يجب أن تكون هناك النية، والبحث، والتحقق. وهكذا طالما أن النية للاكتشاف، لاستقصاء الأعماق، ضعيفة أو غائبة، فإن مجرد التأكيد أو مجرد الرغبة العرضية لاستقصاء الذات قليل الأهمية.

إن تحوّل العالم يحدثه تحوّل الذات، لأن الذات هي نتاج وجزء من السيرورة الكلية للوجود البشري. إن معرفة الذات جوهرية من أجل تحوّلها؛ فمن دون معرفة ما أنت، ليس هناك أساس للفكر الصحيح، ومن دون أن تعرف نفسك لن يحدث تحول. ينبغي أن يعرف المرء نفسه كما هو وليس كما يتمنى أن يكون لأن هذا مثالي وخيالي، وغير حقيقي؛ فلا يمكن أن يتحول إلا ما هو موجود، وليس ما تتمناه. وكي تعرف نفسك كما أنت يقتضي هذا يقظة ذهنية فائقة للعادة، لأن ما هو موجود يتحول بسرعة مستمرة، ويتغير، وكي يلاحقه الذهن بسرعة يجب ألا يكون مقيداً بأية عقيدة قطعية أو معتقد، بأي نموذج معيّن للفعل. وإذا كنت ستتبع أي شيء ليس من الجيد أن تكون مقيداً. وكي تعرف نفسك يجب أن يكون هناك وعي، يقظة ذهنية متحررة من جميع المعتقدات، ومن المثل كافّة لأن المعتقدات والمثل لا تمنحك إلا لوناً، يفسد الإدراك الحقيقي. إذا أردت أن تعرف ما أنت لا تستطيع أن تتخيل أو تؤمن بشيء ليس أنت. إذا كنتُ جشعاً وحسوداً وعنيفاً، وأمتلك مجرد مثال عن اللاعنف واللاحسد، فإن هذا بلا قيمة. أمّا إذا عرفنا أن المرء جشع وعنيف، إذا عرفنا ذلك وفهمناه، فإن هذا يقتضي إدراكاً فائقاً للعادة، أليس كذلك؟ يقتضي الصدق، وصفاء الذهن، بينما اتّباع مثال بعيد عما هو موجود هو هرب؛ يمنعك من أن تكتشف وتشتغل بنحو مباشر على ما أنت.

إن فهم ما أنت، مهما كان ـ دميماً أو جميلاً، شريراً أو مسيئاً ـ فهم ما أنت، من دون تشويه، هو بداية الفضيلة. إن الفضيلة جوهرية، ذلك أنها تمنح الحرية. لا تستطيع إلا في الفضيلة أن تكتشف، أو تحيا، ولا تستطيع أن تفعل هذا في صقل الفضيلة، التي تؤمّن الاحترام فحسب، لا الفهم والحرية. هناك

فرق بين كونك فاضلاً وأن تصبح فاضلاً.كونك فاضلاً يأتي عبر فهم ما هو موجود،بينما أن تصبح فاضلاً هو تأجيل، تغطية ما هو موجود بما تحب أن تكونه. بالتالي حين تحاول أن تصبح فاضلاً تتجنب العمل مباشرة على ما هو موجود. إن سيرورة تجنب ما هو موجود عبر صقل المثال تُعدّ فاضلة؛ ولكن إذا نظرت إليها بتمعّن وبنحو مباشر سترى أن هذا لا يحدث. إنها مجرّد تأجيل لمواجهة ما هو موجود وجهاً لوجه. فالفضيلة ليست أن تصبح ما ليس أنت؛ وإنما فهم ما هو موجود وبالتالي التحرّر مما هو موجود. إن الفضيلة جوهرية في المجتمع الذي يتفكك بسرعة. من أجل أن نبدع عالماً جديداً، بنية تختلف عن القديمة، ينبغي أن تكون هناك حرية اكتشاف؛ وكي تكون حراً ينبغي أن تكون هناك فضيلة، فمن دون فضيلة ليست هناك حرية. هل يستطيع اللاأخلاقي الذي يجهد كي يصبح فاضلاً أن يعرف الفضيلة؟ إن الإنسان الذي ليس أخلاقياً لا يمكن أن يكون حراً أبداً، بالتالي لا يستطيع أن يعرف أبداً ما هي الحقيقة. لا يمكن العثور على الحقيقة إلا في فهم ما هو موجود؛ ومن أجل فهم ما هو موجود، ينبغي أن تكون هناك حرية، حرية من الخوف مما هو موجود.

كي نفهم هذه السيرورة ينبغي أن تكون هناك نية لمعرفة ما هو موجود، لملاحقة جميع الأفكار، والمشاعر والأفكار؛ إن فهم ما هو موجود في غاية الصعوبة، لأن ما هو موجود متحول دوماً، إنه دائماً في حركة. ما هو موجود هو ما أنت، وليس ما تريد أن تكونه؛ ليس المثال لأن المثال خيالي، ولكنه ما تفعله في الواقع، وتفكر به وتشعر به من لحظة إلى أخرى. ما هو موجود هو الواقعي، وفهم الواقع يقتضي وعياً، سرعة بديهة، وذهناً متوقّداً. ولكن إذا بدأنا بشجب ما هو موجود، إذا بدأنا بتوبيخه أو مقاومته، عندها لن نفهم حركته. إذا أردت أن أفهم أحداً ما، يجب ألا أشجبه: يجب أن أراقبه، وأدرسه. ينبغي أن أحب الشيء ذاته الذي أفهمه. إذا أردت أن تفهم طفلاً، يجب أن تحبه لا أن توبّخه. ينبغي أن تلعب معه، وتراقب حركاته، وطرقه في التصرف، وطرقه في السلوك؛ ولكن إذا شجبته، وقاومته أو لمته،لن تفهمه.وعلى نحو مشابه، كي

يفهم المرء ما هو موجود يجب أن يراقب ما يفكر به، ويشعر به ويفعله من لحظة إلى أخرى. هذا هو الحقيقي. إن أي فعل آخر، أي مثال أو فعل إيديولوجي، ليس هو الحقيقي؛ إنه مجرد أمنية؛ رغبة خيالية بأن يكون المرء شيئاً غير ما هو موجود.

يقتضي فهم ما هو موجود حالة ذهنية ليس فيها تماه أو شجب، مما يعني ذهناً متيقظاً ومنفعلاً. نكون في تلك الحالة حين نرغب فعلاً بفهم شيء ما؛ فحين ينشط الاهتمام، تأتي حالة الذهن إلى الوجود. حين يكون المرء مهتماً بفهم ما هو موجود، بالحالة الحقيقية للذهن، لا يحتاج إلى أن يكرهها وينظمها أو يسيطر عليها؛ على العكس تماماً، هناك تيقظ هادئ، مراقبة. تأتي حالة الوعي هذه حين يكون هناك اهتمام، ونية للفهم.

لا يأتي الفهم الجوهري للذات عبر المعرفة أو عبر تراكم التجارب، الذي هو مجرد صقل للذاكرة. إن فهم الذات هو من لحظة إلى أخرى؛ إذا قمنا فقط بمجرد مراكمة معرفة الذات فإن المعرفة نفسها تعيقنا عن مزيد من الفهم، لأن المعرفة والتجربة تصبحان عبر التراكم المركز الذي يشكّل الفكر ويمتلك كيانه. فالعالم ليس مختلفاً عنا وعن أنشطتنا لأن ما نحنُ هو الذي يسبّب مشكلات العالم؛ والصعوبة التي تواجه معظمنا هي أننا لا نعرف أنفسنا على نحو مباشر، وإنما ننشد نظاماً، طريقة، وسيلة للعمل نحلّ عبرها المشكلات البشرية الكثيرة.

هل هناك وسيلة، نظام لمعرفة المرء لذاته؟ إن أي شخص ذكي، أي فيلسوف، يستطيع أن يبتكر نظاماً، وطريقة؛ ولكن اتّباع نظام لن ينتج إلا نتيجة يقدمها ذلك النظام. إذا اتبعت طريقة معينة في معرفة نفسي، عندها سأحصل على النتيجة التي يقتضيها النظام؛ ولكن النتيجة لن تكون فهم نفسي. أي بإتباع طريقة، ونظام، ووسيلة أعرف عبرها نفسي، فإنني أصوغ فكري، وأنشطتي، بحسب نموذج؛ وإتباع نموذج ليس فهماً للذات.

بالتالي ليست هناك طريقة لمعرفة الذات. ينطوي البحث عن طريقة على الرغبة بتحقيق نتيجة ما، وهذا ما نريده جميعنا. نتبع السلطة - إن

لم تكن سلطة شخص،فسلطة نظام أو إيديولوجيا ـ لأننا نريد نتيجة مُرْضية، تمنحنا الأمن.فنحن في الحقيقة لا نريد أن نفهم أنفسنا، ودوافعنا وأفعالنا، وسيرورة تفكيرنا كلها، ووعينا وكذلك لاوعينا؛ ننشد بالأحرى نظاماً يطمئننا عن نتيجة. ولكن الرغبة بنظام هي محصّلة رغبتنا بالأمن،وباليقين، لكن النتيجة ليست فهم الذات. حين نتّبع طريقة يجب أن تكون لدينا مرجعيات ـ الأستاذ، المعلم الروحي، المنقذ، السيد ـ تضمن لنا ما نرغب به؛ وأكيد أن هذه ليست طريقة معرفة الذات.

إن السلطة تمنع المرء من فهم نفسه،أليس كذلك؟ ففي ظل سلطة، وموجّه، يمكن أن تمتلك مؤقتاً إحساساً بالأمان، وإحساساً بالأمن، وإحساساً بالسعادة، ولكن هذا ليس فهماً للسيرورة الكلية لذات المرء. فالسلطة بطبيعتها تمنع الوعي الكامل للذات وبالتالي تقضي على الحرية؛ ففي الحرية وحدها يمكن أن يكون هناك إبداع. لا يمكن أن يكون هناك إبداع إلا عبر معرفة الذات. إن معظمنا ليسوا خلاقين؛ نحن آلات تكرر، نحن مجرد أسطوانات فونوغراف تردد مرة بعد أخرى أغاني معينة عن التجربة، واستنتاجات وذكريات معينة، إما خاصة بنا أو بآخرين. إن تكراراً كهذا ليس وجوداً إبداعياً ولكنه ما نريد. لأننا نريد أن نكون في الداخل آمنين،نحن ننشد باستمرار طرقاً ووسائل لهذا الأمن، بالتالي ننشئ السلطة، عبادة الآخر، التي تقضي على الفهم، وعلى هدوء الذهن ذاك الذي فيه وحده يمكن أن تكون هناك حالة إبداعية.

أكيدٌ أن الصعوبة التي تواجهنا هي أن معظمنا فقدوا هذا الإحساس بالإبداع.كي يكون المرء مبدعاً لا يعني أننا يجب أن نرسم لوحات أو ننظم قصائد ونحظى بالشهرة.هذا ليس الإبداع، هذا قدرة على التعبير عن فكرة فحسب،يصفق لها الجمهور أو يزدريها.يجب ألا يتم الخلط بين المقدرة والإبداع. فالمقدرة ليست الإبداع. إن الإبداع حالة وجود مختلفة تماماً، حالة تكون فيها الذات غائبة، لا يكون فيها الذهن بؤرة تجاربنا،

وطموحاتنا، واهتماماتنا ورغباتنا. إن الإبداع ليس حالة متواصلة، إنه جديد من لحظة إلى أخرى، إنه حركة ليس فيها "الأنا"، "الذي لي"، لا يركز فيها التفكير على أية تجربة معينة، وطموح، وإنجاز، وهدف وباعث. حين تكون النفس غير موجودة فحسب يكون هناك إبداع، حالة الوجود تلك التي تتجلى فيها وحدها الحقيقة، خالقة جميع الأشياء. ولكن لا يمكن تخيل أو تصور تلك الحالة، لا يمكن أن تصاغ أو تُنسخ، لا يمكن تحقيقها عبر أي نظام، أية فلسفة، أي منهج؛ على العكس، لا تأتي إلى الوجود إلا عبر فهم السيرورة الكلية للذات.

إن فهم الذات ليس نتيجة، وتتويجاً؛ إنه رؤية الذات من لحظة إلى أخرى في مرآة العلاقة: علاقة المرء مع الملكية، ومع الأشياء، ومع الناس، ومع الأفكار. ولكننا نجد صعوبة في أن نكون متيقظين، وواعين، ونفضل أن نبلّد أنفسنا بإتّباع طريقة، وبقبول السلطات، والخرافات والنظريات المُشبعة؛ وهكذا تصبح أذهاننا منهكة، ومستنفدة وفاقدة للإحساس. إن ذهناً كهذا لا يمكن أن يكون في حالة إبداع. إن حالة الإبداع تلك لا تأتي إلا حين تتوقف الذات، التي هي سيرورة التعرف والتراكم، وتموت؛ لأن الوعي، في النهاية، كـ " أنا" هو مركز التعرف، والتعرف هو مجرد سيرورة تراكم التجربة. ولكننا جميعاً خائفون من الفشل، لأننا جميعاً نريد أن نكون شيئاً ما. يريد الرجل الصغير أن يكون كبيراً، ويريد غير الفاضل أن يكون فاضلاً، ويتوق الضعيف والغامض إلى القوة والمنصب والسلطة. هذا هو النشاط الذي لا يتوقف للذهن. إن ذهناً كهذا لا يمكن أن يكون هادئاً وبالتالي لا يمكن أن يفهم أبداً حالة الإبداع.

كي نحوّل العالم الذي حولنا، ببؤسه، وحروبه، وبطالته، وجوعه، وفوارقه الطبقية وفوضاه المطلقة يجب أن يحدث تحول في أنفسنا. يجب أن تبدأ الثورة في الذات، ولكن ليس وفقاً لأي معتقد أو إيديولوجيا، لأن الثورة المستندة إلى فكرة، أو المنسجمة مع نموذج معين، ليست ثورة على

الإطلاق. من أجل إحداث ثورة جوهرية في الذات، يجب على المرء أن يفهم السيرورة الكاملة لفكره ومشاعره في العلاقة. هذا هو الحل الوحيد لجميع مشكلاتنا: ألا نحصل على المزيد من الأنظمة، والمزيد من المعتقدات، والمزيد من الإيديولوجيات والمزيد من المعلمين. إذا كنا نستطيع أن نفهم أنفسنا كما نحن من لحظة إلى أخرى دون سيرورة المراكمة ،عندها نرى كيف يأتي هدوء ليس نتاج الذهن، هدوء غير متخيل وغير مصقول؛ وفي تلك الحالة من الهدوء فقط يمكن أن يوجد إبداع.

الفصل الخامس

الفعل والفكرة

أود أن أناقش مشكلة الفعل.يمكن أن يكون هذا مبهماً وصعباً في البداية ولكنني آمل أنه عبر التفكير بهذه المشكلة سنقدر على فهم المسألة بوضوح، لأن وجودنا كله،وحياتنا كلها، سيرورة فعل.

يعيش معظمنا في سلسلة من الأفعال، في أفعال غير مرتبطة ببعضها بعضاً كما يبدو، منفصلة، تقود إلى التفكك، إلى الإحباط. هذه مشكلة تهمّنا جميعاً، لأننا نعيش عبر الفعل ومن دون فعل لا توجد حياة، لا توجد تجربة، ولا يوجد تفكير. إن الفكر هو الفعل؛ وإذا ما اتّبعنا الفعل على مستوى واحد معين من الوعي، هو المستوى الخارجي، وعلقنا في الفعل الخارجي دون أن نفهم سيرورة الفعل كلها، سيقودنا هذا حتماً إلى الإحباط، وإلى البؤس.

إن حياتنا سلسلة من الأفعال أو سيرورة فعل على مستويات مختلفة من الوعي. ذلك أن الوعي هو التجريب، والتسمية والتسجيل. هذا يعني أن الوعي هو التحدي والاستجابة، أي التجريب، ثم وضع المصطلحات أو التسمية، ثم التسجيل، الذي هو الذاكرة. إن هذه السيرورة هي فعل، أليس كذلك؟ إن الوعي هو فعل؛ ومن دون تحد واستجابة، من دون تجريب، من دون تسمية أو وضع مصطلحات، دون تسجيل الذي هو الذاكرة، ليس هناك فعل.

إن الفعل يبدع الفاعل.أي أن الفاعل يأتي إلى الوجود حين يكون للفعل نتيجة، وغاية منظورة. إذا لم تكن هناك نتيجة في الفعل، عندئذ ليس هناك فاعل؛ ولكن إذا كانت هناك غاية أو نتيجة منظورة عندها يبدع الفعل الفاعل. بالتالي، إن الفعل والفاعل والغاية أو النتيجة هم سيرورة

توحيدية، سيرورة واحدة، تولد حين يكون للفعل غاية منظورة. إن الفعل الذي يؤدي إلى النتيجة هو الإرادة؛ وإلا ليس هناك إرادة. فالرغبة بتحقيق غاية تولّد الإرادة، التي هي الفاعل: أريد أن أنجز، أن أؤلف كتاباً، أن أصبح غنياً، أريد أن أرسم لوحة.

نحن نعرف هذه الحالات الثلاث: الفاعل والفعل والغاية. هذا هو وجودنا اليومي. أنا أشرح ما هو موجود فقط؛ لكننا لن نبدأ بفهم كيف نحوّل ما هو موجود إلا حين نفهمه بوضوح، بحيث لا يوجد هناك وهم و مسبّق، ولا انحياز يتعلق به. إن هذه الحالات الثلاث التي تشكّل التجربة ـ الفاعل، الفعل، والنتيجة ـ هي سيرورة صيرورة. أنا فقير وأعمل من أجل غاية منظورة وهي أن أصبح غنياً. أنا دميم وأريد أن أصبح جميلاً. بالتالي، إن حياتي هي سيرورة أن أصير شيئاً. إن إرادة الوجود هي إرادة الصيرورة، على مستويات مختلفة من الوعي، في حالات مختلفة، فيها تحدّي، واستجابة، وتسمية وتسجيل. إن هذه الصيرورة صراع، وألم، أليس كذلك؟ إنها صراع مستمر: أنا هذا، وأريد أن أصبح ذاك.

بالتالي، إذاً، إن المشكلة هي: أليس هناك فعل دون هذه الصيرورة؟ أليس هناك فعل دون هذا الألم، دون هذه المعركة المتواصلة؟ إذا لم تكن هناك غاية، ليس هناك فاعل، لأن الفعل بوجود غاية منظورة يخلق الفاعل. ولكن أيمكن أن يكون هناك فعل دون غاية منظورة، وبالتالي دون فاعل ـ أي دون الرغبة بالنتيجة؟ إن فعلاً كهذا ليس صيرورة، من ثمّ ليس صراعاً. هناك حالة فعل، وحالة تجريب، دون المجرب والتجربة. يبدو هذا فلسفياً ولكنه في الحقيقة بسيط جداً.

في لحظة التجريب، لا تكون واعياً لنفسك كمجرب منفصلاً عن التجربة؛ أنت في حالة تجريب. خذ مثالاً بسيطاً جداً: أنت غاضب. ففي لحظة الغضب تلك ليس هناك لا مجرب ولا تجربة؛ هناك تجريب فقط. ولكن في لحظة خروجك منها، في جزء من الثانية بعد التجريب، هناك المجرّب والتجربة، الفاعل والفعل بغاية منظورة وهي التخلص من الغضب

أو كبحه. نحن في هذه الحالة في حالة التجريب على نحو متكرر؛ ولكننا دوماً نخرج منها ونطلق عليها اسماً،ونسميها ونسجلها، وبهذا نجعل الصيرورة متواصلة.

إذا استطعنا فهم الفعل بالمعنى الجوهري للكلمة عندئذ سيؤثر الفهم الجوهري بأنشطتنا السطحية أيضاً؛ لكن يجب أن نفهم أولاً الطبيعة الجوهرية للفعل. فهل تولّد الفعل فكرةٌ؟ هل تمتلك فكرة أولاً وتفعل فيما بعد؟ أم هل يأتي الفعل أولاً ثم،لأن الفعل يولّد الصراع، تبني حوله فكرة؟ هل يخلق الفعل الفاعل، أم هل يأتي الفاعل أولاً؟

من الضروري جداً أن نكتشف ما يأتي أولاً. إذا جاءت الفكرة أولاً، عندئذ ينسجم الفعل مع الفكرة، بالتالي لا يعود فعلاً وإنما محاكاة، إكراه وفقاً لفكرة. من الجوهري أن ندرك هذا؛ لأنه، بما أن مجتمعنا مركّب في أغلب الأحيان على المستوى الفكري أو اللفظي، فإن الفكرة تأتي أولاً بالنسبة لنا جميعاً ثم يتبعها الفعل.عندها يكون الفعل خادماً للفكرة، إن مجرد تركيب الأفكار مؤذ للفعل.ذلك أن الأفكار تولّد المزيد من الأفكار، وحين لا يكون هناك إلا توليد للأفكار تحدث عداوة، ويصبح المجتمع مثقلاً بالسيرورة الفكرية للتصور (تكوين الأفكار). إن بنيتنا الاجتماعية فكرية جداً؛ نحن نصقل الفكر على حساب جميع عوامل وجودنا الأخرى، بالتالي، نحن مختنقون من الأفكار.

هل يمكن أن تنتج الأفكار الأفعال، أم هل تصوغ الأفكار الفكر فقط وبالتالي تحد من الفعل؟ حين تستحث فكرةٌ الفعل،لا يمكن للفعل أن يحرر الإنسان أبداً. إن فهم هذه النقطة له أهمية استثنائية بالنسبة إلينا. إذا صاغت الفكرة الفعل،عندها لن يقدر الفعل أبداً على إنهاء بؤسنا لأنه، قبل أن يُفعّل، علينا أن نكتشف أولاً كيف تولد الفكرة. إن استقصاء سيرورة تكوين الأفكار، وبنائها، سواء أفكار الاشتراكيين أو الرأسماليين، والشيوعيين، أو الأديان المتنوعة، له أهمية قصوى، خاصة حين يكون مجتمعنا على حافة جرف، مستدعياً كارثة أخرى، استئصالاً آخر.إن

الجديين فعلاً في نيتهم لاكتشاف الحل البشري لمشكلاتنا الكثيرة يجب أن يفهموا أولاً سيرور تكوين الأفكار هذه.

ما الذي نعنيه بفكرة؟ كيف تولد فكرة؟ وهل يمكن الجمع بين الفكرة والفعل؟ افترض أنه لدي فكرة وأرغب بتنفيذها. ننشد طريقة لتنفيذ الفكرة ونتأمل ونضيّع وقتنا وطاقاتنا في الخلاف حول كيفية تنفيذ الفكرة. بالتالي من المهمّ جداً أن نكتشف كيف تولد الأفكار؛ وبعد اكتشاف حقيقة ذلك نستطيع أن نناقش مسألة الفعل. إذ إنّه من دون مناقشة للأفكار، فإن مجرد اكتشاف كيف نتصرف لا معنى له.

والآن كيف تحصل على فكرة، فكرة بسيطة جداً، لا حاجة كي تكون فلسفية أو دينية أو اقتصادية؟ من الواضح أنها سيرورة تفكير، أليس كذلك؟ إن الفكرة هي نتاج سيرورة تفكير.دون سيرورة تفكير لا يمكن أن تكون هناك فكرة. وهكذا يجب أن أفهم سيرورة التفكير نفسها قبل أن أفهم منتجها، الذي هو الفكرة. ما الذي نعنيه بالفكرة؟ متى تفكر؟ من الواضح أن الفكر ناتج عن استجابة، عصبية أو نفسية، أليس كذلك؟ إنه استجابة الحواس الفورية لإحساس، وهناك الاستجابة النفسية للذاكرة المختزنة، وتأثير السلالة، والجماعة، والمعلم الروحي، والأسرة، والتقاليد، وهلمّجرًا ـ والذي تدعوه كله بالفكر. بالتالي إن سيرورة التفكير هي استجابة الذاكرة، أليس كذلك؟ لن تكون لديك أفكار إذا لم تكن لديك ذاكرة؛ واستجابة الذاكرة لتجربة معيّنة تحضر سيرورة التفكير إلى الفعل. لنقل، على سبيل المثال، إنني أمتلك الذكريات المختزنة عن القومية،داعياً نفسي هندوسياً.إن هذا الاحتياطي من الذكريات عن الاستجابات الماضية، والأفعال، والمعاني الضمنية، والتقاليد، والعادات، يستجيب لتحدي مسلم، وبوذي أو مسيحي، إن استجابة الذاكرة لتحدٍّ تولّد بشكل محتّم سيرورة تفكير. راقبوا سيرورة التفكير وهي تعمل في داخل أنفسكم وعندها تستطيعون أن تختبروا حقيقة ذلك بنحو مباشر. لقد أهانكم شخص

ما،وهذا يبقى في ذاكرتكم؛ يشكل نوعاً من الخلفية. حين تقابلون الشخص، الذي هو التحدي، فإن الاستجابة هي ذاكرة تلك الإهانة.بالتالي إن استجابة الذاكرة، التي هي سيرورة التفكير، تنشئ فكرة؛ بالتالي إن الفكرة هي دوماً مشروطة، ومن الضروري فهم ذلك. أي إن الفكرة هي نتيجة سيرورة التفكير،وسيرورة التفكير هي استجابة الذاكرة، والذاكرة دوماً مشروطة. إن الذاكرة هي دوماً في الماضي، وتلك الذاكرة تُمنح الحياة في الحاضر بفعل تحدٍ. فالذاكرة لا تمتلك حياة بنفسها؛ تأتي إلى الحياة في الحاضر حين يواجهها تحدٍ. إن الذاكرة سواء أكانت هاجعة أو ناشطة هي مشروطة، أليس كذلك؟

بالتالي ينبغي أن تكون هناك مقاربة مختلفة تماماً.يجب أن تكتشفوا بأنفسكم، داخلياً،إن كنتم تعملون على فكرة، أو إن كان يمكن أن يكون هناك فعل بدون سيرورة تكوين للأفكار.لنكتشف ما هو موجود: الفعل غير المستند إلى فكرة.

متى تفعل دون سيرورة تكوين للأفكار؟ متى يكون هناك فعل ليس نتيجة تجربة؟ إن الفعل المستند إلى تجربة هو،كما قلنا، يحدُّ، وبالتالي، هو عائق. إن الفعل الذي ليس نتيجة فكرة يكون تلقائياً حين لا تسيطر سيرورة التفكير المستندة إلى تجربة على الفعل؛ مما يعني أن هناك فعلاً مستقلاً عن التجربة حين لا يسيطر الذهن على الفعل. إن الحالة الوحيدة التي يحدث فيها الفهم هي حين لا يسيطر العقل المستند إلى التجربة على الفعل،وحين لا يصوغ الفكر المستند إلى التجربة الفعل.ما هو الفعل حين لا تكون هناك سيرورة تفكير؟ هل يمكن أن يوجد فعل بدون عملية تفكير؟ أعني أريد أن أبني جسراً، منزلاً. أعرف التقنية، وتقول لي التقنية كيف أشيدهما.ندعو هذا بالفعل.هناك فعل نظم قصيدة، ورسم لوحة، ومسؤوليات حكومية، واستجابات اجتماعية وبيئية. تستند كلها إلى فكرة أو تجربة سابقة، تصوغ الفعل. ولكن هل هناك فعل حين لا تكون هناك سيرورة تكوين للأفكار؟

هناك فعل كهذا حين تتوقف الفكرة؛ ولا تتوقف الفكرة إلا حين يكون هناك حب. ليس الحب ذاكرة، وليس تجربة، وليس تفكير المرء بمن يحبه، لأنه يكون عندئذ مجرد فكرة. لا تستطيع أن تفكر بالحب. تستطيع التفكير بالشخص الذي تحبه أو الذي أنت مخلص له: معلمك الروحي، وصورتك، وزوجتك؛ لكن الفكرة، والرمز، ليسا الحقيقة التي هي الحب. بالتالي الحب ليس تجربة.

حين يكون هناك حب يكون هناك فعل، أليس كذلك؟ هل هذا الفعل محرِّر؟ ليس نتيجة النشاط الذهني، وليس هناك فجوة بين الحب والفعل، كما يوجد بين الفكرة والفعل. إن الفكرة دوماً قديمة، تلقي ظلها على الحاضر ونحاول دوماً أن نبني جسراً بين الفكرة والفعل. حين يكون هناك حب ـ الذي ليس نشاطاً ذهنياً، أو تكويناً للأفكار، أو ذاكرة، والذي ليس محصلة تجربة، ونظام ممارس ـ حينها ذلك الحب نفسه هو فعل. هذا هو الشيء الوحيد الذي يحرر. وهكذا طالما أن هناك نشاطاً ذهنياً، طالما أن هناك صياغة للفعل من قبل فكرة هي التجربة، لا يمكن أن يحدث انعتاق؛ وطالما تستمر تلك السيرورة، يكون الفعل كله محدوداً. حين تُفهم حقيقة ذلك، تتحقق جودة الحب الذي ليس نشاطاً ذهنياً والذي لا تستطيع التفكير به.

يجب أن يكون المرء واعياً لهذه السيرورة الكلية، لكيفية نشوء الأفكار، وولادة الفعل من الأفكار، وكيف تسيطر الأفكار على الفعل وبالتالي تحدّه، بحسب الإحساس. لا يهم أفكار من هذه، سواء كانت من اليسار أو اليمين المتطرف. فطالما نتمسك بالأفكار، نكون في حالة لا يمكن أن يكون فيها تجريب مطلقاً. عندها نعيش في حقل الزمن فحسب، في الماضي، الذي يقدم المزيد من الإحساس. إذ لا يمكن أن يكون هناك تجريب إلا حين يكون الذهن متحرّراً من الأفكار.

إن الأفكار ليست الحقيقة؛ إن الحقيقة شيء يجب أن يُجرب بنحو مباشر، من لحظة إلى أخرى. وأنتم لا ترغبون بهذه التجربة، والتي تكون

عندئذ مجرد إحساس. حين يستطيع المرء تجاوز مجموعة الأفكار، التي هي " الأنا"، التي هي الذهن، والتي لها استمرارية جزئية أو كاملة، حين يستطيع المرء أن يتجاوز هذا، حين يكون الفكر صامتاً بنحو كامل، تحدث حالة تجريب. عندها يعرف المرء الحقيقة.

الفصل السادس

الإيمان

إن الإيمان والمعرفة وثيقا الصلة بالرغبة؛ وربما، إذا كان بوسعنا فهم هاتين المسألتين، سنتمكن من رؤية كيفية عمل الرغبة، ونفهم تعقيداتها.

يبدو لي أن أحد الأمور التي يقبلها معظمنا بلهفة ويسلمون بها جدلاً هي مسألة المعتقدات. ما نحاول فعله هو اكتشاف لماذا نقبل المعتقدات؛ وإذا كنا نستطيع فهم البواعث، وعلة القبول، عندها ربما يمكن أن نكون قادرين لا على فهم لماذا نقوم بها فحسب وإنما على التحرر منها أيضاً. يستطيع المرء أن يشاهد كيف أن المعتقدات السياسية والدينية، والقومية تفرق بين الناس، وتسبّب الصراع، والفوضى، والبغضاء؟ هذه حقيقة واضحة؛ وعلى الرغم من ذلك إننا لا نريد التخلي عنها. هناك المعتقد الهندوسي، والمسيحي، والبوذي، ومعتقدات طائفية وقومية لا تُحصى، وإيديولوجيات سياسية متنوعة، وكلها تتصارع مع بعضها بعضاً، محاولة أن تهدي بعضها بعضاً. يستطيع المرء أن يرى بوضوح أن الإيمان يفرق بين الناس، خالقاً عدم التسامح؛ هل من الممكن العيش دون إيمان؟ لا يستطيع المرء أن يكتشف هذا إلا إذا درس نفسه في علاقته مع معتقد. هل من الممكن العيش في هذا العالم دون إيمان، لا أن نغيّر المعتقدات، ونستبدل معتقداً بآخر، وإنما أن نكون أحراراً بنحو كامل من المعتقدات كلها، بحيث أن المرء يعانق الحياة من جديد كل دقيقة؟ هذا، في النهاية، هو الحقيقة: امتلاك القدرة على لقاء كل شيء من جديد، دون رد الفعل المشروط للماضي، بحيث لا يكون هناك التأثير التراكمي الذي يعمل كحاجز بين الذات وما هو موجود.

إذا فكرتم، سترون أن أحد أسباب الرغبة بقبول المعتقد هو الخوف. إذا لم يكن لدينا إيمان، ما الذي سيحدث لنا؟ ألن نكون خائفين جداً مما

يمكن أن يحدث لنا؟ إذا لم يكن لدينا نموذج للفعل، مستند إلى الإيمان ـ سواء بالله، أو الشيوعية، أو بالاشتراكية، أو الإمبريالية،أو بدين ما، أو عقيدة قطعية ما نكون فيها مشروطين ـ سنشعر بضياع كامل، أليس كذلك؟ أو ليس هذا القبول للمعتقد تغطية لذلك الخوف، الخوف من ألا تكون شيئاً، أن تكون فارغاً؟ في النهاية، إن الكوب مفيد إذا كان فارغاً فحسب؛ وهكذا فإن الذهن المتلئ بالمعتقدات، والعقائد القطعية، والحقائق؛ والمقتطفات، هو ذهن غير إبداعي؛ إنه مجرد ذهن تكراري. إن الهرب من ذلك الخوف: الخوف من الفراغ، والخوف من الوحدة، ومن الركود، ومن عدم الوصول، والفشل، وعدم الإنجاز، والإخفاق في كونك شيئاً ما، هو أحد أسباب قبولنا للمعتقدات بلهفة وجشع. هل نفهم أنفسنا عبر قبول المعتقد؟ على العكس تماماً، إن المعتقد الديني أو السياسي يعرقل فهمنا لأنفسنا. يعمل كحجاب ننظر عبره إلى أنفسنا. هل نستطيع أن ننظر إلى أنفسنا دون معتقدات؟ إذا أزلنا تلك المعتقدات، المعتقدات الكثيرة التي يعتنقها المرء، هل يبقى أي شيء يُنظر إليه؟ إذا لم يكن لدينا معتقدات يتماهى معها الذهن، عندها يكون الذهن، دون تماه، قادراً على النظر إلى نفسه كما هو، وعندئذ يبدأ فهم المرء لذاته.

إن مسألة الإيمان والمعرفة مشكلة مهمّة جداً. أي دور فائق للعادة تلعبه في حياتنا! كم من المعتقدات نمتلك! أكيدٌ كلما كان المرء أكثر فكراً وثقافة وتديّناً، إذا كان بوسعي استخدام هذه الكلمة، كانت قدرته على الفهم أقل. يمتلك البدائيون خرافات لا تُحصى، حتى في العالم الحديث ثمة خرافات. إن الأكثر تفكيراً، والأكثر يقظة، والأكثر تنبهاً هم ربما الأقل إيماناً. هذا لأن الإيمان يعمي، ويفرّق؛ ونرى أن هذا يحدث في أنحاء العالم؛ العالم الاقتصادي والسياسي، وأيضاً في ما يُدعى بالعالم الروحي.. تؤمنون أن هناك إلهاً، وربما أؤمن أنه ليس هناك إله؛ أو تؤمنون بسيطرة الدولة الكاملة على كل شيء وعلى جميع الأفراد، وأنا أؤمن بالمشروع

الخاص وهلمّجرّا؛ تؤمن أن هناك مخلصاً واحداً ومن خلاله تستطيع أن تُنجز هدفك، وأنا لا أؤمن بهذا. هكذا نؤكد بعضنا بعضاً، أنت بإيمانك وأنا بإيماني. مع ذلك يتحدث كلانا عن الحب، عن السلام، عن وحدة البشرية، عن حياة واحدة ولكن هذا لا يعني شيئاً البتة؛ لأن الإيمان نفسه سيرورة عزل.أنت براهماني، أنا لست براهمانياً؛ أنت مسيحي، أنا مسلم، وهلمّجرّا. تتحدث عن الأخوّة، وأنا كذلك أتحدث عن الأخوّة نفسها، عن الحب والسلام؛ ولكن في الواقع نحن منفصلان، نحن نفرّق فيما بيننا. إن الإنسان الذي يروم السلام وخلق عالم جديد، وسعيد، لا يستطيع عزل نفسه عبر أي شكل من أشكال الإيمان. هل هذا واضح؟ يمكن أن يكون هذا لفظياً أيضاً، ولكن، إذا فهمت مغزى الأمر، وصحته وحقيقته، فإنه سيبدأ فعلياً.

حيث هناك رغبة تعمل هناك سيرورة عزل عبر الإيمان، لأنك تؤمن من أجل أن تكون آمناً اقتصادياً، وروحياً، وكذلك داخلياً. أنا لا أتحدث عن أولئك البشر الذي يؤمنون لأسباب اقتصادية، لأنهم رُبوا كي يعتمدوا على وظائفهم، بالتالي سيكونون كاثوليكيين وهندوسيين ـ لا يهم ماذا يكونون ـ طالما أن هناك وظيفة لهم. نحن أيضاً لا نناقش أولئك البشر الذين يتمسكون بمعتقد من أجل غاية؟ ربما يشملنا الأمر جميعاً على نحو مساو، ذلك أننا من أجل الغاية نؤمن بأمور معيّنة. يجب أن نضع هذه الأسباب الاقتصادية جانباً، ونعالج المسألة بعمق أكبر. خذ البشر الذين يؤمنون بأي شيء، اقتصادي، اجتماعي أو روحي؛ إن السيرورة الكامنة خلف الإيمان هي الرغبة النفسية بأن يكونوا آمنين، أليس كذلك؟ عندئذ هناك الرغبة بالمتابعة. نحن لا نناقش هنا إن كانت هناك استمرارية أم لا؛ نحن نناقش الإلحاح، والدافع المستمر للإيمان فقط. إن رجل سلام، رجلاً يفهم سيرورة الوجود البشري كلها، لا يمكن أن يقيّده معتقد، أليس كذلك؟ يرى رغبته تعمل كوسيلة لكونه آمناً. من فضلكم لا تذهبوا إلى الطرف الآخر وتقولوا

إنني أبشّر باللادين. ليست هذه فكرتي إطلاقاً. إن فكرتي هي أنه طالما أننا لا نفهم سيرورة الرغبة في شكل إيمان، يجب أن يكون هناك نزاع وصراع وأسى، وسيكون الإنسان ضد الإنسان، ونحن نشهد هذا كل يوم. بالتالي، إذا كنت أدرك، إذا كنتُ أعي أن هذه العملية تتخذ شكل الإيمان، الذي هو التعبير عن التوق إلى أمن داخلي، عندئذ لن تكون مشكلتي أنني سأصدق هذا أو ذاك وإنما أنني سأحرر نفسي من رغبة أن أكون آمناً. هذه هي المشكلة، إنها لا تكمن في: بماذا تؤمنون وما مدى إيمانكم. هذه مجرد تعبيرات عن توق المرء الداخلي كي يكون آمناً نفسياً، كي يكون متأكداً حيال شيء ما، حين يكون كل شيء غير مؤكد في العالم.

هل يستطيع ذهن، ذهن واع، هل تستطيع شخصية أن تكون حرة من الرغبة بأن تكون آمنة؟ نريد أن نكون آمنين وبالتالي نحتاج إلى مساعدة ملكياتنا وأسرتنا. نريد أن نكون آمنين داخلياً وأيضاً روحياً عبر تشييد جدران الإيمان، والتي هي إشارة إلى توق المرء إلى يكون مطمئناً. هل تستطيع كفرد أن تكون حراً من هذا الإلحاح،هذا التوق كي تكون آمناً،الذي يعبّر عن نفسه في الرغبة بالإيمان بشيء ما؟ إذا لم نكن أحراراً من كل هذا، نكون نحن مصدر النزاع؛ لسنا صانعي سلام؛ ولا نملك في قلوبنا حباً. إن الإيمان يدمّر؛ وهذا يُرى في حياتنا اليومية. هل أستطيع أن أرى نفسي حين أكون عالقاً في سيرورة الرغبة هذه؟ هل يستطيع العقل أن يحرر نفسه من الإيمان، لا أن يعثر على بديل له ولكن أن يتحرر منه بشكل كامل؟ لا تستطيع الإجابة لفظياً: "نعم" أو "كلا" على هذا؛ ولكنك تستطيع بشكل محدد أن تقدم جواباً إذا كانت نيتك هي أن تصبح متحرراً من الإيمان. عندها تأتي بشكل محدد إلى النقطة التي تبحث فيها عن الوسيلة لتحرر نفسك من الإلحاح على أن تكون آمناً. ليس هناك على ما يبدو أمن داخلي يمكن، كما تود أن تصدق، أن يستمر.تحب أن تؤمن أن هناك إلهاً يحرص على أشيائك الصغيرة التافهة، يقول لك من يجب أن

ترى، ماذا يجب أن تفعل وكيف تفعله. إن هذا تفكيراً صبيانياً وغير ناضج. تعتقدون أن الأب الكبير يراقب كل واحد منا. هذا مجرد إسقاط لحبكم الشخصي. إن هذا غير صحيح. يجب أن تكون الحقيقة شيئاً مختلفاً بشكل كامل.

إن مشكلتنا التالية هي مشكلة المعرفة. هل المعرفة ضرورية لمعرفة الحقيقة؟ حين أقول: "أعرف"، يكون المعنى الضمني هو أنه هناك معرفة. هل يستطيع ذهن كهذا أن يكون قادراً على استقصاء وتبيان ما هي الحقيقة؟ فضلاً عن ذلك، ما الذي نعرفه، ونحن فخورون به جداً؟ ما هو الذي نعرفه على نحو حقيقي؟ نعرف معلومات؛ نحن مليئون بالمعلومات والتجربة المستندة إلى شرطنا، وذاكرتنا ومقدراتنا؟ حين تقول: " أعرف"، ما الذي تعنيه؟ الإقرار بأن ما تعرفه هو التعرف على حقيقة، ومعلومات معينة، أو تجربة حصلت معك. إن التراكم المستمر للمعلومات، واكتساب أشكال مختلفة من المعرفة، كله يؤلف التأكيد: "*أعرف*"؛ وتبدأ بترجمة ما قرأته، بحسب خلفيتك، ورغبتك، وتجربتك. إن معرفتك هي شيء تكون فيه سيرورة قائمة شبيهة بسيرورة الرغبة. نضع المعرفة مكان الإيمان." أعرف، لقد امتلكت تجربة، لا يمكن أن تُدحض؛ تجربتي هي هذه، وعلى هذا أعتمد بنحو كامل"؛ هذه مؤشرات على تلك المعرفة. ولكن حين تذهب خلفها، وتحللها، وتنظر إليها بذكاء وعناية أكبر، ستجد أن التأكيد نفسه: " أعرف" هو جدار آخر يفصل بيني وبينك؟ تلوذ إلى خلف ذلك الجدار ناشداً الراحة والأمان. بالتالي كلما كان الذهن مثقلاً بمزيد من المعرفة قلّت قدرته على الفهم.

لا أعرف إن حدث وفكرتم بمشكلة اكتساب المعرفة هذه: إن كانت المعرفة تساعدنا في النهاية على أن نحب، و نتحرر من تلك الصفات التي تنتج الصراع في أنفسنا ومع جيراننا؛ إن كانت المعرفة تحرر الذهن من الطموح. لأن الطموح هو، في النهاية، إحدى الصفات التي تدمر العلاقة،

التي تؤلّب إنساناً على آخر. إذا كنا نريد أن نعيش معاً بسلام، يجب أن ينتهي الطموح، لا الطموح السياسي والاقتصادي والاجتماعي فحسب، ولكن أيضاً الطموح الأكثر انصقالاً وضرراً، الطموح الروحي إلى أن تكون شيئاً ما. هل من الممكن دوماً للذهن أن يتحرر من سيرورة مراكمة المعرفة هذه، من الرغبة بالمعرفة هذه؟

من الممتع جداً مراقبة كيف تعلب المعرفة والإيمان دوراً قوياً جداً في حياتنا. انظر كيف نعبد أولئك الذين يملكون معرفة ضخمة وسِعَةَ اطلاع! هل تستطيع فهم معنى ذلك؟ إذا كنت ستجد شيئاً جديداً، وتجرب شيئاً ليس إسقاطاً لخيالك، يجب أن يكون ذهنك حراً، أليس كذلك؟ يجب أن يكون قادراً على رؤية شيء جديد. لسوء الحظ، في كل مرة ترى شيئاً جديداً تحضر كل المعلومات التي تعرفها، كل معرفتك، وكل ذكرياتك الماضية؛ وتصبح غير قادر على النظر، وغير قادر على تلقي أي شيء جديد، ليس قديماً. من فضلك لا تترجم هذا على الفور إلى تفاصيل .إذا كنتُ لا أعرف كيف أرجع إلى منزلي،سأضيع؛ إذا كنتُ لا أعرف كيف أشغّل آلة، ستكون فائدتي قليلة. هذا شيء مختلف تماماً. نحن لا نناقش هذا هنا. نحن نناقش معرفة تُستخدم كوسيلة للأمن، الرغبة النفسية والداخلية كي أكون شيئاً. ما الذي تحصل عليه عبر المعرفة؟ سلطة المعرفة، وثقل المعرفة، والإحساس بالأهمية، والكرامة، والإحساس بالحيوية، وماذا غير ذلك؟ إن الإنسان الذي يقول: "أعرف"، "يوجد" أو "لا يوجد" توقف بالتأكيد عن التفكير، عن ملاحقة سيرورة الرغبة الكاملة هذه.

إن مشكلتنا إذاً، كما أراها، هي أننا مقيدون، يثقلنا الإيمان، والمعرفة؛ فهل من الممكن للذهن أن يكون حراً من البارحة ومن المعتقدات التي اكتُسبت عبر سيرورة البارحة؟ هل تفهم السؤال؟ هل يمكنني كفرد وأنت كفرد أن نعيش في هذا المجتمع ونكون أحراراً من المعتقدات التي نشأنا عليها؟ هل يمكن للذهن

أن يكون حراً من كل تلك المعرفة، وكل تلك السلطة؟ نقرأ الكتب المقدسة المختلفة، والكتب الدينية. وصفوا فيها بعناية كبيرة ما يجب فعله، ما لا يجب فعله، وكيفية تحقيق هدف، وما هو الهدف وما هو الله؟ تعرفون جميعكم هذا عن ظهر قلب ولقد قمتم بهذا. هذه هي معرفتكم، هذا ما قمتم باكتسابه، هذا ما قمتم بتعلمه؛ على الطريق الذي سرتم عليه. إنكم تلاحقونه وتنشدونه على ما يبدو، وستعثرون عليه.لكن هل هذا هو الحقيقة؟ أليس إسقاطاً لمعرفتكم الخاصة؟ إنه ليس الحقيقة. هل من الممكن إدراك هذا *الآن* - ليس غداً - وتقولون: "نرى حقيقة الأمر"، وتتركونه، بحيث لا يُشل ذهنكم بسيرورة التخيل أو الإسقاط هذه؟

هل العقل قادر على التحرر من الإيمان؟ لا يمكنكم أن تتحرروا من الإيمان إلا حين تفهمون الطبيعة الداخلية للأسباب التي تجعلكم تتمسكون به، لا الدوافع الواعية فحسب بل اللاواعية كذلك، التي تجعلكم تؤمنون. في النهاية، لسنا مجرد كيان سطحي يعمل على المستوى الواعي. نستطيع العثور على الأنشطة الواعية واللاواعية الأكثر عمقاً إذا منحنا الذهن اللاواعي فرصة، لأنه أكثر سرعة في الاستجابة من الذهن الواعي. حين يفكر ذهنك الواعي بهدوء، ويصغي ويراقب، يكون الذهن اللاواعي أكثر نشاطاً، وأكثر تيقظاً، وأكثر تلقياً؛ ويستطيع، بالتالي، أن يمتلك جواباً.هل يستطيع الذهن الذي أُخْضِع وخُوِّف، وأُجْبر على الإيمان أن يكون حراً كي يفكر؟ هل يستطيع النظر بنحو جديد ويزيل سيرورة العزل بيني وبين آخر؟ من فضلكم لا تقولوا إن الإيمان يجمع بين الناس. إنه لا يجمع. هذا واضح. لم يقم أي دين منظم بهذا من قبل. انظروا إلى أنفسكم في بلدانكم. أنتم جميعاً مؤمنون، ولكن هل أنتم جميعاً معاً؟ هل أنتم متحدون جميعاً؟ أنتم تعرفون أنكم لستم هكذا. أنتم منقسمون إلى أحزاب كثيرة تافهة، وطبقات مغلقة؛ تعرفون الانقسامات التي لا تُحصى. تجري السيرورة نفسها في أنحاء العالم - سواء في الشرق أو الغرب - فالمسيحيون

يقضون على المسيحيين، يقتلون بعضهم بعضاً من أجل أمور تافهة صغيرة، دافعين البشر إلى المعسكرات وإلى أهوال الحرب. بالتالي، إن الإيمان لا يوحّد البشر. إن هذا واضح جداً. إذا كان هذا صحيحاً وواضحاً، وإذا كنتم ترونه، إذاً يجب أن يُتّبع. ولكن الصعوبة هي أن معظمنا لا يرون، لأننا غير قادرين على مواجهة غياب الأمان الداخلي، والإحساس الداخلي بالوحدة. نريد شيئاً نتكئ عليه، سواء كان الدولة أو الطبقة أو القومية أو المعلم أو المخلص أو أي شيء آخر. وحين نرى زيف كل هذا، يكون الذهن عندئذ قادراً على ـ يمكن أن يكون قادراً مؤقتاً ولثانية ـ رؤية حقيقة الأمر؛ على الرغم من أنه حين يكون الأمر كثيراً فإن عليه أن يتراجع. ولكن أن نرى بشكل مؤقت كاف؛ إذا كنتم قادرين على رؤية ذلك لثانية عابرة، فهذا كاف؛ لأنكم سترون عندئذ شيئاً فائقاً للعادة يحدث. يكون اللاوعي في حالة عمل، على الرغم من أن الوعي يمكن أن يرفض. ليست ثانية متوالية؛ ولكن الثانية هي الشيء الوحيد، وسيكون لها نتائجها، على الرغم من الذهن الواعي الذي يصارع ضدها.

وهكذا فإن سؤالنا: "هل من الممكن للذهن أن يكون حراً من المعرفة والإيمان؟" أليس الذهن مصنوعاً من المعرفة والإيمان؟ أليس الإيمان والمعرفة بنية الذهن؟ إن الإيمان والمعرفة هما سيرورتا التعرف، مركز الذهن. إن السيرورة مغلقة، واعية وغير واعية. هل يستطيع العقل أن يتحرر من بنيته؟ هل يستطيع التوقف عن الوجود؟ هذه هي المشكلة. إن الذهن كما نعرفه يمتلك الإيمان خلفه، يمتلك الرغبة، والإلحاح كي يكون آمناً، يملك المعرفة، ومراكمة القوة. إذا كان المرء، رغم كل قوته وتفوقه، لا يستطيع أن يفكر لذاته، لا يمكن أن يكون هناك سلام في العالم. يمكن أن تتحدثوا عن السلام، أن تؤسسوا الأحزاب السياسية، أن تصيحوا عن الأسطحة؛ ولكنكم لن تستطيعوا الحصول على السلام؛ لأن الأساس الذي يخلق التناقض، الذي يعزل ويفرّق هو في العقل. إن رجل سلام جدياً، لا

يستطيع أن يعزل نفسه ومع ذلك يتحدث عن الأخوّة والسلام. إنها لعبة، سياسية أو دينية فقط، إحساس بالإنجاز والطموح. فالإنسان الجدي حقاً حيال هذا، الذي يريد أن يكتشف، عليه أن يواجه مشكلة المعرفة والإيمان؛ يجب أن يذهب إلى ما وراءها، أن يكتشف سيرورة الرغبة القائمة، الرغبة بالأمن، والرغبة باليقين كلّها.

إن الذهن الذي يكون في حالة يمكن أن يحدث فيها الجديد ـ سواء كان الحقيقة، أو الله، أو ما تشاؤون ـ يجب أن يتوقف عن الاكتساب، والجمع؛ يجب أن يضع جانباً المعرفة كلها. أما الذهن المثقل بالمعرفة فلا يستطيع أن يفهم ما هو حقيقي، ما هو غير قابل للقياس.

الفصل السابع

جهد

إن حياتنا كلها تستند إلى جهد، وإلى نوع ما من الإرادة.لا نستطيع تصور فعل دون إرادة، ودون جهد؛ إن حياتنا مستندة إليهما.إن حياتنا الاجتماعية، والاقتصادية، وما تُدعى بالروحية، هي سلسلة من الجهود، تُتوَّج دوماً في نتيجة معيّنة. نعتقد أن الجهد جوهري، وضروري.

لماذا نبذل جهداً؟ أليس، إذا ما عبّرنا ببساطة، من أجل أن نحقّق نتيجة، أن نصبح شيئاً ما، أن نصل إلى هدف؟ إذا لم نبذل جهداً، نعتقد أننا سنراوح في مكاننا. لدينا فكرة عن الهدف الذي نسعى نحوه جاهدين باستمرار؛ وأصبح هذا الكفاح جزءاً من حياتنا. إذا أردنا أن نبدل أنفسنا، إذا أردنا أن نحدث تغيّراً جذرياً في أنفسنا، نبذل جهداً ضخماً كي نزيل العادات القديمة، كي نقاوم التأثيرات البيئية المعتادة وهلمجرّا. وهكذا فنحن معتادون على هذه السلسلة من الجهود كي نجد أو ننجز شيئاً ما، كي نعيش في النهاية.

أليس كل جهد كهذا نشاطاً ذاتياً؟ أليس الجهد نشاطاً أنانياً؟ إذا بذلنا جهداً من مركز الذات، فإن هذا ينتج، لا محالة، المزيد من الصراع، والمزيد من الفوضى، والمزيد من البؤس. مع ذلك نواصل بذل جهد بعد آخر. لكن قلة منا تدرك أن نشاط الجهد الأناني لا يحل أياً من مشكلاتنا.على العكس، يزيد من تشوشنا وبؤسنا وأسانا. نعرف هذا؛ ومع ذلك نتابع آملين أن يبرز شيء ما عبر نشاط الجهد الأناني هذا، والذي هو فعل إراديٌّ.

أعتقد أننا سنفهم دلالة الحياة، إذا فهمنا ما يعنيه القيام بجهد. هل تأتي السعادة عبر الجهد؟ هل سبق وحاولتم أن تكونوا سعداء؟ هذا مستحيل، أليس كذلك؟ تصارعون لكي تكونوا سعداء وليس هناك سعادة،

أليس كذلك؟ المتعة لا تـأتي عـبر الكبـت، والسيطرة أو إشباع الرغبات. يمكن أن تشبعوها لكن هناك مرارة في النهاية. يمكن أن تكبتوا وتتحكموا، لكن هناك دوماً صراع في الخفاء. بالتالي لا تأتي السعادة عبر الجهد، ولا تأتي المتعة عبر الكبت أو التحكم؛ مع ذلك، إن حياتنا سلسلة من الارتكابات التي تستدعي الندم. هناك أيضاً انتصار دائم، صراع دائم مع عواطفنا، وجشعنا وغبائنا. وهكذا ألا نجاهد، ونصارع، ونبذل جهداً، آملين أن نعثر على السعادة، على شيء يمنحنا شعوراً بالطمأنينة، إحساساً بالحب؟ مع ذلك هل يأتي الحب أو الفهم عبر الصراع؟ أعتقد أنه من المهمّ جداً فهم ما نعنيه بالصراع، والجهاد، أو الجهد.

ألا يعني الجهد صراعاً لتغيير ما هو موجود إلى ما ليس موجوداً، أو إلى ما يجب أن يكون، أو ما يجب أن يصبح؟ هذا يعني أننا نصارع باستمرار كي نتجنب مواجهة ما هو موجود، أو نحاول أن نهرب منه أو أن نحوّله ونعدّله. إن الإنسان القانع حقاً هو الإنسان الذي يفهم ما هو موجود، ويضفي أهمية حقيقية على ما هو موجود. هذه قناعة حقيقية؛ فهو غير مكترث بالحصول على ممتلكات قليلة أو كثيرة وإنما بفهم الدلالة الكاملة لما هو موجود؛ ولا يمكن أن يحصل هذا إلا حين يعرف ما هو موجود، حين يكون واعياً له، وليس حين يحاول أن يعدله أو يغيّره.

هكذا نرى أن الجهد نضال أو صراع لتحويل ما هو موجود إلى شيء ترغب بأن يكونه. أنا أتحدث فقط عن الصراع النفسي، وليس الصراع مع مشكلة مادية، كمثل الهندسة أو اكتشاف ما، أو تحويل تقني صرف. أنا أتحدث فقط عن الصراع الذي هو نفسيٌّ والذي يتغلب دوماً على التقني. يمكن أن تبنوا بعناية كبيرة مجتمعاً مدهشاً، مستخدمين المعرفة اللانهائية التي قدمها لنا العلم. ولكن طالما أن الصراع والكفاح والمعركة النفسية غير مفهومين ولا يتم التغلب على التيارات والألوان النفسية، فإن بنية المجتمع، مهما بُنيت على نحو مدهش، ستتحطم، كما حدث مرة بعد أخرى.

إن الجهد انحراف عن ما هو موجود. ففي اللحظة التي أقبل فيها ما هو موجود ينتفي الصراع. فأي شكل للصراع أو الكفاح هو مؤشر على الانحراف؛ والانحراف، الذي هو الجهد، يجب أن يوجد طويلاً طالما أنني أرغب نفسياً بأن أحوّل ما هو موجود إلى شيء ليس موجوداً.

أولاً، يجب أن نكون أحراراً كي نرى أن المتعة والسعادة لا تأتيان عبر الجهد.هل الخلق عبر الجهد، أم هناك خلق فحسب بعد توقف الجهد؟ متى تؤلفون أو ترسمون أو تغنون؟ متى تبدعون؟ يحدث هذا حين لا يكون هناك جهد، حين تكونون منفتحين بشكل كامل، حين على جميع المستويات أنتم في اتصال كامل، ومتكاملين بشكل كامل. عندئذ تتولّد متعة وتبدؤون الغناء، أو نظم قصيدة، أو الرسم، أو صناعة شيء ما. إن لحظة الإبداع لا تولد من الصراع.

إذا فهمنا مسألة الإبداع ربما سنقدر على فهم ما نعنيه بالجهد. هل الإبداع نتيجة جهد، وهل نحن واعون في تلك اللحظات التي نكون فيها مبدعين؟ أم هل الإبداع إحساس بالنسيان الكلي للذات، ذلك الإحساس حين لا يكون هناك فوضى، حين يكون المرء غير واع بنحو كامل لحركة الفكر، حين لا يكون هناك إلا وجود غني، ممتلئ وكامل؟ هل تلك الحالة نتيجة الكدح، والكفاح، والصراع، والجهد؟ لا أعلم إن حدث ولاحظتم أنكم حين تفعلون شيئاً ما بسهولة، وسرعة، لا يكون هناك جهد، هناك غياب كامل للصراع؛ ولكن بما أن حياتنا هي تقريباً سلسلة من المعارك، والصراعات، والكفاحات، فإننا لا نستطيع أن نتخيل حياة، وحالة وجود، يتوقف فيها الصراع على نحو كامل.

كي يفهم المرء حالة الوجود التي بلا صراع، حالة الوجود الإبداعي تلك، يجب عليه أن يتحقق من مشكلة الجهد كلها. نعني بالجهد الصراع كي نحقق ذاتنا، كي نصبح شيئاً ما، أليس كذلك؟ أنا هذا، وأريد أن أصبح ذاك؛ أنا لست ذاك، ويجب أن أصبح ذاك. كي أصبح ذاك، هناك

صراع، ومعركة، وكفاح. وفي هذا الصراع نحن محبوسون في التحقق عبر الحصول على غاية؛ نروم التحقق الذاتي في موضوع، في شخص، في فكرة، ويتطلب هذا معركة مستمرة، وصراعاً، وجهداً كي نصير، وكي نتحقق. وهكذا نقوم بهذا الجهد كأمر محتوم؛ وأتساءل إن كان هذا الصراع كي نصبح شيئاً ما حتميّاً؟ لماذا هناك هذا الصراع؟ أين الرغبة بالتحقق، في أية درجة وعلى أي مستوى، يجب أن يكون هناك صراع. إن التحقق هو الحافز، الدافع خلف الجهد؛ هناك معركة تجري من أجل الصيرورة، والتحقق يجريها المدير التنفيذي الكبير، أو ربة منزل أو شخص فقير.

لماذا هناك رغبة لتحقيق الذات؟ تنشأ الرغبة بالتحقق، كي تصبح شيئاً ما، حين يكون هناك وعي بأنك لا شيء. ولأنني لا شيء، لأنني غير كاف، وفارغ، وفقير من الداخل، أصارع كي أصبح شيئاً ما؛ أصارع خارجياً أو داخلياً كي أحقق نفسي في شخص، في شيء ما، في فكرة. إن سيرورة وجودنا كلها هي لملء ذاك الفراغ. كوننا واعين أننا فارغون، وفقراء من الداخل، نصارع إما من أجل أن نجمع الأشياء خارجياً، أو لكي نصقل الثروات الداخلية. هناك جهد فقط حين يكون هناك هرب من الفراغ الداخلي عبر الفعل، والتأمل، والاكتساب، والإنجاز، والقوة، وهلمّجرّا. هذا هو وجودنا اليومي. أنا واع لعدم تحقّقي، لبؤسي الداخلي، وأصارع كي أهرب منهما. إن هذا الهرب، والتجنب، أو محاولة تغطية الفراغ، يستلزمون الصراع، والكفاح والجهد.

إذا لم يبذل المرء جهداً كي يهرب، ماذا يحدث؟ يعيش المرء تلك الوحدة، وذلك الفراغ؛ وبقبوله لذلك الفراغ سيجد أنه تأتي حالة إبداعية، لا علاقة لها بالصراع، وبالجهد. ثمة جهد فقط طالما نحن نحاول تجنب تلك الوحدة الداخلية، والفراغ، ولكن حين ننظر إليه، ونلاحظه، حين نقبل ما هو موجود دون تجنب، سنجد أنه تأتي حالة وجود يتوقف فيها الصراع. إن حالة الوجود تلك هي الإبداع وليست نتيجة الصراع.

ولكن حين نفهم ما هو موجود، الذي هو الفراغ، اللاتحقق الداخلي، حين يعيش المرء مع اللاتحقق ويفهمه بعمق، تأتي الحقيقة الإبداعية، والذكاء الإبداعي، الذي وحده يحقّق السعادة.

بالتالي، إن الفعل كما نعرفه هو في الواقع رد فعل؛ إنه صيرورة لا تتوقف، والتي هي إنكار، وتجنب لما هو موجود؛ ولكن حين يكون هناك وعي للفراغ دون خيار، دون شجب أو تبرير، عندئذ في فهم ما هو موجود هناك فعل، وهذا الفعل هو وجود إبداعي. ستفهمون هذا إذا كنتم واعين لأنفسكم في الفعل. راقبوا أنفسكم وأنتم تفعلون، ليس خارجياً فحسب وإنما شاهدوا أيضاً حركة أفكاركم وشعوركم. حين تكونون واعين لهذه الحركة سترون أن سيرورة التفكير، والتي هي أيضاً شعور وفعل، تستند إلى فكرة الصيرورة. لا تنشأ فكرة الصيرورة إلا حين يكون هناك إحساس بغياب الأمان الذي يأتي حين يكون المرء واعياً للفراغ الداخلي. إذا كنتم واعين لسيرورة التفكير والشعور تلك سترون أن هناك معركة متواصلة قائمة، وجهد لتغيير، وتعديل، وتبديل ما هو موجود. إن هذا الجهد هو جهد أن نصير، والصيرورة هي تجنب مباشر لما هو موجود. وعبر معرفة الذات، والوعي المستمر، ستجدون أن الصراع، والمعركة، وصراع الصيرورة، يقودون إلى الألم، والأسى والجهل. إذا وعيتم اللاتحقق الداخلي وعشتم معه دون هرب، وقبلتموه كلياً، ستكتشفون هدوءاً فائقاً للعادة، هدوءاً ليس مركّباً أو مصنوعاً، وإنما هدوء يأتي مع فهم ما هو موجود. وفي حالة الهدوء تلك هناك وجود إبداعي فحسب.

الفصل الثامن

تناقض

نرى التناقض فينا وحولنا؛ لأننا متناقضون، نشعر بغياب الطمأنينة فينا وبالتالي نشعر بهذا الغياب حولنا. فينا حالة مستمرة من النكران والجزم: ما نريد أن نكونه وما نحن. ينشأ عن حالة التناقض صراع لا يؤدي إلى سلام، وهو حقيقة واضحة، وبسيطة. إن هذا التناقض الداخلي يجب ألا يُترجم إلى نوع من الثنائية الفلسفية، لأن هذا هرباً سهلاً جداً. حين نقول إن التناقض حالة ثنائية نعتقد أننا قمنا بحله، إلا أن هذا مجرد عرف، مجرد هرب من الواقع يقدم لنا المساعدة.

ما الذي نعنيه بالصراع، والتناقض؟ لماذا هناك تناقض في داخلي؟ لماذا هذا الصراع المستمر كي أكون شيئاً منفصلاً عما أنا؟ أنا هذا، وأريد أن أكون ذاك. إن التناقض الذي في داخلنا حقيقة، وليس ثنائية ميتافيزيقية. لا أهمية للميتافيزيقيا في فهم ما هو موجود. نستطيع أن نناقش، مثلاً، الثنائية، وما هي، إن وجدت، ولكن ما قيمتها إذا لم نعرف أن هناك تناقضاً في داخلنا، ورغبات واهتمامات متعارضة؟ أريد أن أكون جيداً بيد أنني غير قادر على ذلك. إن هذا التناقض، هذا التضاد في داخلنا، يجب أن يُفهم لأنه يسبب الصراع؛ وفي الصراع لا نستطيع أن نخلق فردياً. لنكن واضحين حيال الحالة التي نحن فيها. هناك تناقض، وهكذا يجب أن يكون هناك صراع؛ إن الصراع دمار، خراب. في تلك الحالة لا نستطيع أن ننتج أي شيء سوى العداء، والصراع، ومزيداً من المرارة والأسى. إذا كان بوسعنا أن نفهم هذا بشكل كامل ونكون أحراراً من التناقض، عندها يتحقق السلام الداخلي، الذي يؤدي إلى أن يفهم بعضنا بعضاً.

هذه هي المشكلة. إن رؤية ذلك الصراع مدمرة، ومخربة. لماذا يوجد داخل كل منا تناقض؟ لفهم هذا، يجب أن نتقدم قليلاً إلى أبعد. لماذا

هناك إحساس برغبات متعارضة؟ لا أعرف إن كنا واعين في أنفسنا: لهذا التناقض، ولهذا الإحساس بالرغبة، ولتذكر شيء ما ومحاولة نسيانه من أجل العثور على شيء ما جديد. راقبوه فحسب. إنه بسيط وعادي جداً. ليس شيئاً فائقاً للعادة. إن هناك تناقضاً في الواقع. إذاً لماذا ينشأ هذا التناقض؟

ماذا نعني بالتناقض؟ هل ينطوي على حالة غير دائمة تعارضها حالة أخرى غير دائمة؟ أعتقد أنني أمتلك رغبة دائمة، تولد في نفسي رغبة دائمة وتنشأ رغبة أخرى تعارضها؛ إن هذا التعارض يولّد الصراع، الذي هو دمار. أي هناك إنكار مستمر لرغبة المرء من قبل رغبة أخرى، سعيٌ يغلبه سعيٌ آخر. هل هناك شيء ما كالرغبة الدائمة؟ أكيدٌ أنّ الرغبة كلها غير دائمة، ليس ميتافيزيقياً، وإنما واقعياً. أريد وظيفة. أي أبحث عن وظيفة معيّنة كوسيلة للسعادة؛ وحين أحصل عليها لا أشعر بالرضا. أريد أن أصبح المدير، ثم المالك، وهلمّجرًا، ليس في هذا العالم فحسب، وإنما في ما يُدعى بالعالم الروحي كذلك، إن المدرّس يصبح المدير، ويصبح القس كبير الأساقفة، والطالب المعلّم.

إن هذه الصيرورة المتواصلة، الانتقال من حالة إلى أخرى، يولّد التناقض، أليس كذلك؟ بالتالي، لماذا لا ننظر إلى الحياة ليس كرغبة مستمرة واحدة وإنما كسلسلة من الرغبات العابرة التي يعارض بعضها بعضاً دوماً؟ من هنا لا يحتاج الذهن إلى أن يكون في حالة تناقض.إذا لم أعدّ الحياة كرغبة دائمة وإنما كسلسلة من الرغبات المؤقتة التي تتغير باستمرار، عندها لا يوجد تناقض.

لا ينشأ التناقض إلا حين يمتلك الذهن نقطة رغبة ثابتة؛ أي حين لا يعتبر الذهن أن الرغبة كلها متحركة، عابرة، بل يتمسك برغبة واحدة ويجعل هذا استمرارية، عندئذ فحسب، حين تولد رغبات أخرى، يكون هناك تناقض. ولكن جميع الرغبات هي في حركة مستمرة، ليس هناك

تثبيت للرغبة. ليس هناك نقطة ثابتة في الرغبة؛ ولكن الذهن يؤسس نقطة ثابتة لأنه يعامل كل شيء كوسيلة للوصول، وللكسب؛ ويجب أن يكون هناك تناقض، وصراع، طالما أن المرء يصل. تريد أن تصل، تريد أن تنجح، تريد أن تعثر على إله مطلق أو حقيقة تسبب لك إشباعاً دائماً. بالتالي، أنت لا تنشد الحقيقة، لا تنشد الله. أنت تسعى إلى إشباع دائم، إشباع تغلّفه بفكرة، بكلمة تبدو محترمة كمثل الله، والحقيقة؛ ولكننا في الواقع نسعى جميعاً إلى الإشباع، ونضع ذلك الإشباع، وذلك الرضا، في النقطة الأعلى، ندعوه الله، وندعو النقطة السفلى الشراب. بالتالي، طالما أن الذهن يسعى إلى الإشباع، ليس هناك فرق كبير بين الله والشراب. إن الشراب يمكن أن يكون سيئاً اجتماعياً؛ ولكن الرغبة الداخلية بالإشباع، بالكسب، هي أكثر أذى، أليس كذلك؟ إذا كنت حقاً تريد العثور على الحقيقة، يجب أن تكون في غاية الصدق، ليس لغوياً فحسب؛ يجب أن تكون واضحاً بنحو فائق للعادة، ولا يمكن أن تكون واضحاً إذا كنت لا ترغب بمواجهة الحقائق.

ما الذي يسبب التناقض في كل منا؟ إنها الرغبة في أن نصير شيئاً ما، أليس كذلك؟ كلنا نريد أن نصبح شيئاً ما: أن نكون ناجحين في العالم وأن نحقق، داخلياً، نتيجة. بالتالي، طالما أننا نفكر من حيث الزمن، من حيث الإنجاز، من حيث المنصب، يجب أن يكون هناك تناقض. إن الذهن هو نتاج الزمن. إن الفكر يستند إلى البارحة، إلى الماضي؛ بالتالي، طالما أن الفكر يعمل في حقل الزمن، ويفكر من زاوية المستقبل، والصيرورة، والكسب، والإنجاز، سيكون هناك تناقض، لأننا نصبح عندئذ غير قادرين على أن نواجه بالضبط ما هو موجود. ففي الإدراك، في الفهم، في كوننا واعين دون خيار لما هو موجود فحسب، ثمة احتمال للتحرر من العامل المفكّك الذي هو التناقض.

بالتالي، من الجوهري أن نفهم سيرورة تفكيرنا كلها، لأننا نعثر على التناقض فيها. فقد صار الفكر نفسه تناقضاً لأننا لم نفهم السيرورة الكاملة

لأنفسنا؛ وذلك الفهم ممكن فقط حين نكون واعين بشكل كامل لفكرنا، ليس كمراقب يعمل على فكره فحسب، ولكن بشكل متمم ودون خيار. وهذا أمر شاق جداً. عندئذ فحسب يحدث حل لذلك التناقض المعيق والمؤلم جداً.

طالما أننا نحاول أن نحقّق نتيجة نفسية، طالما أننا نريد أمناً داخلياً،يجب أن يكون هناك تناقض في حياتنا. لا أعتقد أن معظمنا يعون هذا التناقض؛ أو إذا كنا نرى دلالته الحقيقية. على العكس، يمنحنا التناقض دافعاً للحياة؛ يجعلنا عنصر التشظي نفسه نشعر بأننا أحياء. فالجهد، صراع التناقض، يمنحنا إحساساً بالحيوية. لهذا نحب الحروب، لهذا نستمتع بمعركة الإحباطات. طالما أن هناك رغبة كي نكون آمنين نفسياً، يجب أن يكون هناك تناقض؛ وحيث هناك تناقض، لا يمكن أن يكون هناك ذهن هادئ. إن هدوء الذهن جوهري لفهم دلالة الحياة كلها. فالفكر لا يمكن أن يكون هادئاً؛ إن الفكر، الذي هو نتاج الزمن، لا يمكن أن يعثر أبداً على ما هو لازماني، لا يستطيع أن يعرف أبداً ما هو وراء الزمن. إن طبيعة تفكيرنا نفسه هي تناقض، لأننا دائماً نفكر من زاوية الماضي أو المستقبل؛ بالتالي لا نعرف أو ندرك الحاضر على نحو كامل أبداً.

أن نكون مدركين بشكل كامل للحاضر مهمة في غاية الصعوبة لأن الذهن غير قادر على مواجهة الحقيقة مباشرة ومن دون خداع. إن الفكر هو نتاج الماضي وبالتالي لا يمكن أن يفكر إلا من زاوية الماضي أو من زاوية المستقبل؛ لا يمكن أن يكون واعياً بنحو كامل لحقيقة في الحاضر. وهكذا، طالما أن الفكر، الذي هو نتاج الماضي، يحاول أن يزيل التناقض وكل المشكلات التي يخلقها، يقوم فقط بالسعي وراء نتيجة، محاولاً أن ينجز غاية، إن تفكيراً كهذا لا يخلق إلا المزيد من التناقض وبالتالي الصراع، والبؤس والتشوش فينا، وحولنا.

يجب على المرء أن يكون واعياً للحاضر دون خيار كي يتحرر من التناقض. كيف يمكن أن يكون هناك خيار حين تواجهك حقيقة؟ إن فهم

الحقيقة يصبح مستحيلاً طالما أن الفكر يحـاول أن يعمـل علـى حقيقـة مـن حيث الصيرورة، والتغير، والاستبدال.بالتالي، إن معرفة الذات هي بدايـة الفهـم؛ دون معرفـة للذات،سيـستمر التنـاقض والـصراع. لمعرفـة الـسيرورة كلها،والذات الكليّة، لا يتطلب الأمر أي خـبير، وأيـة سـلطة. إن الـسعي وراء السلطة لا يولّد إلا الخوف.ليس هناك خبير،أو أخصّائي، يستطيع أن يبيّن لنا كيف نفهم سيرورة الذات.على المرء أن يدرسها لوحـده.أنـا وأنـت نستطيع أن نساعد بعضنا بعضاً عبر التحدث عنها، لكن لا أحـد يـستطيع كشفها لنا، لا أخصائي، ولا معلم يـستطيع أن يكـشفها لنـا. ولا يمكـن أن نعيها إلا في علاقتنا: علاقتنا مـع الأشـياء، والملكيـة، والنـاس، والأفكـار. سنكتشف في العلاقة أن التناقض ينشأ حين يقرب الفعـل نفسه إلى فكـرة. إن الفكرة هي مجـرد تبلـر الفكـر كرمـز، ومحاولـة الاقتـداء بـالرمز تـسبب التناقض.

بالتالي، طالما أن هناك نموذجاً للفكر، سيـستمر التنـاقض؛ كـي ننهـي النموذج، والتناقض، يجب أن تكون هنـاك معرفـة للـذات. إن هـذا الفهـم للذات ليس سيرورة مقتصرة على القلة.يجب أن تُفهـم الـذات في أحاديثنـا اليومية،في طريقة تفكيرنا وشعورنا، في الطريقة التي ننظر بها إلى آخـر. إذا كنـا نـستطيع أن نكـون واعـين لكـل فكـرة، وكـل شـعور، مـن لحظـة إلى أخرى،عندها سنرى أنه في العلاقة تُفهم طرق الذات. عندئذ فحسب هنـاك إمكانيـة لهـدوء الـذهن ذاك الـذي فيـه وحـده يمكـن أن تتحقـق الحقيقـة المطلقة.

الفصل التاسع

ما هي الذات؟

هـل نعـرف مـا نعنيـه بالـذات؟ أعـني بالـذات الفكـرة، والـذاكرة، والاسـتنتاج، والتجربـة، والأشـكال المختلفـة للنوايـا القابلـة وغـير القابلـة للتسمية، والمحاولـة الواعيـة كـي نكـون أو لا نكـون، والـذاكرة المتراكمـة للاوعي، والعرق، والجماعة،والفرد، والطائفة، وكـل ذلك،سواء تجلـى في الخارج، في الفعل، أو تجلى روحياً كفضيلة؛ إن الكفاح من أجل كـل هـذا هو الذات.فهي تنطوي على التنافس، والرغبـة بـأن نكـون.إن الـذات هـي هذه السيرورة كلها؛ ونعرف بالفعل أنهـا شـيء شـرير حـين تواجهنـا.أنـا أستخدم كلمة "شرير" قصداً، لأن الذات مفرّقة: الذات محاصـرة لنفسها: إن أنشطتها، مهما كانـت نبيلـة، هـي فاصـلة وعازلـة. نعـرف كـل هـذا. نعرف أيضاً تلك اللحظات الفائقـة للعـادة حـين تكـون الـذات غائبـة، ولا يكون هناك إحساس بالمحاولة، بالجهـد، إن هـذه اللحظـات تـأتي حـين يكون هناك حب.

يبدو لي أنه من الضروري أن نفهم كيف تقوّي التجربة الذات. إذا كنـا جديين، يجب أن نفهم مشكلة التجربة هذه. فما الـذي نعنيـه بالتجربـة؟ نمتلك طـول الوقـت التجربـة، والانطباعـات؛ ونترجـم هـذه الانطباعـات، ونتصرف أو نفعل وفقاً لها؛ نحن نحسب، نمكر، وهلمّجـرًا.هنـاك التـأثير المتبادل المتواصل بين ما يُرى موضوعياً ورد فعلنـا عليـه، والتـأثير المتبـادل بين الوعي وذكريات اللاوعي.

أقوم برد فعل على كل ما أراه بحسب ذكرياتي. إن التجربة تحـدث في سيرورة رد الفعل هذه على ما أراه، وأشعر به، وأعرفه، وأؤمن بـه، ألـيس كذلك؟ إن رد الفعل، الاستجابة إلى شيء تمـت مـشاهدته، تجربـة. حـين أراك، أقوم برد فعل؛ إن اسم رد الفعـل هـذا هـو التجربـة. إذا لم أسمِّ رد

الفعل لا يكون تجربة.راقبوا استجاباتكم وما يحدث حولكم. ليس هناك تجربة إذا لم تكن هناك سيرورة تسمية تحدث في الوقت نفسه.إذا لم أتعرف عليك، كيف يمكن أن أمرّ في تجربة اللقاء معك؟ يبدو الأمر بسيطاً وصائباً. أليس حقيقة؟ هذا إذا لم أقم برد فعل وفقاً لذكرياتي، ووفقاً لحالتي المشروطة، ووفقاً لآرائي المسبّقة، كيف سيتيسّر لي أن أعرف أنني امتلكت تجربة؟

ثم هناك تجلي الرغبات المتنوعة.أرغب بأن أحصل على الحماية،وأن أحظى بأمن داخلي؛ أو أرغب بالحصول على معلم، معلم روحي، أستاذ؛ إله؛ وأجرب ما قمت بإسقاطه؛ أي أنني أسقطت رغبة اتخذت شكلاً، وأعطيتها اسماً؛ وأقوم برد فعل على هذا.إنه من إسقاطي، من تسميتي. إن تلك الرغبة التي تمنحني تجربة تجعلني أقول: "أمتلك تجربة، " لقد التقيت بالمعلم"، أو "لم ألتق بالمعلم". أنتم تعرفون السيرورة الكاملة لتسمية التجربة، إن الرغبة هي ما تسمونه تجربة، أليس كذلك؟

حين أرغب بصمت الذهن، ما الذي يحدث؟ ماذا يحدث؟ أرى أهمية امتلاك ذهن صامت، ذهن هادئ، لأسباب متنوعة؛ لأن **الأبانيشادز** قالت هكذا، لأن الكتب المقدسة المختلفة قالت هكذا، لأن القديسين قالوا هكذا، أشعر أحياناً أنا نفسي أيضاً كم هو جيد أن أكون هادئاً، لأن ذهني ودّي جداً طول اليوم. أحياناً أشعر كم هو ظريف، كم هو ممتع الحصول على ذهن مسالم، ذهن صامت. إن الرغبة هي تجريب الصمت. أريد أن أمتلك ذهناً صامتاً، وهكذا أسأل: "كيف أستطيع الحصول عليه؟" أعرف ما يقوله هذا الكتاب أو ذاك عن التأمل، وأشكال الانضباط المختلفة. وهكذا عبر الانضباط أسعى كي أجرّب الصمت. إن الذات، "الأنا" أسست بالتالي نفسها في تجربة الصمت.

أريد أن أفهم ما هي الحقيقة؛ هذه رغبتي، توقي؛ ثم يتبع إسقاطي لما أُعدّه الحقيقة، لأنني قرأت الكثير عنه؛ سمعت كثيراً من الناس يتحدثون

عنه؛ ولقد وصفته النصوص الدينية. أريد كل هذا. ماذا يحدث؟ إن الرغبة ذاتها أُسقطت، وأجرّب لأنني أعرف تلك الحالة المسقطة. لو لم أعرف تلك الحالة، لما دعوتها الحقيقة. أعرفها وأجربها؛ وتلك التجربة تمنح القوة للذات، لـ "الأنا"، أليس كذلك؟ من ثمّ تصبح الذات متخندقة في التجربة. عندها تقول: " أعرف"، "المعلم موجود"، " هناك إله"، "أو ليس هناك إله"؛ تقول إن نظاماً سياسياً معيناً صائب والجميع ليسوا كذلك.

بالتالي، إن التجربة تقوّي دوماً "الأنا". كلما كنت متخندقاً في تجربتك، ازدادت قوة الذات. نتيجة لهذا، تمتلك قوة شخصية معينة، وقوة معرفية، وإيماناً تظهرهم لأشخاص آخرين لأنك تعرف أنهم ليسوا أذكياء مثلك، لأنك تمتلك موهبة القلم أو الكلام وتتصف بالذكاء. لأن الذات ما تزال تعمل، وهكذا فإن معتقداتك، ومعلميك، وطبقاتك المغلقة، ونظامك الاقتصادي يمارسون عملية عزل، بالتالي يسببون الصراع. يجب، إن كنت جاداً في هذا، أن تحل المركز بنحو كامل ولا تبرره، لهذا يجب أن تفهم سيرورة التجربة.

هل من الممكن للذهن، للذات، ألا تُسقط، ألا ترغب، ألا تجرّب؟ نرى أن تجارب الذات كلّها هي نفي، ودمار، ومع ذلك نعتبرها فعلاً إيجابياً؟ هذا ما ندعوه طريقة الحياة الإيجابية. أن تنهي هذه السيرورة كلها هو، بالنسبة إليك، نفي. هل أنت مصيب في هذا؟ هل نستطيع، أنا وأنت، كفردين، أن نذهب إلى جذر المسألة ونفهم سيرورة الذات؟ والآن ما الذي يسبب تحلّل الذات؟ لقد قدمت الجماعات الدينية والجماعات الأخرى التماهي، أليس كذلك؟ " تماهَ مع شيء أكبر، فتختفي الذات"، هذا ما يقولونه. إن التماهي ما يزال سيرورة الذات؛ إن ما هو أكبر هو ببساطة إسقاط لـ" الأنا"، التي أجربها، وبالتالي يقوّي "الأنا".

إن أشكال الانضباط المتنوعة كلّها، كالإيمان والمعرفة تقوّي الذات فحسب. هل نستطيع العثور على عنصر يلغي الذات؟ أم هل هذا سؤال

خاطئ؟ هذا ما نريده بنحو أساسي. نريد العثور على شيء ما يلغي "الأنا"، أليس كذلك؟ نظن أن هناك وسائل متنوعة، وأعني، التماهي، والإيمان ...إلخ.؛ ولكن جميعها هي في المستوى نفسه؛ لا أحد منها متفوق على الآخر، لأنها كلها قوية وتسهم بشكل مساو في تقوية الذات، "الأنا". بالتالي، هل أستطيع رؤية "الأنا" أينما كانت تعمل، وأرى قواها المدمرة وطاقتها؟ أي اسم يمكن أن أمنحها، فهي قوة عازلة، وقوة مدمرة، وأريد أن أعثر على طريقة لحلّها. لا بد أنك طرحت هذا السؤال على نفسك ـ "أرى "الأنا" تعمل طول الوقت ودوماً تسبب القلق، والخوف، والإحباط، واليأس، والبؤس، ليس فقط لنفسي بل لكل من حولي. هل يمكن لتلك الذات أن تنحلّ، ليس جزئياً وإنما كلياً؟" هل نستطيع الوصول إلى الجذر وندمّرها؟ هذه هي الطريقة الوحيدة للعمل بصدق، أليس كذلك؟ لا أريد أن أكون ذكياً جزئياً وإنما ذكي بطريقة متكاملة. إن معظمنا أذكياء، ربما أنت بطريقة وأنا بطريقة ما أخرى. إن بعضكم أذكياء، أذكياء في عملكم التجاري، والبعض الآخر في العمل المكتبي، وهلمّجرًا؛ إن الناس أذكياء بطرق عديدة؛ ولكننا لسنا أذكياء بطريقة متكاملة. *أن تكون ذكياً بطريقة متكاملة يعني أن تكون بدون ذات*، هل هذا ممكن؟

هل من الممكن أن تكون الذات غائبة بشكل كامل؟ تعلمون أن هذا ممكن. ما هي المكوّنات الضرورية، والمتطلبات؟ ما العنصر الذي يسببه هذا؟ هل أستطيع العثور عليه؟ حين أطرح سؤال: "هل أستطيع العثور عليه؟" أنا مقتنع أنه ممكن؛ ولهذا أبدعت تجربة ستتم تقوية الذات فيها، أليس كذلك؟ يقتضي فهم الذات كمية كبيرة من الذكاء، وكمية كبيرة من التحكّم، واليقظة، والمراقبة بلا توقف، بحيث لا تنزلق. أنا، الذي في غاية الجدية، أريد أن أحل الذات. حين أقول هذا، أعلم أنه من

الممكن حل الذات. في اللحظة التي أقول فيها: " أريد أن ألغي هذا"، ففيه ما يزال هناك تجريب الذات؛ وهكذا تتم تقويتها. بالتالي كيف يمكن للذات ألا تُجرّب؟ يستطيع المرء أن يرى أن حالة الخلق ليست على الإطلاق تجربة الذات. إن الإبداع يحدث حين لا تكون الذات هناك، لأن الإبداع ليس فكرياً، ليس من عمل الذهن، غير مُسقط ذاتياً، هو شيء وراء كل تجريب. بالتالي هل ما يزال ممكناً للذهن أن يكون هادئاً تماماً، في حالة عدم تعرّف، أو عدم تجريب، كي يكون في حالة يمكن أن يحدث فيها الإبداع، الذي يحدث حين لا تكون الذات هناك، حين تكون الذات غائبة؟ هذه هي المشكلة، أليس كذلك؟ إن أية حركة للذهن، إيجابية أو سلبية، هي تجربة تقوّي بالفعل "الأنا".هل من الممكن للذهن ألا يعرف؟ لا يمكن أن يحدث هذا إلا إذا كان هناك صمت كامل، ولكن ليس الصمت الذي هو تجربة للذات والذي بالتالي يقوّيها.

هل هناك كيان بمعزل عن الذات، ينظر إلى الذات ويلغي الذات؟ هل هناك كيان روحي يبطل الذات ويدمّرها، وينحّيها جانباً؟ نعتقد أنه يوجد، أليس كذلك؟ يعتقد معظم المتدينيين أن هناك عنصراً كهذا. يقول المادي: "من المستحيل أن تُدمر الذات؛ يمكن فقط أن تُكيّف وتقيّد، سياسياً،واقتصادياً واجتماعياً؛ نستطيع أن نثبّتها بإحكام داخل نموذج معيّن ونستطيع أن نحطمها؛ وبالتالي يمكن جعلها تعيش حياة رفيعة، حياة أخلاقية، وألا تتدخل بأي شيء وتتبع النموذج الاجتماعي، وتعمل كآلة فقط". نعرف هذا. هناك آخرون، يُدعون بالمتدينيين - ليسوا في الحقيقة متدينيين، رغم أننا ندعوهم هكذا - يقولون: " جوهرياً، هناك عنصر كهذا. إذا استطعنا الاتصال معه، فسيلغي الذات".

هل هناك عنصر كهذا لإلغاء الذات؟ من فضلكم انظروا ما الذي نفعله.نحن نجبر الذات على البقاء في زاوية.إذا سمحتم لأنفسكم بأن

تُجبروا على أن تُحصروا في زاوية، سترون ما الذي يحدث. سنتمنّى أن يكون هناك عنصر لازماني، ليس من الذات، الذي، كما نأمل، سيأتي ويعترض الذات ويدمرها، والذي نسميه الإله. أهناك شيء يستطيع الذهن إدراكه؟ يمكن أن يكون هناك أو يمكن ألا يكون؛ هذه هي الفكرة. ولكن حين ينشد الذهن حالة لازمانية ستدخل في الفعل من أجل أن تقضي على الذات، أليس هذا شكلاً آخر من التجربة يقوّي "الأنا"؟ حين تؤمنون، أليس هذا ما يحدث بالفعل؟ حين تؤمنون أن هناك حقيقة، إلهاً، الحالة اللازمانية، الخلود، أليست هذه سيرورة تقوية للذات؟ لقد تصوّرتْ الذات ذلك الشيء الذي تشعر وتؤمن أنه سيأتي ويقضي على الذات. وهكذا، بعد أن تصوّرتَ فكرة الاستمرارية في حالة لازمانية ككيان روحي، تحصل على تجربة؛ وهذه التجربة تقوّي الذات فحسب؛ وبالتالي ما الذي قمت به؟ لم تقم في الواقع بالقضاء على الذات وإنما أعطيتها اسماً مختلفاً، صفة مختلفة فقط؛ إن الذات ما تزال هناك، لأنك جربتها. وهكذا إن فعلنا من البداية إلى النهاية هو الفعل نفسه، نفكر أنه يتطور، وينمو، ويصبح أكثر جمالاً؛ ولكن، إذا راقبت داخلياً، ستلاحظ أن الفعل نفسه يجري، "الأنا" نفسها تعمل على مستويات مختلفة بتسميات مختلفة، وأسماء مختلفة.

حين ترون السيرورة كلها، والمكر، والابتكارات الفائقة للعادة، وذكاء الذات، وكيف تغطي نفسها عبر التماهي، وعبر الفضيلة، وعبر التجربة، والإيمان، والمعرفة؛ حين ترون أن الذهن يتحرك في دائرة، في قفص من صنعه، ما الذي يحدث؟ حين تكونون واعين له، عارفين به بنحو كامل، حينها لا تكونون هادئين بنحو فائق للعادة، ليس عبر الإكراه، ليس عبر أي مكافأة، و أي خوف؟ حين تعرفون أن حركات الذهن كلّها هي مجرد شكل من تقوية الذات، حين تراقبونها، وترونها، حين تعونها بشكل كامل في الفعل، حين تأتون إلى تلك النقطة، عندها سترون أن الذهن، كونه هادئاً بنحو كامل، لا يمتلك قدرة على الإبداع. كل ما يبدعه الذهن

هو في دائرة، داخل مجال الذات. حين يكون الذهن غير مبدع يولد الإبداع، ويكون سيرورة لا تمكن معرفتها.

إن الحقيقة لا تُعرف. لكي نصل إلى الحقيقة يجب أن نتخلّى عن الإيمان، والمعرفة، والتجريب والسعي وراء الفضيلة. إن الفاضل الواعي للسعي وراء الفضيلة لا يستطيع أبداً العثور على الحقيقة. يمكن أن يكون شخصاً فاضلاً جداً؛ ولكن هذا يختلف عن كونه رجل حقيقة، رجلاً يفهم. بالنسبة إلى رجل الحقيقة، لقد وُلدت الحقيقة. إن الإنسان الفاضل فاضل، والفاضل لا يستطيع أبداً أن يفهم ما الحقيقة لأن الفضيلة بالنسبة إليه تغطية للذات، وتقوية لها،لأنه يسعى وراء الفضيلة. حين يقول: " يجب أن أكون من دون جشع"،فإن حالة اللاجشع التي يجرّبها تقوّي الذات فحسب. لهذا من الضروري أن نكون فقراء، ليس في أشياء العالم فحسب وإنما أيضاً في الإيمان والمعرفة. إن الشخص الذي يملك ثروات دنيوية، أو الإنسان الغني بالمعرفة والإيمان، لن يعرف أبداً أي شيء سوى الظلمة، وسيكون مركز الأذى والبؤس. ولكن إذا استطعت، أنا وأنتم، كأفراد، أن نرى هذا الاشتغال الكامل للذهن، عندها سنعرف ما هو الحب. أؤكد لكم أن هذا هو الإصلاح الوحيد الذي يمكن أن يغيّر العالم. لا حب الذات. إن الذات لا تستطيع الاعتراف بالحب.تقولون: " أحب"؛ ولكن عندئذ، في سيرورة القول ذاتها، في تجريبها ذاته، لا يكون الحب موجوداً. ولكن، حين تعرفون الحب، تغيب الذات. حين يكون هناك حب، لا تكون ذات.

الفصل العاشر

الخوف

ما الخوف؟ لا يمكن أن يوجد الخوف إلا في علاقة مع شيء ما، لا يمكن أن يوجد في عزلة. كيف يمكن أن أكون خائفاً من الموت، كيف يمكن أن أكون خائفاً من شيء ما أجهله؟ يمكن أن أخاف فقط مما أعرف.حين أقول إنني أخشى الموت، هل أكون خائفاً في الحقيقة من المجهول، الذي هو الموت، أم من فقدان ما عرفته؟ ليس خوفي من الموت وإنما من علاقتي مع أشياء أملكها. خوفي هو دوماً في علاقة مع المعلوم، وليس مع المجهول.

إن ما أبحث عنه الآن هو كيف أتحرر من الخوف من المعلوم، والذي هو الخوف من فقدان أسرتي، وسمعتي، وشخصيتي، وحسابي المصرفي، وشهواتي ..إلخ. يمكنكم القول إن الخوف ينشأ من الضمير؛ لكن ضميركم مشكّل من تكيّفكم، وهكذا فإن الضمير هو نتيجة المعلوم.ما الذي أعرفه؟ المعرفة هي امتلاك أفكار، وامتلاك آراء حول الأمور، وامتلاك إحساس بالاستمرارية كما في العلاقة مع المعلوم،لا أكثر. إن الأفكار ذكريات، نتيجة التجربة، التي هي استجابة للتحدي. أنا خائف من المعلوم، وهذا يعني أنني خائف من فقدان الناس، والأشياء أو الأفكار، أنا خائف من اكتشاف ما أنا، خائف من كوني ضائعاً، خائف من الألم الذي يمكن أن يولد حين أفقد أو لا أكسب أو لا أحصل على مزيد من المتعة.

هناك خوف من الألم. الألم الجسدي هو استجابة عصبية، ولكن الألم النفسي ينشأ حين أتمسك بالأشياء التي تحقق لي إشباعاً، عندئذ أخاف من أي شخص يمكن أن يأخذها مني.إن التراكمات النفسية تمنع الألم النفسي طالما أن لا شيء يزعجها؛ أي أنني مجموعة من التراكمات، والتجارب التي تمنع أي شكل جدي من الإزعاج وأنا لا أريد أن

أُزعج.بالتالي، أنا أخشى أي شخص يزعجني. بالتـالي إن خـوفي هـو مـن المعلوم، أنا خائف من التراكمـات، الجـسدية أو النفسية، الـتي جمعتهـا كوسيلة لدرء الألم أو منع الأسى. ولكن الأسـى يوجـد في سـيرورة التراكـم الهادفة لدرء الألم النفسي. وتساعد المعرفة أيضاً في منـع الألم. كمـا تـساعد المعرفة الطبية في منع الألم الجسدي، كذلك تساعد المعتقدات في منـع الألم النفسي، ولهذا أنا خائف من فقدان معتقداتي، رغم أنني لا أمتلـك معرفـة كاملة أو برهاناً ملموساً على حقيقة معتقدات كهذه. يمكن أن أرفض بعـض المعتقدات التقليدية التي فُرضت عليَّ لأن تجربتي الخاصّة تمنحني القـوة، والثقة، والفهم؛ ولكن المعتقدات والمعارف كالتي اكتسبتها هي وسائل لـدرء الألم.

ثمة خوف طالما هناك تراكم للمعلوم، إذ إنه يسبِّب خوفاً من الخـسارة. بالتالي إن الخوف من المجهول هو في الحقيقة خـوف مـن خـسارة المعلـوم المتراكم. إن التراكم يعني الخوف، الذي بـدوره يعـني الألم؛ وفي اللحظـة التي أقول فيها :" يجـب ألا أخـسر" هنـاك خـوف.وبـرغم أن مـا أقـصده بالتراكم هو أن أدرأ الألم، فإن الألم متـضمن في سـيرورة المراكمـة.ذلـك أن الأمور نفسها التي أمتلكها تسبِّب الخوف، الذي هو الألم.

إن بذرة الدفاع تسبب الهجوم.أريد أمناً ماديـاً؛ وهكـذا أُنـشئُ حكومـة ذات سيادة، الأمر الذي يقتضي جيشاً مسلحاً، مما يعـني الحـرب، الـتي تقـضي علـى الأمـن. أينمـا كانـت هنـاك رغبـة لحمايـة الـذات، يوجـد خوف.حين أرى حماقة طلب الأمن أتوقّف عن الجمع.إذا قلتم إنكم ترونها لكنكم لا تستطيعون التوقف عن الجمع، فإن السبب هـو أنكـم لا تـرون أن هناك، ضمنياً، ألماً في التراكم.

الخوف يوجد في عملية الجمع والتراكم، والإيمان بشيء ما هو جزء مـن عملية الجمع.يموت ابـني، فـأؤمن بـالتقمص كـي أحمـي نفـسي مـن الألم النفـسي؛ ولكـن، في سـيرورة الإيمـان نفـسها هنـاك شـك. خـارجياً أراكـم

الأشياء، وأسبب الحرب؛ داخلياً أراكم المعتقدات، وأسبب الألم. وهكذا طالما أريد أن أكون آمناً، أن أحصل على حسابات مصرفية، ومتع...إلخ، وطالما أنني أريد أن أصبح شيئاً ما، جسدياً أو نفسياً، ينبغي أن يكون هناك ألم. فالأمور نفسها التي أقوم بها لدرء الألم تسبب لي الخوف، والألم.

يولد الخوف حين أرغب بأن أشكّل نموذجاً معيّناً. أن أحيا بلا خوف يعني أن أحيا دون نموذجٍ معيّن. حين أطلب طريقة معيّنة في الحياة فإن هذا في ذاته يكون مصدراً للخوف. إن الصعوبة التي تواجهني هي رغبتي بالحياة في إطار معيّن. ألا أستطيع كسر الإطار؟ لا أستطيع فعل ذلك إلا حين أرى الحقيقة: أن الإطار يسبب الخوف وأن هذا الخوف يقوّي الإطار. إذا قلت إنه يجب أن أكسر هذا الإطار لأنني أريد أن أكون متحرراً من الخوف، عندها أقوم باتّباع نموذج آخر يسبّب المزيد من الخوف فحسب. إن أي فعل أقوم به يستند إلى الرغبة في تحطيم الإطار سيشكّلُ نموذجاً آخر، ومن ثمّ الخوف. كيف أكسر الإطار دون أن أسبب الخوف، أي بلا أي فعل واعٍ أو لاواعٍ من قِبلي ودونما اعتبار له؟ هذا يعني أنني يجب ألا أفعل، يجب ألا أقوم بأية حركة لكسر الإطار. ما الذي يحدث لي حين أنظر ببساطة إلى الإطار دون أن أقوم بأي شيء حياله؟ أرى أن الذهن نفسه هو الإطار، النموذج؛ يعيش في النموذج الاعتيادي الذي خلقه لنفسه. بالتالي، الذهن نفسه هو الخوف. مهما فعل فإنّه يتّجه نحو تقوية نموذج قديم أو تعزيز واحد جديد. هذا يعني أنه كل ما يفعله الذهن كي يتخلص من الخوف يولّد الخوف.

يعثر الخوف على وسائل هرب متنوعة. إن التنوع الشائع هو التماهي، أليس كذلك؟ التماهي مع البلاد، ومع المجتمع، ومع فكرة. ألا تلاحظون كيف تستجيبون حين ترون موكباً، موكباً عسكرياً أو دينياً، أو حين تكون البلاد في خطر التعرض للغزو؟ عندها تتماهون مع بلاد، ومع وجود، ومع

إيديولوجيا.هناك أوقات أخرى تتماهون فيها مع أطفالكم، ومع زوجاتكم، ومع صيغة عمل معيّنة، أو كسل. إن التماهي هو سيرورة لنسيان الذات.وهكذا طالما أعي "الأنا" أعرف أن هناك ألماً، وصراعاً، وخوفاً متواصلاً.ولكن إن استطعت أن أتماهى مع شيء ما أعظم،مع شيء جدير، مع الجمال، مع الحياة، مع الحقيقة، مع المعتقد، مع المعرفة، على الأقل مؤقتاً، سيكون هناك هرب من "الأنا"،أليس كذلك؟ إذا تحدثت "عن بلادي" أنسى نفسي مؤقتاً،أليس كذلك؟ إذا استطعت أن أرى شيئاً ما عن الله، أنسى نفسي.إذا استطعت أن أتماهى مع أسرتي، مع الجماعة، مع حزب معيّن، مع إيديولوجيا معيّنة، عندها هناك هرب مؤقت.

إن التماهي بالتالي هو شكل من أشكال الهرب من الذات، حتى الفضيلة شكل للهرب من الذات. فالرجل الذي يسعى وراء الفضيلة يهرب من الذات وهو ضيّق الذهن.هذا ليس ذهناً فاضلاً،ذلك لأن الفضيلة شيء لا يمكن السعي وراءه.كلما حاولت أن تصبح فاضلاً، منحت نفسك قوة، منحت "الأنا" قوة. إن الخوف، الذي هو شائع بيننا كلنا في أشكال مختلفة، يعثر دوماً على بديل من ثمَّ يزيد صراعنا.كلما كنت متماهياً مع بديل، اشتدَّ التمسك بذاك الذي أنت مستعد أن تصارع،وتموت من أجله، لأن الخوف هو في الخلفية.

هل تعرفون ما هو الخوف؟ أليس عدم قبول ما هو موجود؟ يجب أن نفهم كلمة "قبول".أنا لا أستخدم تلك الكلمة كأنها تعني الجهد المبذول للقبول.ليس هناك مسألة قبول حين أدرك ما هو موجود. حين لا أرى بوضوح ما هو موجود؛ عندها أحضر سيرورة القبول.بالتالي، إن الخوف هو عدم قبول ما هو موجود. كيف أستطيع، أنا الذي هو مجموعة من ردود الفعل، والاستجابات، والذكريات، والآمال، والأحزان، والخيبات،أنا الذي هو نتيجة حركة الوعي المعرقلة، أن أتجاوز هذا؟ هل يستطيع الذهن، دون هذه العرقلة، أن يكون واعياً؟ نعرف المتعة الفائقة

للعادة التي تنشأ حيث لا تكون هناك عرقلة.ألا تعرفون أنه حين يكون الجسد سليماً بشكل تام تكون هناك متعة معينة، سعادة؛ ألا تعرفون أنه حين يكون الذهن حراً بشكل كامل، حين لا تكون هناك أية عرقلة، حين لا يكون مركز التعرف كـ "أنا" موجوداً، فإنكم تجربون متعة معينة؟ ألم تجرّبوا هذه الحالة حين تكون الذات غائبة؟ جميعنا قمنا بذلك.

لا يكون هناك فهم للذات وتحرّر منها إلا حين أستطيع أن أنظر إليها ككل؛ ولا أستطيع فعل ذلك إلا حين أفهم سيرورة النشاط المتولّد عن الرغبة التي هي تعبير عن الفكر ـ ذلك أن الفكر لا يختلف عن الرغبة ـ من دون تبريره، أو شجبه، أو كبحه؛ إذا استطعت فهم ذلك، عندها سأعرف إن كان هناك إمكانية لتجاوز قيود الذات.

الفصل الحادي عشر

البساطة

أود أن أناقش ما هي البساطة، ومن ثمَّ سأحاول اكتشاف الحساسية. نعتقد أن البساطة هي مجرد تعبير خارجي، انسحاب: امتلاك بضع ممتلكات، ارتداء مئزر، عدم امتلاك منزل، ارتداء بعض الثياب، امتلاك حساب مصرفي قليل. أكيد أن هذا ليس البساطة. هذا مجرد استعراض خارجي. يبدو لي أن البساطة جوهرية؛ ولكن البساطة لا تأتي إلا حين نبدأ بفهم أهمية معرفة الذات.

ليستْ البساطة مجرد تكيّف مع نموذج. نحتاج إلى درجة عالية من الذكاء كي نكون بسطاء وكي لا نتكيف مع نموذج معين مهما بدا قيّماً على المستوى الخارجي. لسوء الحظ يبدأ معظمنا بكونهم بسطاء خارجياً، في الأمور الخارجية. من السهل نسبياً امتلاك بعض الأشياء والاقتناع ببعضها؛ أن تقتنع بالقليل وتقتسمه ربما مع الآخرين. ولكن التعبير الخارجي عن البساطة في الأشياء، والممتلكات، لا يتضمن بساطة الوجود الداخلي. لأنه، بما أن العالم في الحاضر، هناك المزيد والمزيد من الأشياء التي تُفرض علينا، من الخارج. فالحياة تتجه إلى مزيد من التعقيد. من أجل الهرب من هذا، نحاول أن نعتزل الأشياء أو أن نكون منفصلين عنها، عن السيارات، والمنازل، والمنظمات، عن السينما، والظروف التي لا تُحصى التى تضغط علينا في الخارج. نعتقد أننا سنكون بسطاء عبر الانسحاب. إن كثيراً من القديسين والمعلمين العظماء اعتزلوا العالم؛ ويبدو لي أن رفضاً كهذا بالنسبة إلى أي منا لا يحلُّ المشكلة. إن البساطة التي هي جوهرية، وحقيقية، لا يمكن أن تأتي إلى الوجود إلا داخلياً؛ وهذا يولّد تعبيراً خارجياً. كيف تكون بسيطاً، إذاً، هذه هي المشكلة؛

لأن تلك البساطة تجعل المرء أكثر حساسية. إن الذهن الحساس، القلب الحساس، جوهريان، لأنهما يكونان عندئذ قادرين على الإدراك السريع، والتلقي السريع.

أكيد أن المرء لا يمكن أن يكون بسيطاً داخلياً، إلا عبر فهم العوائق، والروابط، والمخاوف اللانهائية التي تقيّده.ولكن معظمنا يحبون أن يُقيَّدوا من قبل الناس، والممتلكات، والأفكار.نحب أن نكون سجناء. داخلياً، نحن سجناء، رغم أننا نبدو خارجياً بسطاء جداً. داخلياً نحن سجناء لرغباتنا، ولحاجاتنا، ولمُثلنا، ولدوافع لا تُحصى. لا يمكن العثور على البساطة إلا إذا كان المرء حراً داخلياً. بالتالي يجب أن تبدأ داخلياً، وليس خارجياً.

تتولّد حرية فائقة للعادة حين يفهم المرء سيرورة الإيمان كلها، ولماذا يرتبط الذهن بإيمان. حين يتحرر المرء من المعتقدات، تتولّد بساطة. لكن تلك البساطة تقتضي ذكاء،ولكي يكون المرء ذكياً يجب أن يكون واعياً لعوائقه الخاصة. وكي يكون المرء واعياً يجب أن يراقب باستمرار، لا أن يكون أسير أي نهج معيّن، أي نموذج معيّن في الفكر أو العمل.ذلك أن هوية المرء الداخلية تؤثر بالخارج. فالمجتمع، أو أي نوع من الفعل، هو إسقاط لأنفسنا، وبدون تحويل داخلي لا يمتلك التشريع سوى أهمية قليلة خارجياً؛ يمكن أن يؤدي إلى إصلاحات معيّنة،و تعديلات معيّنة، ولكن هوية المرء الداخلية تغلب دوماً الخارج. إذا كان المرء في الداخل جشعاً، وطموحاً،و يسعى وراء مُثل معيّنة،فإن التعقيد الداخلي يزعج في النهاية، ويطيح بالمجتمع الخارجي، مهما كان مخططاً بعناية.

يجب أن يبدأ المرء من الداخل، من دون أن يرفض ما هو خارجي. تأتي إلى الداخل، عبر فهم الخارج، واكتشاف كيف يتجلّى الصراع والكفاح، والألم في الخارج؛ وكلما استقصاه المرء عاد على نحو طبيعي إلى الحالات النفسية التي تسبّب الصراعات الخارجية وحالات البؤس. إن

التعبير الخارجي هو مجرد مؤشر على حالتنا الداخلية، ولكن من أجل فهم الحالة الداخلية يجب أن يقارب المرء عبر الحالة الخارجية. إن معظمنا يقومون بذلك. وإذا ما فهمنا الداخل ـ ليس حصرياً، ليس برفض الخارج، ولكن عبر فهم الخارج والعودة إلى الداخل ـ سنجد أننا، فيما نتقدم كي نستقصي التعقيدات الداخلية لوجودنا، نصبح حساسين وأحراراً أكثر فأكثر. إن هذه البساطة الداخلية جوهرية لأنها تولّد الحساسية. فالذهن الذي ليس حساساً، وغير المتيقظ، وغير الواعي، غير قادر على أي تلق، وعلى القيام بأي فعل خلّاق. إن التماثل كوسيلة لجعل أنفسنا بسطاء يجعل الذهن والقلب بليدين، وفاقدين للحساسية. وأيُّ شكل من الإكراه السلطوي الذي تفرضه الحكومة، أو الذات، أو مثال الإنجاز، وهلمجرّا، أو أي شكل للتماثل يؤدي إلى غياب الحساسية، إلى عدم تحقق البساطة الداخلية. خارجياً يمكن أن تتماثل وتمنح مظهر البساطة، كما يفعل كثير من المتدينيين. يمارسون أنظمة متنوعة، ينضمون إلى منظمات متنوعة، يتأملون بطريقة معينة، وهلمّجرّا. يبدون بسيطين جميعاً، ولكن تماثلاً كهذا لا يصنع البساطة. إن الإكراه من أي نوع لا يمكن أن يقود أبداً إلى البساطة. على العكس، كلما قمعت، وكلما استبدلت، صعّدْتَ، وقلّ وجود البساطة، ولكن كلما ازداد فهمك لعملية التصعيد، والقمع والاستبدال، ازدادت إمكانية البساطة.

إن مشكلاتنا ـ الاجتماعية، والبيئية، والسياسية، والدينية ـ معقدة بحيث لا نستطيع حلها إلا بكوننا بسطاء، وليس بكوننا واسعي المعرفة وأذكياء بشكل فائق للعادة. إن الإنسان البسيط يرى بشكل مباشر أكثر، يمتلك تجربة أكثر مباشرة من الشخص المعقّد. إن أذهاننا مكتظة بمعرفة لانهائية للحقائق، بما قاله الآخرون، بحيث لم نعد قادرين على أن نكون بسطاء، ونحصل على التجربة المباشرة بأنفسنا. تتطلب هذه المشكلات مقاربة جديدة؛ وتُمكن مقاربتها فقط حين نكون بسطاء، بسطاء داخلياً

بشكل حقيقي. إن تلك البساطة، لا تأتي إلا عبر معرفة الذات، وعبر معرفة أنفسنا؛ وطرق شعورنا وتفكيرنا؛ وحركات أفكارنا؛ واستجاباتنا؛ وكيف ننسجم، عبر الخوف، مع الرأي العام، ومع ما يقوله الآخرون، ومع قاله بوذا والمسيح والقديسون العظام، وكل هذا يشير إلى طبيعتنا كي تنسجم، وكي تكون آمنة. حين ينشد المرء الأمن، يكون بشكل واضح في حالة من الخوف وبالتالي تنعدم فيه البساطة.

بدون بساطة، لا يمكن أن يكون المرء حساساً حيال الأشجار والطيور والجبال والريح، وجميع الأشياء الموجودة حولنا في الدنيا؛ إذا لم يكن المرء بسيطاً لا يستطيع أن يكون حساساً إزاء المحاكاة الداخلية للأشياء. يعيش معظمنا بشكل سطحي، على المستوى الأعلى من وعينا؛ هناك نحاول أن نكون مفكرين أو أذكياء، وهذا مترادف مع التدين؛ هناك نحاول أن نجعل عقولنا بسيطة، عبر الإكراه، والانضباط. ولكن هذا ليس بساطة. حين نُكره الذهن على أن يكون بسيطاً، فإن إكراهاً كهذا يصلّب الذهن فحسب، لا يجعله مرناً وواضحاً وسريعاً. أن نكون بسطاء في السيرورة الكلية الإجمالية لوعينا أمر شاق جداً؛ لأنه ينبغي أن يكون هناك تلهف للاكتشاف، للاستقصاء في سيرورة وجودنا، مما يعني أن نكون متيقّظين لكل تلميح؛ وواعين لمخاوفنا، ولآمالنا، وأن نستقصيها ونتحرر منها أكثر وأكثر وأكثر. عندئذ فحسب، حين يكون الذهن والقلب بسيطين حقاً، وغير ملبّسين بقشرة، نكون قادرين على حل المشاكل الكثيرة التي تواجهنا.

لن تحل المعرفة مشكلاتنا. يمكن أن تعرفوا، مثلاً، أن هناك تقمصاً، وأن هناك استمرارية بعد الموت. ويمكن أن تعرفوا، ولا أقول أنكم تعرفون؛ أو يمكن أن تقتنعوا بالأمر. لكن هذا لا يحل المشكلة. لا يمكن التخلص من الموت بنظريتكم، أو بالمعلومات، أو بالاعتقاد. إنه أكثر غموضاً، وعمقاً، وأكثر إبداعاً من هذا.

ينبغي أن يمتلك المرء القدرة على استقصاء جميع هذه الأمور من جديد؛ لأنه فقط عبر *التجربة المباشرة* تُحل مشكلاتنا، والحصول على تجربة مباشرة يقتضي وجود البساطة، مما يعني أنه ينبغي أن تكون هناك حساسية. إن ثقل المعرفة يبلّد الذهن. والماضي يبلّد الذهن، والمستقبل أيضاً. إن الذهن الذي يستطيع أن يكيّف نفسه مع الحاضر، باستمرار، من لحظة إلى أخرى، يستطيع أن يواجه فحسب التأثيرات والضغوط الجبارة التي يفرضها علينا محيطنا.

وهكذا فإن المتديّن ليس في الواقع الشخص الذي يرتدي عباءة أو جلد أسد، أو يحيا على وجبة واحدة في اليوم، أو يُقْسم عدداً لا يُحصى من المرات بأن يكون هذا ولا يكون ذاك، إن المتديّن هو البسيط في الداخل، الذي لا يصير أي شيء. إن ذهناً كهذا قادر على التلقي الفائق للعادة لأنه لا يوجد حاجز، ولا خوف، ولا ذهاب نحو شيء ما؛ بالتالي هو قادر على تلقي النعمة الإلهية، الله، الحقيقة، أو ما تشاؤون. ولكن الذهن الذي يلاحق الواقع ليس ذهناً بسيطاً. فالذهن الذي يسعى، ويبحث، ويتلمّس، مهتاجاً، ليس ذهناً بسيطاً. والذهن الذي ينسجم مع أي نموذج سلطوي، داخلياً أو خارجياً، لا يمكن أن يكون حساساً. وفقط حين يكون الذهن حساساً، ومتيقظاً، وواعياً لكل حوادثه واستجاباته وأفكاره، حين يتوقف عن أن يصبح، وعن صياغة نفسه كي يكون شيئاً ما، عندئذ فحسب يقدر على تلقي ما هو الحقيقة. عندئذ تأتي السعادة، ذلك أن السعادة ليست غاية، إنها نتيجة الواقع. حين يصبح الذهن والقلب بسيطين وبالتالي حساسين ـ ليس عبر أي شكل من أشكال الإكراه، والتوجيه أو الفرض ـ عندئذ نرى أن مشكلاتنا يمكن أن تُعالج ببساطة شديدة. ومهما كانت مشكلاتنا معقدة، سنقدر على معالجتها من جديد وعلى رؤيتها بشكل مختلف. إنّنا نحتاج في الوقت الحالي إلى بشر قادرين على مواجهة الفوضى الخارجية، والاضطراب، والعداء من جديد، وبشكل خلاق

وبسيط، لا بالنظريات أو الصيغ، سواء من اليسار أو اليمين. لا تستطيعون مواجهة هذه الفوضى من جديد إذا لم تكونوا بسطاء.

لا يمكن أن تُحل المشكلة إذا لم تقاربوها بهذه الطريقة. ولا نستطيع أن نقاربها من جديد إذا كنا نفكر من زاوية نماذج معينة للفكر والدين والسياسة أو غيرها. وهكذا يجب أن نتحرر من كل هذه الأمور، أن نكون بسطاء. لهذا من الضروري أن نكون واعين، أن نمتلك القدرة على فهم سيرورة تفكيرنا، أن نتعرّف على أنفسنا بشكل كامل؛ من هناك تأتي البساطة، يأتي التواضع الذي ليس فضيلة أو ممارسة. إن التواضع الذي يُكتسب ليس تواضعاً. فالذهن الذي يجعل نفسه متواضعاً ليس ذهناً متواضعاً. حين يمتلك المرء التواضع، لا التواضع المصقول، فإنه يقدر على مواجهة أمور الحياة العابرة، لأنه عندئذ لا يكون المرء هامّاً، لا ينظر عبر ضغوطه والإحساس بأهميته؛ إنما ينظر إلى المشكلة من أجل ذاتها وعندئذ يكون قادراً على حلّها.

الفصل الثاني عشر

الوعي

إن وعينا لأنفسنا يعني معرفة علاقتنا بالعالم، وليس علاقتنا مع عالم الأفكار والناس فحسب، وإنما أيضاً مع الطبيعة، ومع الأشياء التي نملكها. هل يتطلب فهم تلك العلاقة التخصص؟ كلا على ما يبدو. ما يتطلبه هو وعي لمواجهة الحياة ككل. كيف يكون المرء واعياً؟ هذه هي مشكلتنا. كيف يمتلك المرء ذلك الوعي ـ إذا كان بوسعي استخدام هذه الكلمة ـ من دون أن تعني تخصصاً؟ كيف يكون المرء قادراً على مواجهة الحياة ككل، مما لا يعني فحسب العلاقة الشخصية مع جارك بل أيضاً مع الطبيعة، ومع الأشياء التي يصنعها الذهن كالوهم والرغبة وهلمّ جرّا. كيف يعي المرء هذه السيرورة الكاملة للعلاقة؟ أكيد أن هذه حياتنا، أليس كذلك؟ ليست هناك حياة من دون علاقة؛ وفهم هذه العلاقة لا يعني العزل. على العكس، يتطلب الأمر معرفة كاملة أو وعياً للسيرورة الكاملة للعلاقة.

كيف يكون المرء واعياً؟ كيف نعي كل شيء؟ كيف تعي علاقتك مع شخص؟ كيف تعي الأشجار، وصياح الطيور؟ كيف تعي ردود فعلك حين تقرأ صحيفة؟ هل نحن واعون للاستجابات السطحية للذهن، وللاستجابات العميقة في آن واحد معاً؟ كيف نكون واعين لأي شيء؟ أولاً، نحن واعون، أليس كذلك؟، للاستجابة لدافع، وهذه حقيقة جلية؛ أرى الأشجار، وهناك استجابة، من ثمَّ إحساس، واتصال، ومماثلة، ورغبة. هذه هي السيرورة العادية، أليس كذلك؟ نستطيع أن نلاحظ ما يجري بالفعل، دون أن ندرس أية كتب.

وهكذا تحصل على المتعة والألم عبر المماثلة. و"قدرتنا" هي هذا الاهتمام بالمتعة وتجنب الألم، أليس كذلك؟ إذا كنت مهتماً بشيء ما، إذا منحك المتعة، فهناك "قدرة" على الفور؛ هناك وعي للحقيقة على الفور؛ وإذا كانت مؤلمة فإن "القدرة" تتطور لتجنبها. وهكذا طالما أننا نتطلع إلى القدرة كي نفهم أنفسنا، أعتقد أننا سنفشل؛ لأن فهمنا لأنفسنا لا يعتمد على القدرة. ليست هذه تقنية تطوّرها، وتصقلها وتزيدها مع مرور الزمن، عبر شحذها باستمرار. إن هذا الوعي للذات يمكن أن يُختبر في فعل العلاقة؛ يُمكن أن يُختبر في طريقة حديثنا، وطريقة تصرفنا. راقب نفسك من دون أية مماثلة، أية مقارنة، من دون أي شجب؛ راقب فحسب، وستشاهد شيئاً فائقاً للعادة يحدث. لا تنهي نشاطاً لاواعياً فحسب - لأن أنشطتنا معظمها هي لاواعية - لا تنهي هذا فحسب، وإنما تكون واعياً لدوافع ذاك الفعل، دون استقصاء، ودون أن تحفر فيه.

حين تكون واعياً، ترى سيرورة تفكيرك وفعلك كلها؛ ولكنها لا تحدث إلا إذا لم يكن هناك شجب. حين أشجب شيئاً، لا أفهمه، وهذه إحدى الطرق في تجنب أي نوع من الفهم. أعتقد أن معظمنا يفعلون هذا قصداً؛ نشجب الشيء على الفور ونظن أننا قد فهمناه. إذا لم نشجبه وقمنا بالتفكير به، ووعيناه، عندئذ فإن محتوى ومغزى الفعل يبدآن بالتوضح. جرّب هذا وستلاحظ بنفسك. كن واعياً فحسب - بدون أي إحساس بالتبرير - فإنّ ما يبدو سلبياً لن يكون سلبياً. على العكس، يمتلك صفة السلبية التي هي فعل مباشر؛ ولسوف تكتشف هذا، إذا جرّبته.

في النهاية، إذا أردت أن تفهم شيئاً ما، يجب أن تكون في مزاج رائق، أليس كذلك؟ لا تستطيع مواصلة التفكير به، تأمّله أو طرح الأسئلة عليه. يجب أن تكون حسّاساً بما يكفي كي تتلقّى مضمونه. إنه ككونك لوح تصوير فوتوغرافي حسّاساً. إذا أردت أن أفهمك، يجب أن أكون واعياً

بشكل هادئ؛ ثم تبدأ بإخباري بقصتك كلها. أكيد أن هذه ليست مسألة قدرة أو تخصص. نبدأ أثناء السيرورة بفهم أنفسنا، لا الطبقات السطحية لوعينا فحسب، بل أيضاً الأعمق، وهذا أكثر أهمية؛ لأن هناك دوافعنا أو نوايانا، ومتطلباتنا الخفية المشوشة، وقلقنا، ومخاوفنا، وشهواتنا كلّها. خارجياً يمكن أن نسيطر عليها كلها ولكنها تغلي في الداخل. إذا لم نفهم ذلك بشكل كامل عبر الوعي، لا يمكن أن تكون هناك حرية، لا يمكن أن تكون هناك سعادة، لا يمكن أن يكون هناك ذكاء.

هل الذكاء كوعي كليّ لهدفنا مسألة اختصاص؟ هل يُصقل الذكاء عبر أي شكل من أشكال التخصص؟ هذا ما يحدث، أليس كذلك؟ هناك الكاهن والطبيب والمهندس والصناعي ورجل الأعمال والأستاذ، نمتلك ذهنية تلك التخصصات كلّها.

لإدراك الشكل الأعلى من أشكال الذكاء، والذي هو الحقيقة، التي هي الله، والذي لا يحيط به وصف، لإدراك ذلك، نعتقد أننا يجب أن نختصّ. ينبغي أن ندرس، ونتلمّس، ونبحث؛وأن نتسلّح بذهنية الأخصائي أو نبحث عنه، وندرس أنفسنا من أجل تطوير القدرة التي تساعدنا على حل صراعاتنا، وحالات بؤسنا.

إن المشكلة التي تواجهنا هي، إذا كنا واعين بأية حال، إن كانت الصراعات وحالات البؤس وأحزان وجودنا اليومي، يمكن أن تُحلّ على يد آخر؛ وإذا كان لا يمكن حلّها، كيف يمكن لنا أن نحلّها؟ إن فهم مشكلة يتطلّب على ما يبدو ذكاء معيّناً، ولا يمكن أن يُستخرج ذلك الذكاء من التخصص أو أن يُصقل عبره. لا يأتي إلى الوجود إلا حين نكون واعين بهدوء لسيرورة وعينا كله، مما يعني أن نعي أنفسنا دون خيار، دون اختيار ما هو صواب وما هو خطأ. حين تكون واعياً بهدوء، سترى أنه عبر ذلك الهدوء، الذي ليس عطالة، أو نوماً، وإنما تيقظ كبير، أن المشكلة تمتلك دلالة مختلفة تماماً؛ مما يعني أنه لم يعد هناك تماه مع المشكلة،

وبالتالي لا يوجد حكم ومن هنا تبدأ المشكلة بكشف محتواها. إذا كنتَ قادراً على فعل هذا باستمرار، عندها يمكن حلُّ جميع المشاكل على نحو جوهري، وغير سطحي. وهنا تكمن الصعوبة، لأن معظمنا غير قادر على أن يكون واعياً بهدوء، جاعلاً المشكلة تروي القصة من دون تفسيرنا لها. لا نعرف كيف ننظر إلى مشكلة من دون عاطفة. نحن غير قادرين على هذا، لسوء الحظ، لأننا نريد نتيجة من المشكلة. لذا نقارب مشكلة، التي هي دوماً جديدة، بالنموذج القديم. إن التحدي هو دوماً الجديد، ولكن استجابتنا هي دوماً قديمة؛ والصعوبة التي تواجهنا هي أن نواجه التحدي بشكل ملائم، أي بشكل كامل. إن المشكلة هي دوماً مشكلة علاقة مع الأشياء، والناس، أو مع الأفكار؛ لا يوجد مشكلة أخرى، وكي يواجه المرء مشكلة العلاقة، بمتطلباتها المتنوعة باستمرار، كي يواجهها على نحو صحيح، وملائم، عليه أن يكون واعياً بشكل هادئ. إن هذا الهدوء ليس مسألة تصميم، وإرادة، وانضباط؛ أن نكون واعين أننا لسنا هادئين هي البداية. أن نكون واعين أننا نريد جواباً معيّناً على مشكلة معيّنة، هذه هي البداية: أن نرى أنفسنا في علاقة مع المشكلة ـ كيف نستجيب، ما هي مسبقاتنا، ومتطلباتنا، واهتماماتنا المتنوعة في مواجهة المشكلة ـ سيكشف هذا الوعي سيرورة تفكيرنا، وطبيعتنا الداخلية؛ وفي هذا! تحرّرٌ.

إن ما هو مهمّ، بشكل مؤكد، هو أن نكون واعين دون خيار، لأن الخيار يولّد الصراع. إن الذي يختار هو في حالة تشوّش؛ وإذا لم يكن في تشوّش لا يكون هناك خيار. إن الشخص المشوش فحسب يختار ما يجب أن يفعله وما لا يجب أن يفعله. إن الشخص الواضح والبسيط لا يختار؛ فما هو موجود هو موجود. إن الفعل المستند إلى فكرة هو بشكل واضح فعل الخيار وفعل كهذا غير محرِّر؛ بل على العكس تماماً، يخلق فقط المزيد من المقاومة، والمزيد من الصراع، بحسب ذلك الفكر المكيّف.

إن الشيء الضروري، بالتالي، هو أن نكون واعين من لحظة إلى لحظة من دون أن نراكم التجربة التي يحضرها الوعي؛ لأنه في اللحظة التي تُراكِمُ فيها، تكون واعياً بحسب تلك التجربة فقط. أي أن مراكمتك تكيّف وعيك وبالتالي لا تكون هناك ملاحظة بل مجرد ترجمة. وحيث توجد ترجمة، يوجد خيار، والخيار يولّد الصراع؛ وفي الصراع لا يمكن أن يكون هناك فهم.

إن الحياة مسألة علاقة؛ ولكي نفهم تلك العلاقة، التي ليست ثابتة، ينبغي أن يكون هناك وعي مرن، وعي هادئ بشكل موقظ، وليس نشيطاً على نحو عدواني. كما قلت، إن هذا الوعي الهادئ لا يأتي عبر أي شكل من أشكال النظام، عبر أية ممارسة. إنه يعني أن نكون واعين، من لحظة للحظة، لتفكيرنا وشعورنا، ليس حين نكون مستيقظين فقط؛ ذلك أننا سنرى، فيما ندخل فيه بشكل أكثر عمقاً، أننا بدأنا نحلم، أننا بدأنا نتخلّص من أنواع الرموز كلّها التي نترجمها كرموز. هكذا نفتح الباب على المجهول، الذي يصبح المعلوم؛ ولكن لكي نعثر على المجهول، يجب أن نذهب إلى ما وراء الباب وهنا تواجهنا الصعوبة. فالواقع ليس شيئاً قابلاً للمعرفة من قِبَل الذهن، لأن الذهن نتاج المعلوم، الماضي؛ لذا يجب أن يفهم الذهن نفسه ووظائفه، وحقيقته، وعندئذ فحسب يكون من الممكن أن يتكشّف المجهول.

الفصل الثالث عشر

الرغبة

إن الرغبة، بالنسبة إلى معظمنا، مشكلة حقيقية: الرغبة بالملكية، وبالمنصب، وبالسلطة، وبالراحة، وبالخلود، وبالاستمرارية، الرغبة بأن نُحَب، وأن نملك شيئاً على الدوام، مُرضياً، وخالداً، شيئاً ما يتجاوز الزمن. فما هي الرغبة؟ ما هو ذلك الشيء الذي يحثُّنا ويُرغمنا؟ لا أقترح أننا يجب أن نكون راضين بما نمتلكه أو بما نحن عليه، والذي هو نقيض ما نريده. نحاول أن نرى ما هي الرغبة، وإذا كان بوسعنا أن ندخلها بتردد أعتقد أننا يجب أن نُحدث تحولاً ليس مجرد استبدال موضوع رغبة بموضوع رغبة آخر. هذا ما نعنيه عادة بـ "التغيير"، أليس كذلك؟ فحين لا نشعر بالرضا من موضوع رغبة معيّن، نعثر على بديل له. نحن نتحرك بشكل أبدي من موضوع رغبة إلى آخر نعتقد أنه أرفع وأنبل وأكثر انصقالاً؛ ولكن، مهما كانت الرغبة مصقولة فإنها تظل رغبة، وفي حركة الرغبة هذه ثمة صراع لا ينتهي، صراع الأضداد.

أليس هامّاً، بالتالي، العثور على ما هي الرغبة وفيما إذا كان يمكن تحويلها؟ ما هي الرغبة؟ أليست الرمز والشعور به؟ إن الرغبة هي الإحساس بموضوع تحقيقها. هل هناك رغبة من دون رمز والشعور به؟ كلا على ما يبدو. يمكن أن يكون الرمز لوحة، شخصاً، كلمة، اسماً، صورة، فكرة تمنحني إحساساً، تجعلني أشعر أنني أكرهه أو لا أكرهه؛ إذا كان الإحساس ممتعاً، أرغب بتحقيق الرمز وامتلاكه والتمسك به وأواصل تلك المتعة. وبين وقت وآخر، وبحسب ميولي وتوترّي، أغيّر اللوحة، والصورة، والموضوع. إن شكلاً واحداً من المتعة، يجعلني مشبعاً، ومتعباً،

وضجراً، وهكذا أسعى وراء إحساس جديد، وفكرة جديدة، ورمز جديد. أرفض الإحساس القديم وأتبنّى واحداً جديداً، بكلمات جديدة، ودلالات جديدة، وتجارب جديدة. أقاوم القديمة وأستسلم للجديدة التي أعتبرها أرفع وأنبل وأكثر إرضاء. وهكذا هناك مقاومة واستسلام في الرغبة، ينطويان على الإغواء؛ وبالطبع هناك دوماً خوف من الإحباط في الاستسلام لرمز معيّن من الرغبة.

إذا رصدت سيرورة الرغبة كلها في نفسي سأرى أن هناك دوماً موضوعاً يتم توجيه ذهني نحوه إلى المزيد من الإحساس، وأن في هذه السيرورة مقاومة، وإغراء وانضباط. ثمة إدراك، وإحساس، واتصال ورغبة، ويصبح الذهن الأداة الآلية لهذه السيرورة، والتي تكون فيها الرموز والكلمات والموضوعات هي المركز الذي تُبنى حوله الرغبات والملاحقات والطموحات كافة؛ ذلك المركز هو "أنا". هل أستطيع أن ألغي مركز الرغبة ذاك، ليس رغبة معيّنة، أو شهوة أو توق معيّنين، وإنما بنية الرغبة، والتوق، والأمل، والتي فيها يوجد دوماً الخوف من الإحباط؟ كلما ازداد إحباطي، منحتُ قوة لـ "أنا". وطالما أن هناك أملاً وتوقاً، هناك دوماً خلفية الخوف، التي تقوّي ذلك المركز مرة أخرى. والثورة غير ممكنة إلا في ذلك المركز، وليس على السطح، عندها تكون مجرد سيرورة تضليل، أو مجرّد تغيّر سطحي يقود إلى فعل سيىء.

حين أعي بنية الرغبة كلها، ألاحظ كيف يصير ذهني مركزاً ميتاً، سيرورة آلية للذاكرة. فبعد أن أتعب من رغبة واحدة، أريد آلياً أن أحقق نفسي في أخرى. إن ذهني يجرّب دوماً من زاوية الإحساس، إنه أداة الإحساس. فبعد أن أضجر من إحساس معين، أبحث عن إحساس آخر، يمكن أن يكون ما أدعوه وعي الله (إدراك الله)؛ ولكنه ما يزال إحساساً. لقد حصلت على ما يكفي من هذا العالم وعذابه وأريد السلام، السلام

الأبدي؛ وهكذا أتأمل، أسيطر، أشكّل ذهني من أجل أن أجرّب ذلك السلام. إن تجريب ذلك السلام لا يزال إحساساً. وهكذا فإن ذهني هو الأداة الآلية للإحساس، للذاكرة، مركز ميت أعمل وأفكر انطلاقاً منه. إن الموضوعات التي ألاحقها هي إسقاطات ذهني كرموز يشتق منها الإحساسات. إن كلمة "الله"، وكلمة "حب"، وكلمة "شيوعية"، وكلمة "ديمقراطية"، وكلمة "قومية"، هذه كلها رموز تمنح الإحساس للذهن، وبالتالي يتمسك الذهن بها. وكما نعرف أنا وأنت، إن الإحساسات كلّها تنتهي، وهكذا نتابع من إحساس إلى آخر؛ وكل إحساس يقوّي عادة البحث عن المزيد من الأحاسيس. وهكذا يصبح الذهن مجرد أداة للإحساس والذاكرة، ونعلق في تلك السيرورة. وطالما أن الذهن ينشد المزيد من التجربة لا يستطيع أن يفكر إلا من زاوية الإحساس؛ وأية تجربة يمكن أن تكون تلقائية، وخلاّقة، وحيوية، وجديدة بشكل مدهش، فإنها تُختزل على الفور إلى إحساس ويلاحق ذلك الإحساس، الذي يصبح عندئذ ذاكرة. بالتالي التجربة ميتة ويصبح الذهن مجرد بركة راكدة للماضي.

إذا دخلنا عميقاً في هذه السيرورة فإننا نعرفها؛ ونبدو غير قادرين على تجاوزها. نريد أن نتجاوزها لأننا متعبون من هذا الروتين الذي لا ينتهي، من هذه الملاحقة الآلية للإحساس؛ وهكذا فإن الذهن يُسقط فكرة الحقيقة، وفكرة الله؛ ويحلم بتغيّر حيوي ويلعب دور محوري في ذلك التغيّر، وهلمجرّا. بالتالي لا توجد أبداً حالة خلاّقة. أرى في نفسي سيرورة الرغبة هذه تتواصل، وهي آلية، ومتكررة، وتسجن الذهن في سيرورة روتينية وتجعله مركزاً ميتاً للماضي الذي يخلو من التلقائية الإبداعية. هناك أيضاً لحظات مفاجئة من الخلق: ليست من الذهن، وليست من الذاكرة، وليست من الإحساس أو الرغبة.

إن مشكلتنا، بالتالي، هي أن نفهم الرغبة، ليس كم ستستمر أو أين ستنتهي، بل أن نفهم سيرورة الرغبة كلها، والاشتهاء، والتوق،

والشهوات المتأججة. يعتقد معظمنا أن امتلاك القليل جداً يشير إلى التحرر من الرغبة، وكيف نعبد أولئك الذين لا يمتلكون إلا بعض الأشياء! إن المئزر، والعباءة، يرمزان إلى رغبتنا بالتحرر من الرغبة؛ ولكن هذا رد فعل سطحي. لماذا نبدأ على المستوى السطحي بالتخلي عن الأملاك حين يكون ذهننا مشلولاً برغبات ومعتقدات وصراعات لا تُحصى؟ *هناك* يجب أن تحصل الثورة، ليس في كم تملك أو أية ملابس ترتدي أو كم وجبة تتناول. ولكننا نتأثر بهذه الأمور لأن أذهاننا سطحية جداً.

إن مشكلتك ومشكلتي هي أن نرى إذا كان بوسع الذهن أن يتحرر من الرغبة، من الإحساس. وأكيدٌ أن الإبداع لا علاقة له بالإحساس؛ فالواقع، الله، أو ما تشاء، ليسوا حالة يمكن أن تُجرّب كالإحساس. حين تمتلك تجربة، ما الذي يحدث؟ لقد منحتك إحساساً معيّناً، إحساساً بالرفعة أو الإحباط. تحاول أن تتجنب حالة الإحباط كما هو مـألوف؛ ولكن إذا كان متعة، إحساساً بالرفعة، فإنك تلاحقه. لقد أنتجت تجربتك إحساساً ممتعاً وأنت تريد المزيد منه؛ والمزيد يقوّي المركز الميت للذهن، والذي يتوق دوماً إلى المزيد من التجربة. من هنا لا يستطيع الذهن أن يجرّب أي شيء جديد، إنه غير قادر على تجريب أي شيء جديد، لأن مقاربته هي دوماً عبر الذاكرة، عبر التعرف؛ والذي يتم التعرّف عليه عبر الذاكرة ليس الحقيقة، أو الإبداع، أو الواقع. إن ذهناً كهذا لا يستطيع أن يجرّب الواقع؛ يستطيع فقط أن يجرب الإحساس، والإبداع ليس الإحساس، إنه شيء جديد بشكل دائم من لحظة إلى أخرى.

أدرك الآن حالة ذهني؛ أرى أنه أداة الإحساس والرغبة، أو بالأحرى أنه الإحساس والرغبة، وأنه عالق آلياً في الروتين. إن ذهناً كهذا عاجز عن تلقي الجديد أو الإحساس به؛ لأن الجديد على ما يبدو يجب أن يكون شيئاً ما وراء الإحساس، والذي هو دوماً القديم. وهكذا، فإن هذه السيرورة الآلية بإحساساتها وصلت إلى نهاية، أليس كذلك؟ إن الرغبة بالمزيد،

وملاحقة الرموز، والكلمات، والصور، مع إحساساتها، كل هذا وصل إلى نهاية. عندئذ وحسب يمكن للذهن أن يدخل حالة الإبداع تلك التي يستطيع الجديد أن يولد فيها دوماً. إذا كنت ستفهم بدون أن تسحرك الكلمات، والعادات والأفكار، وترى كم من الضروري أن يصطدم الجديد بالذهن باستمرار، عندئذ ربما ستفهم سيرورة الرغبة، والروتين، والضجر، والتوق المتواصل للتجربة. أعتقد أنك عندئذ ستبدأ برؤية أن الرغبة تمتلك أهمية قليلة جداً في الحياة بالنسبة إلى الرجل الذي يبحث حقاً. يبدو أن هناك حاجات مادية معيّنة: الطعام، واللباس، والمأوى، وهلمّجرًا. ولكنها لا تصبح أبداً شهوات نفسية، وأشياء يبني عليها الذهن نفسه كمركز للرغبة. وفي ما وراء الحاجات المادية، إن أي شكل للرغبة ـ وللعظمة، وللحقيقة، وللفضيلة ـ يصبح سيرورة نفسية يبني بها الذهن فكرة "الأنا" ويقوّي نفسه في المركز.

حين ترون هذه السيرورة، وحين تكونون واعين فعلاً لها من دون معارضة، ومن دون إحساس بالإغراء، ومن دون مقاومة، ومن دون تبرير أو حكم عليها، عندها ستكتشفون أن الذهن قادر على تلقي الجديد، وأن الجديد ليس أبداً إحساساً؛ لذا لا يمكن أن يتم التعرف عليه أو أن يُجرّب من جديد. إنها حالة وجود يأتي فيها الإبداع دون دعوة، دون ذاكرة؛ وهذه هي الحقيقة.

الفصل الثالث عشر

العلاقة والعزلة

إن الحياة تجربة، والتجربة علاقة. إذ إنّ المرء لا يستطيع أن يعيش في عزلة؛ وهكذا فإن الحياة هي علاقة والعلاقة فعل. كيف يستطيع المرء أن يمتلك تلك القدرة على فهم العلاقة التي هي الحياة؟ لا تعني العلاقة التواصل مع الناس فحسب بل مع الأشياء والأفكار أيضاً؟ إن الحياة علاقة، يُعبّر عنها عبر الاتصال مع الأشياء، مع الناس ومع الأفكار. ولفهم العلاقة يجب أن نمتلك القدرة على مواجهة الحياة بامتلاء، وبشكل ملائم. وهكذا فإن مشكلتنا ليست القدرة ـ ذلك أن القدرة غير مستقلة عن العلاقة ـ بل بالأحرى فهم العلاقة، التي ستنتج بشكل طبيعي القدرة على المرونة، والتكيف السريع، والاستجابة السريعة.

إن العلاقة هي المرآة التي تكتشف فيها نفسك. فمن دون علاقة أنت غير موجود؛ أن تكون هو أن تكون لك علاقة؛ وأن تكون لك علاقة هو الوجود. أنت توجد في علاقة فحسب؛ بخلاف ذلك لا توجد، ليس للوجود معنى. ليس لأنك تفكّر أنت موجود. أنت توجد لأنك ترتبط بعلاقة؛ وغياب فهم العلاقة هو الذي يسبب الصراع.

والآن ليس هناك فهم للعلاقة، لأننا نستخدم العلاقة فقط كوسيلة لزيادة الإنجاز، والتحول والصيرورة. لكن العلاقة وسيلة لاكتشاف الذات، لأن العلاقة هي أن تكون؛ إنها التجربة. فمن دون علاقة، أنا غير موجود. كي أفهم نفسي، يجب أن أفهم العلاقة. فالعلاقة مرآة أستطيع أن أرى فيها نفسي. إنّ المرآة يمكن إما أن تشوّه، وإما أن تكون "كما هي"، تعكس ما هو موجود. ولكن معظمنا يرى في العلاقة، وفي تلك المرآة، أموراً نراها فحسب؛ لكننا لا نرى ما هو موجود. نلجأ إلى المُثل، ونهرب، ونعيش في المستقبل بدلاً من أن نفهم تلك العلاقة في الحاضر المباشر.

والآن، إذا فحصنا حياتنا، وعلاقتنا مع آخر، سنرى أنها سيرورة عزلة. نحن غير مهتمين بالآخر؛ رغم أننا نتكلم كثيراً عنه، نحن في الحقيقة غير مكترثين به. إننا نرتبط بشخص طالما أن تلك العلاقة ترضينا، طالما أنها تمنحنا ملاذاً، طالما أنها تشبعنا. ولكن في اللحظة التي يطرأ فيها إزعاج في العلاقة يؤدي إلى عدم راحتنا، ننبذ تلك العلاقة. بتعبير آخر، هناك علاقة فقط طالما نحن راضون. يمكن أن يبدو هذا قاسياً، ولكن إذا فحصتم حياتكم بدقة سترون أن هذه حقيقة؛ وتجنّب الحقيقة يعني الجهل، الذي لا يمكن أن ينتج علاقة صحيحة. إذا فحصنا حياتنا ورصدْنا العلاقة، نرى أنها سيرورة بناء مقاومة ضد آخر، أو جدار ننظر من فوقه ونرصد الآخر؛ ولكننا دوماً نحتفظ بالجدار ونبقى خلفه، سواء كان جداراً سيكولوجياً، أو مادياً، أو اقتصادياً، أو قومياً. وطالما أننا نحيا في عزلة، خلف جدار، ليست هناك علاقة مع آخر؛ ونعيش مطوّقين لأن هذا أكثر إرضاء، ونعتقد أنه آمن أكثر. إن العالم ممزق، ثمة الكثير من الأحزان فيه، والكثير من الآلام، والحروب، والدمار، والبؤس بحيث أننا نريد الهرب والعيش داخل أسوار أمن وجودنا السيكولوجي الخاص. وهكذا، إن العلاقة لدى معظمنا هي في الواقع سيرورة عزلة، ومن الجلي أن علاقة كهذه تبني مجتمعاً انعزالياً أيضاً. هذا ما يحدث بالضبط في أنحاء العالم كافة: تبقون في عزلتكم وتمدون يدكم من فوق الجدار، وتدعون هذا بالقوميّة والأخوّة أو ما تشاؤون من أسماء، ولكن الحكومات المهيمنة والجيوش تتواصل في الحقيقة. وفيما تظلّون متمسّكين بحدودكم تعتقدون أنكم تستطيعون أن تحقّقوا وحدة العالم - السلام العالمي - الذي هو مستحيل. وهكذا طالما أنه لديكم حدود، سواء كانت قومية أو اقتصادية أو دينية أو اجتماعية لا يمكن أن يتحقق السلام في العالم.

إن سيرورة العزلة هي سيرورة بحث عن القوة؛ سواء كان المرء ينشد القوة فردياً أو لجماعة عرقية أو قومية يجب أن يكون هناك عزلة، لأن الرغبة

بالقوة، بالموقع، هي نزعة انفصالية. في النهاية، هذا ما يريده الجميع، أليس كذلك؟ يريدون موقعاً قوياً يستطيعون أن يهيمنوا فيه، سواء في المنزل، أو في المكتب، أو في نظام بيروقراطي. إنّ الجميع ينشدون القوة، مما سيؤدي إلى تأسيس مجتمع يستند إلى القوة، العسكرية والاقتصادية والصناعية، ...إلخ. وهذا جليٌّ مرة أخرى. أليست الرغبة بالقوة في طبيعتها الذاتية تقوم بعملية عزل؟ أعتقد أنه من المهمّ جداً أن نفهم هذا، لأن الإنسان الذي يريد عالماً يسود فيه السلام، عالماً ليس فيه حروب، أو دمار مروّع، أو بؤس كارثي على ميزان غير قابل للقياس، يجب أن يفهم هذه المسألة الجوهرية، أليس كذلك؟ إن الإنسان المتعاطف، واللطيف، لا يمتلك إحساساً بالقوة، وبالتالي إن إنساناً كهذا لا تحدّه أية جنسية، أو أية راية. لا يمتلك راية.

لا يوجد شيء كهذا يعيش في عزلة، لا بلاد، لا بشر، لا فرد، يستطيعون أن يعيشوا في عزلة؛ مع ذلك، لأنكم تنشدون القوة بطرق كثيرة مختلفة، فإنكم تربّون العزلة. إن القومي لعنة لأنه يقوم عبر روحه القومية ببناء جدار من العزلة. إنه متماه مع بلاده بحيث يبني جداراً ضد آخر. ما الذي يحدث حين تبني جداراً ضد شيء ما؟ إن ذلك الشيء يضرب باستمرار على جدارك. حين تقاوم شيئاً ما فإن المقاومة نفسها تشير إلى أنك في صراع مع الآخر. وهكذا فإن القومية، التي هي عملية عزل، والتي هي محصلة البحث عن القوة، لا يمكن أن تصنع السلام في العالم. إن الشخص القومي الذي يتحدث عن الأخوّة يكذب؛ إنه يعيش في حالة تناقض.

هل يستطيع المرء أن يعيش في العالم من دون الرغبة بالقوة؛ وبالموقع، وبالسلطة؟ من الجلي أن المرء يستطيع. يفعل المرء هذا حين لا يتماهى مع شيء أكبر. إن هذا التماهي مع شيء أكبر ـ الحزب، والبلاد، والعرق، والدين، والله ـ بحث عن القوة. لأنك فارغ، وبليد، وضعيف تحب أن تتماهى مع شيء أكبر. إن تلك الرغبة في التماهي مع شيء أكبر هي الرغبة بالقوة.

إن العلاقة هي سيرورة كشف ذاتي، ومن دون معرفة نفسك، ومعرفة طرق ذهنك وقلبك، فإن مجرد تأسيس نظام خارجي، أو صيغة ماكرة، لا يمتلك إلا معنى قليلاً. من الضروري أن تفهم نفسك عبر العلاقة مع آخر. عندئذ لا تصبح العلاقة عملية عزل بل حركة تكتشف فيها دوافعك الخاصة، وأفكارك الخاصة، واهتماماتك الخاصة؛ وهذا الاكتشاف نفسه هو بداية التحرر، وبداية التحول.

الفصل الخامس عشر

المفكّر والفكرة

في تجاربنا كلّها، هناك دوماً المجرِّب، الراصد، الذي يحوّل نفسه إلى مركز أو ينكر نفسه. أليست هذه سيرورة خاطئة، لا تقود إلى الإبداع؟ إذا كانت خاطئة، ألا نستطيع التخلص منها بشكل كامل ورميها جانباً؟ يمكن أن يحدث هذا فقط حين أجرّب، لا كما يجرّب مفكّر، ولكن حين أكون واعياً للسيرورة المزيّفة وأرى أن هناك حالة واحدة فقط يكون فيها المفكر هو الفكرة.

وهكذا طالما أنني أجرّب، طالما أنني أصير، يجب أن يكون هناك ذلك الفعل الثنائي؛ يجب أن يكون هناك المفكّر والفكرة، سيرورتان منفصلتان في حالة عمل؛ ليس هناك اتحاد، هناك دوماً مركز يعمل عبر إرادة الفعل كي يكون أو لا يكون جماعياً، وفردياً، وقومياً، وهلمّجرًا. هذه هي العملية، على المستوى الكوني. وطالما أن الجهد مقسم إلى المجرِّب والتجربة، يجب أن يكون هناك تدهور. إن الدمج ممكن فحسب حين لا يعود المفكر هو الراصد. هذا يعني، أننا نعرف حالياً أن هناك المفكر والفكرة، الراصد والمرصود، المجرِّب والمجرَّب؛ هناك حالتان مختلفتان.ويهدف جهدنا إلى ردم الفجوة بينهما.

إن إرادة الفعل هي دوماً ثنائية. هل من الممكن تجاوز هذه الإرادة التي هي انفصالية واكتشاف حالة لا يكون فيها هذا الفعل الثنائي موجوداً؟ لا يمكن العثور على هذا إلا حين نجرّب بشكل مباشر الحالة التي يكون فيها المفكر هو الفكرة. نعتقد الآن أن الفكر منفصل عن المفكّر؛ ولكن هل هو هكذا؟ نودُّ أن نعتقد أنه هكذا، لأنّ المفكّر يستطيع عندئذ أن يشرح أموراً عبر فكره. إن جهد المفكر هو أن يصبح أكثر أو أقل؛ وبالتالي، في ذلك

الصراع، في فعل الإرادة ذاك، في "الصيرورة" هناك دوماً عامل التدهور. نعتقد أن المفكّر منفصل عن أفكاره. حين أكتشف أنني جشع، وامتلاكيّ، ومتوحش، أعتقد أنني يجب ألا أكون كل هذا. عندئذ يحاول المفكر أن يغيّر أفكاره وبالتالي يبذل جهده كي "يصبح"؛ وفي سيرورة الجهد تلك يلاحق وهم أن هناك سيرورتين منفصلتين، بينما هناك سيرورة واحدة فقط. أظنّ أن عامل التدهور الجوهري يكمن هنا.

هل من الممكن تجريب تلك الحالة حين يوجد كيان واحد فقط وليس سيرورتين منفصلتين، المجرِّب والتجربة؟ ربما يجب أن نكتشف عندئذ ما هو أن تكون إبداعياً، وما الحالة التي لا يوجد فيها تدهور في أي وقت، في أية علاقة يكون فيها الإنسان.

أنا جشع. أنا والجشع لسنا حالتين منفصلتين؛ هناك شيء واحد هو الجشع فحسب. إذا كنت واعياً بأنني جشع، ما الذي يحدث؟ أبذل جهداً كي لا أكون جشعاً، إما لأسباب سوسيولوجية أو لأسباب دينية؛ إن ذلك الجهد سيكون دوماً في دائرة صغيرة محدودة؛ يمكن أن أوسّع الدائرة ولكنها دوماً محدودة. بالتالي، إن عامل التدهور موجود. ولكن حين أنظر بعمق أكبر قليلاً وبدقة، أرى أن القائم بالجهد هو سبب الجشع وهو الجشع نفسه؛ وأرى أيضاً أنه لا يوجد "أنا" وجشع بشكل منفصل، ولكن هناك جشع فحسب. إذا أدركتُ أنني جشع، أنه لا يوجد الراصد الذي هو جشع. ولكن أنا نفسي الجشع، عندئذ فإن مسألتنا بمجملها مختلفة كلياً؛ وعندها يكون جهدنا غير تدميري.

ما الذي تفعله حين يكون وجودك كله جشعاً، حين يكون أي عمل تقوم به جشعاً؟ لسوء الحظ، نحن لا نفكر على طول هذه الخطوط. هناك "الأنا"، الكيان المتفوّق، الجندي الذي يسيطر، ويهيمن. إن هذه السيرورة مدمّرة بالنسبة إليّ. إنها وهم ونعرف لماذا نقوم بها. أقسّم نفسي بين

الرفيع والمتدني من أجل أن أواصل. إذا كان هناك جشع، وليس "أنا" تشغّل الجشع، ولكن أنا جَشِعة ما الذي يحدث عندئذ؟ أكيد أن سيرورة مختلفة تظهر، وتولّد مشكلة جديدة. إنها تلك المشكلة التي هي إبداعية، والتي لا يوجد فيها إحساس لـ "أنا" أهيمن، وأصير، إيجابياً أو سلبياً. يجب أن نصل إلى هذه الحالة إذا كنا نريد أن نكون مبدعين. في تلك الحالة، لا يوجد باذل للجهد. إنها ليست مسألة التعبير بالكلمات أو محاولة اكتشاف ما الحالة؛ إذا بدأت بها بهذه الطريقة ستخسر ولن تكتشف أبداً. ما هو ضروري هو أن ترى أن باذل الجهد والموضوع الذي يبذل جهداً إزاءه هما نفسهما. يتطلب هذا فهماً عميقاً، ومراقبة، لرؤية كيف يقسم الذهن نفسه إلى رفيع ومتدن ـ الرفيع هو الأمن، الهوية الدائمة ـ ولكن يبقى لدينا سيرورة تفكير وبالتالي سيرورة زمنية. إذا استطعنا فهم هذا كتجربة مباشرة، سنشهد ولادة عامل مختلف تماماً.

الفصل السادس عشر

هل يستطيع التفكير حلّ المشكلة

لم يحلّ الفكر مشكلاتنا، ولا أظنّ أنه سيفعل. اعتمدنا على الذهن كي يرينا الطريق للخروج من تعقيدنا. وكلما كان الذهن أكثر مكراً وكراهية وحذقاً ازداد تنوّع الأنظمة والنظريات والأفكار التي لا تحل أياً من مشكلاتنا الإنسانية؛ وهي لم تفعل ذلك أبداً ولن تفعله. إن الذهن ليس الحل؛ ذلك أنّ الفكر عاجز عن التغلّب على الصعوبة التي تواجهنا. يبدو لي أننا يجب أن نفهم أولاً سيرورة التفكير هذه، وربما نكون قادرين على أن نذهب إلى ما وراءها، إذ إنّه حين يتوقّف التفكير، ربما سنكون قادرين على العثور على طريقة تساعدنا على حل مشكلاتنا، لا الفردية فحسب وإنما أيضاً الجمعية.

لم يحل التفكير مشكلاتنا. فالأذكياء، والفلاسفة، والباحثون، والقادة السياسيون، لم يحلّوا في الواقع أياً من المشكلات الإنسانية والتي هي العلاقة بينك وبين الآخر. استخدمنا الذهن حتى الآن، والفكر، كي يساعدانا في استقصاء المشكلة، ونأمل بتلك الوسيلة أن نعثر على حل. هل يستطيع الفكر حل مشكلاتنا؟ ألا يحمي الفكر ـ إلا إذا كان في المختبر أو على لوح الرسم ـ ذاته على الدوام، ويؤبّد ذاته، أليس مشروطاً؟ أليس نشاطه أنانياً؟ وهل يستطيع فكر كهذا أن يحل أياً من المشكلات التي سبّبها الفكر نفسه؟ هل يستطيع الذهن، الذي سبّب المشكلات، أن يحلّها بنفسه؟

أكيدٌ أن التفكير هو رد فعل. إذا طرحتُ عليك سؤالاً، تردّ عليه بحسب ذاكرتك، أو مسبّقاتك، وتربيتك والمناخ الذي أنت فيه، وبحسب

الخلفية الكاملة لتكيّفك؛ تجيب، وتفكّر وفقاً ذلك. إن مركز هذه الخلفية هو "الأنا" في سيرورة الفعل. وطالما أن الخلفية غير مفهومة، وطالما أن سيرورة الفكر تلك، تلك الذات التي تخلق المشكلة، غير مفهومة، من المقدّر علينا أن ندخل في صراع، في الداخل والخارج، في الفكر، والعاطفة والفعل. لا حل من أي نوع، مهما كان ذكياً، مهما فُكِّر به بشكل جيد، يستطيع أن ينهي الصراع بين الإنسان والإنسان، بينك وبيني. حين ندرك هذا، حين نعي كيف ينشأ الفكر ومن أي مصدر، عندها نسأل: "هل يمكن أن ينتهي الفكر؟"

هذه إحدى المشكلات التي تواجهنا، أليس كذلك؟ هل قمت بحلّ المشكلة عبر التفكير بها؟ أي نوع من المشكلات الاقتصادية والاجتماعية والدينية سبق وحلّها الفكر؟ في حياتك اليومية، كلما فكّرت بالمشكلة، صارت أكثر تعقيداً، صارت عصيّة على الحلّ، وغير مؤكّدة. أليس هذا هو الأمر في حياتنا اليومية الفعلية؟ يمكنك عبر التفكير ببعض أوجه المشكلة، أن ترى بوضوح أكبر وجهة نظر شخص آخر، ولكن الفكر لا يستطيع أن يرى تمام وامتلاء المشكلة، لا يستطيع أن يرى إلا جزئياً، والجواب الجزئي ليس جواباً كاملاً، بالتالي ليس حلاً.

كلما فكّرنا بمشكلة، كلما استقصيناها وحلّلناها وناقشناها، صارت أكثر تعقيداً. فهل من الممكن بالتالي أن ننظر إلى المشكلة بشكل شامل وكامل؟ كيف يكون هذا ممكناً؟ هذه هي الصعوبة الرئيسية التي تواجهنا. إن مشكلاتنا متعددة: فهناك خطر الحرب الوشيكة، وأنواع الإزعاج كافة في علاقاتنا. كيف يكون بوسعنا أن نفهم كل ذلك بشكل شامل، ككل؟ يمكن أن نعالج هذه الأمور إذا استطعنا النظر إليها ككل وليس كأجزاء. متى يكون هذا ممكناً؟ أكيد أنه ممكن حين تنتهي سيرورة التفكير التي تملك مصدرها في "الأنا"، الذات، وفي خلفية التقاليد والتكييف، والمسبّق. هل بوسعنا فهم هذه الذات، ليس بالتحليل، وإنما برؤية الشيء كما هو، عبر

فهمه كحقيقة وليس كنظرية؟ ألا نسعى إلى إلغاء الذات من أجل أن نحقق نتيجة عبر رؤية نشاط الذات، "الأنا"، في العمل باستمرار؟ هل نستطيع النظر إليها، من دون أية حركة للتدمير أو التشجيع؟ هذه هي المشكلة، أليس كذلك؟ إذا لم يكن مركز "الأنا" موجوداً في أي منا، برغبته في التسلط والمركز والسلطة والاستمرارية وحفظ الذات، فإن مشكلتنا ستُحل بالتأكيد!"

إن الذات مشكلة لا يستطيع أن يحلّها الفكر. يجب أن يكون هناك وعي ليس وعياً للفكر. أن تكون واعياً من دون شجب أو تبرير لأنشطة الذات ـ فقط أن تكون واعياً ـ هذا كاف. إذا كنتَ واعياً من أجل اكتشاف كيف تحل المشكلة، من أجل أن تحوّلها، من أجل أن تنتج نتيجة، فإن هذا لا يزال في حقل الذات، "الأنا". وطالما أننا نسعى إلى نتيجة، سواء عبر التحليل، وعبر الوعي، وعبر الفحص المتواصل لجميع الأفكار، فإننا ما نزال في حقل الفكر، والذي هو في حقل "الأنا"، أو ما ما تشاء.

طالما أن نشاط العقل موجود، فمن الأكيد أنه لا يمكن أن يكون هناك حب. حين يكون هناك حب، لن تعترضنا مشكلات اجتماعية. ولكن الحبّ ليس شيئاً يُكتسب. يستطيع الذهن أن يسعى إلى اكتسابه، كفكرة جديدة، كأداة إلكترونية جديدة، طريقة جديدة في التفكير؛ ولكن العقل لا يمكن أن يكون في حالة حب طالما أن الفكر يكتسب الحب. وطالما أن الذهن ينشد أن يكون في حالة اللاجشع، فمن الأكيد أنه ما يزال شجعاً، أليس كذلك؟ وعلى نحو مشابه، طالما أن الذهن يرغب ويشتهي ويمارس من أجل أن يكون في حالة فيها حب، أكيد أنه ينكر تلك الحالة، أليس كذلك؟

إن رؤية هذه المشكلة، مشكلة الحياة المعقدة، وأن نكون واعين لسيرورة تفكيرنا وإدراك أنها في الواقع لا تقود إلى أي مكان. حين ندرك هذا بعمق، نصل إلى حالة من الذكاء ليست فردية ولا جمعية. عندئذ تتوقّف مشكلة العلاقة بين الفرد والمجتمع، بين الفرد والجماعة، بين

الفرد والواقع؛ لأنه لا يكون آنذاك إلا الذكاء، الذي ليس شخصياً ولا غير شخصي. وهذا الذكاء وحده، كما أشعر، هو الذي يستطيع أن يحل مشكلاتنا. لا يمكن أن يكون هذا نتيجة؛ ولا يأتي إلى الوجود إلا حين نفهم هذه السيرورة الكلية الكاملة للتفكير، ليس على المستوى الواعي فحسب وإنما على المستويات الخفية الأعمق للوعي.

لكي نفهم أياً من هذه المشكلات علينا أن نمتلك ذهناً هادئاً جداً، يستطيع أن ينظر إلى المشكلات جميعها من دون أفكار ونظريات وسيطة، ومن دون أي إلهاء. هذه إحدى الصعوبات التي تواجهنا لأن الفكر أصبح إلهاء. حين أريد أن أفهم شيئاً وأنظر إليه لست مضطراً إلى امتلاك أفكار وآراء حوله، فأنا أكون مسبقاً في حالة من الإلهاء، أنظر بعيداً عن الشيء الذي يجب أن أفهمه. وهكذا فإن الفكر، حين تواجهك مشكلة، يصبح إلهاء ـ الفكر كفكرة، ورأي، وحكم، ومقارنة ـ يمنعنا من النظر وبالتالي من فهم المشكلة وحلّها. ولسوء حظ كثيرين منا صار الفكر مهمّاً. تقول: "كيف يمكن أن أوجد أو أكون من دون فكر؟ كيف يمكن أن يكون لدي ذهن فارغ؟ أن تمتلك ذهناً فارغاً يعني أن تكون في حالة خدر وبلاهة، أو ما تشاء، ورد فعلك الغريزي هو أن ترفضه. أكيدٌ أن ذهناً هادئاً جداً ومنفتحاً قادر على النظر إلى المشكلة بشكل مباشر وبسيط جداً. وهذه القدرة على النظر من دون أي إلهاء إلى مشكلاتنا هي الحل الوحيد. ومن أجل هذا يجب أن يكون هناك ذهن هادئ تغمره السكينة.

إن ذهناً كهذا ليس نتيجة، ليس منتجاً نهائياً للممارسة والتأمل والسيطرة. يأتي إلى الوجود ليس عبر أي شكل من النظام أو الإكراه أو السموّ، بدون أي جهد لـ "الأنا"، للفكر؛ يأتي إلى الوجود حين أفهم سيرورة التفكير كلها، حين أستطيع أن أرى حقيقة بدون أي إلهاء. في تلك الحالة من هدوء الذهن يوجد حب. والحب وحده هو القادر على حل مشكلاتنا الإنسانية كلّها.

الفصل السابع عشر

وظيفة الذهن

حين ترصد ذهنك تلاحظ لا ما يُدعى بالمستويات العليا للذهن فقط بل أيضاً اللاوعي؛ ترى ما يفعله الذهن في الواقع، أليس كذلك؟ هذه هي الطريقة الوحيدة التي تستطيع أن تستقصي بها. لا تفرض عليه ما يجب أن يفعله، وكيف يجب أن يفكر أو يفعل؛ لأن هذا لن يؤدي إلا إلى صناعة المقولات. أي إذا قلت إن الذهن سيكون هذا أو يجب ألا يكون ذاك، عندها توقف الاستقصاء، والتفكير؛ أو إذا اقتبست كلام مرجع كبير، فإنك تتوقف عن التفكير، أليس كذلك؟ إذا استشهدت ببوذا أو المسيح أو غيرهما، ينتهي البحث، والتفكير والاستقصاء. على المرء أن يحترس من هذا. يجب أن تضع جانباً مهارات الذهن كلّها إذا كنت ستستقصي مشكلة الذهن معي.

ما هي وظيفة الذهن؟ من أجل معرفة هذا، يجب أن تعرف ما الذي يفعله الذهن. ما الذي يفعله ذهنك؟ إنه سيرورة تفكير، أليس كذلك؟ بخلاف ذلك، الذهن ليس هناك. طالما أن الذهن لا يفكر، بوعي أو من دون وعي، فإنه لا يوجد هناك وعي. يجب أن نكتشف ما الذي يفعله الذهن الذي نستخدمه في الحياة اليومية، وأيضاً الذهن الذي لا يعيه معظمنا، عبر العلاقة مع مشكلاتنا. يجب أن ننظر إلى الذهن كما هو وليس كما يجب أن يكون.

والآن ما هو الذهن فيما هو يعمل؟ إنه في الواقع سيرورة عزلة، أليس كذلك؟ هذا ما هي عليه سيرورة التفكير جوهرياً. إنها التفكير في شكل معزول، ولكنه يبقى جمعياً مع ذلك. حين ترصد تفكيرك الخاص، تكتشف أنه سيرورة معزولة متشظية. فأنت تفكر بحسب ردود فعلك، وردود فعل

ذاكرتك، وتجربتك، ومعرفتك، ومعتقدك. أنت تردّ على كل هذا، أليس كذلك؟ إذا قلت أنه يجب أن تحدث هناك ثورة جوهرية، يأتي رد فعلك فوراً. ستعترض على كلمة "ثورة" لو كانت لديك استثمارات جيدة، روحية أو غيرها. وهكذا فإن رد فعلك يعتمد على معرفتك، وعلى معتقدك وعلى تجربتك. تقول: "يجب أن أكون متآخياً"، "يجب أن أتعاون"، "يجب أن أكون ودوداً"، "يجب أن أكون لطيفاً"، وهلمّجرّا. ما هذه؟ كل هذه ردود أفعال؛ ولكن رد الفعل الجوهري للتفكير سيرورة عزلة. أنت تراقب سيرورة ذهنك، كل واحد منكم يفعل هذا، مما يعني مراقبة فعلك ومعتقدك ومعرفتك وتجربتك. كل هذه تمنح الأمن، أليس كذلك؟ تمنح الأمن والقوة لسيرورة التفكير. وهذه السيرورة لا تقوّي إلا "الأنا"، والذهن، والذات سواء دعوت تلك الذات رفيعة أو وضيعة. إن أدياننا كلها، وقوانيننا كلّها هي لدعم الذات الفردية، والفعل الانفصالي؛ وفي المقابل هناك الحالة الكليانية. إذا دخلت عميقاً في اللاوعي، سترى أن السيرورة نفسها تجري هناك. هناك، نحن المجموعة المتأثرة بالبيئة، وبالمناخ، وبالمجتمع، وبالأب والأم والجد. هناك الرغبة بالجزم، بالهيمنة كفرد، كـ "أنا".

أليست وظيفة الذهن، كما نعرفه، وكما نفعل يومياً، سيرورة عزلة؟ ألا تنشد الخلاص الفردي؟ ستصبح شيئاً ما في المستقبل؛ أو في هذه الحياة نفسها ستكون رجلاً عظيماً، كاتباً عظيماً. إن ميلنا الكلي هو إلى أن نكون منفصلين. هل يستطيع الذهن أن يفعل أي شيء آخر سوى هذا؟ هل من الممكن للذهن ألا يفكر بشكل منفصل، بطريقة محتواة ذاتياً، بشكل متشظ؟ هذا مستحيل. وهكذا فنحن نعبد الذهن؛ وهو مهمّ بشكل فائق للعادة. ألا تعرف، في اللحظة التي تكون فيها ماكراً قليلاً، ومتيقّظاً قليلاً، وتمتلك بعض المعرفة المتراكمة والمعلومات، كم تصبح مهمّاً في المجتمع؟ تعرف كيف تعبد أولئك المتفوقين فكرياً، المحامين والأساتذة والخطباء والكتاب العظام والشارحين والمفسّرين! لقد صقلت الفكر والذهن.

إن وظيفة الذهن هي أن يكون منفصلاً؛ بخلاف ذلك لا يكون ذهنك موجوداً. فبعد أن صقلنا هذه السيرورة لقرون نكتشف أننا لا نستطيع التعاون؛ يمكن أن نُحثّ فقط ونُكره وتدفعنا السلطة والخوف الاقتصادي أو الديني. إذا كانت هذه هي الحالة الفعلية، ليس فقط بشكل واع وإنما أيضاً على المستويات العميقة في دوافعنا ونوايانا واهتماماتنا، كيف يمكن أن يكون هناك تعاون؟ كيف يمكن أن يكون هناك أذكياء يفعلون شيئاً ما معاً؟ وبما أن هذا مستحيل تقريباً فإن الدين والأحزاب المنظّمة تجبر الفرد على أشكال معيّنة من النظام. يصبح النظام إلزامياً إذا أردنا أن نأتي معاً، أن نفعل الأمور معاً.

لن نحقق السلام، وسنظلّ في حالة حرب وصراع متواصل إذا لم نعرف كيف نتجاوز هذا التفكير المنفصل، وسيرورة التشديد على "أنا" و"لي"، سواء في صيغة جمعية أو فردية. إن مشكلتنا هي كيف ننهي سيرورة التفكير المنفصلة. هل يستطيع الفكر أن يدمر الذات، الفكر كونه سيرورة التعبير بكلمات ورد فعل؟ ليس الفكر إلا رد فعل؛ الفكر ليس خلّاقاً. هل يستطيع فكر كهذا أن ينهي نفسه؟ هذا ما نحاول معرفته؟ حين أفكر وفق هذه الخطوط: " يجب أن أنظّم"، " يجب أن أفكّر بشكل ملائم أكثر"، "يجب أن أكون هذا أو ذاك"، فإنَّ الفكر يرغم نفسه، ويحثّ نفسه، وينظّم نفسه لكي يكون شيئاً ما أو لكي لا يكون. أليست هذه سيرورة عزلة؟ بالتالي، ليس هذا الذكاء المتكامل الذي يعمل ككل، والذي يمكن أن ينشأ عنه وحده تعاون.

كيف يمكن أن نصلٍ إلى نهاية الفكر؟ أو بالأحرى كيف ينتهي الفكر الذي هو معزول ومتشظ وجزئي؟ كيف ترى هذا؟ هل ما يُدعى بنظامك سيدمره؟ من الواضح أنك لم تنجح في تلك السنوات الطويلة كلّها، وإلا لما كنت هنا. افحص من فضلك سيرورة التنظيم، والتي هي فقط سيرورة فكر، والتي فيها خضوع، وقمع، وسيطرة وهيمنة وتؤثر كلها في اللاوعي، الذي

يؤكد نفسه فيما بعد حين تكبر في السن. بعد أن حاولت لوقت طويل من دون هدف، يجب أن تكون قد اكتشفت أن النظام ليس سيرورة تدمير الذات. لا يمكن أن تُدمّر الذات عبر النظام، لأن النظام سيرورة تقوية للذات. تدعمه أديانكم كلّها؛ وتأملاتكم وتأكيداتكم مستندة إليه. هل ستدمر المعرفة الذات؟ هل سيدمرها الإيمان؟ بتعبير آخر، هل سينجح أي شيء نفعله حالياً، أي من الأنشطة التي نحن منخرطون فيها حالياً من أجل الوصول إلى جذر الذات؟ أليس كل هذا تبديداً للوقت في سيرورة تفكير هي سيرورة عزلة، ورد فعل؟ ما الذي تفعله حين تدرك جوهرياً، أو على مستوى عميق، أن ذلك الفكر لا يستطيع أن ينهي نفسه؟ ما الذي يحدث؟ راقب نفسك. حين تكون واعياً لهذه الحقيقة بشكل كامل، ما الذي يجري؟ تفهم أن أي رد فعل مشروط وبالتالي لا يمكن أن تكون هناك حرية لا في البداية ولا في النهاية، فالحرية هي دوماً في البداية وليست في النهاية.

حين تدرك أن رد الفعل مشروط وبالتالي يمنح استمرارية للذات بطرق مختلفة، ما الذي يحدث في الواقع؟ يجب أن تكون واضحاً جداً في هذه المسألة. فالإيمان والمعرفة والنظام والتجربة وسيرورة تحقيق نتيجة أو غاية وطموح، أو أن يصير المرء شيئاً ما في هذه الحياة، أو في الحياة المستقبلية، كل هذه الأمور سيرورة عزلة، سيرورة تسبّب الدمار والبؤس والحروب، ولا منجى منها عبر الفعل الجمعي، مهما تم تهديدك بمعسكرات التعذيب وغيرها. هل أنت واع لتلك الحقيقة؟ ما هي حالة الذهن الذي يقول: "الأمر هكذا". "هذه مشكلتي"، " أنا هنا بالضبط "، "أفهم ما يمكن أن يفعله النظام والمعرفة، ما يفعله الطموح"؟ أكيد أنك إذا رأيت كل هذا، ستكون هناك سيرورة مختلفة في حالة عمل.

نرى طرق الذهن ولكننا لا نرى طريق الحب. لا يُكتشف طريق الحب عبر الذهن. إن الذهن بكل تشعباته ورغباته وطموحاته واهتماماته يجب أن

ينتهي كي يوجد الحب. ألا تعرف أنك حين تحب تتعاون ولا تفكر بنفسك؟ هذا هو أعلى أشكال الذكاء. ليس حين تحب ككيان متفوّق أو حين تكون في مركز جيد، والذي ليس أي شيء سوى الخوف. حين تكون فوائدك المكتسبة هناك، لا يمكن أن يكون هناك حب؛ هناك فقط سيرورة الاستغلال، المولودة من الخوف. وهكذا فإن الحب لا يأتي إلى الوجود إلا حين لا يكون الذهن هناك. بالتالي يجب أن تفهم سيرورة الذهن ووظيفته كلها.

حين نعرف كيف نحب بعضنا بعضاً يمكن أن يكون هناك تعاون، يمكن أن يكون هناك ذكاء وتعاون في المسائل كلّها. عندئذ فحسب يكون من الممكن أن نعرف ما هو الله، ما هي الحقيقة. أما الآن، فنحن نحاول العثور على الحقيقة عبر الذهن والمحاكاة، وهذا وثنية. حين تنبذ كليّاً، عبر الفهم، بنية الذات كلها، يمكن لما هو أبدي ولازماني وغير قابل للقياس، أن يأتي إلى الوجود. لا تستطيع الذهاب إليه؛ إنه يأتي إليك.

الفصل الثامن عشر

خداع الذات

أودّ أن أناقش أو أفحص مسألة خداع الذات، الأوهام التي ينغمس فيها الذهن ويفرضها على نفسه وعلى الآخرين. هذه مسألة في غاية الجدية، وخاصة في أزمة من النوع الذي يواجهه العالم. ولكن من أجل فهم مشكلة خداع الذات كلها يجب أن نتتبّعها ليس على المستوي التعبيري فحسب وإنما على المستوى العميق الأساسي والجوهري. فالكلمات والكلمات المضادة ترضينا بسهولة؛ نحن خبيرون بالحياة وبالناس، وكل ما نستطيع فعله هو أن نأمل حدوث شيء. نحن نرى أن تفسير الحرب لا يوقفها؛ ثمة مؤرّخون وعلماء لاهوت ومتديّنون لا يُحصى لهم عدد يفسّرون الحرب وكيف تحدث ولكن الحروب ما تزال تحدث، على نحو أكثر تدميراً مما كانت عليه. أما الأكثر جدية بيننا فيجب أن يتجاوزوا اللفظ، ويروموا تلك الثورة الجوهرية داخل أنفسهم. هذا هو الدواء الوحيد الذي يمكن أن يقدّم علاجاً دائماً وجوهرياً للبشرية.

وعلى نحو مشابه، حين نناقش هذا النوع من خداع الذات، أعتقد أننا يجب أن نحترس من أية شروح وأجوبة سطحية؛ ينبغي، إذا كان بوسعي اقتراح ذلك، ألا نصغي فحسب إلى متحدّث وإنما أن نتتبَع المشكلة كما نعرفها في حياتنا اليومية؛ وهذا يعني أننا يجب أن نراقب أنفسنا في التفكير وفي الفعل؛ نراقب كيف نؤثر بالآخرين وكيف نواصل الفعل انطلاقاً من أنفسنا.

ما هو سبب الخداع وأساسه؟ كم منا يعي حقاً بأنه يخدع نفسه؟ قبل أن نستطيع الإجابة على سؤال: " ما هو خداع الذات وكيف ينشأ؟"، ألا يجب أن نكون واعين بأننا نخدع أنفسنا؟ هل نعرف أننا نخدع أنفسنا؟ ما

الذي نعنيه بهذا الخداع؟ أعتقد أنه في غاية الأهمية، لأنه كلما خدعنا أنفسنا ازدادتْ قوّة الخداع؛ ذلك أنه يمنحنا حيويّة معيّنة، وطاقة معيّنة، وقدرة معيّنة تنطوي على فرض خداعنا على الآخرين. وهكذا فنحن تدريجياً لا نفرض الخداع على أنفسنا فحسب وإنما على الآخرين. أليست سيرورة تفاعلية من خداع الذات؟ هل نحن واعون لهذه السيرورة؟ نعتقد أننا قادرون على التفكير بوضوح، وعلى نحو هادف ومباشر؛ ولكن هل نحن واعون أن هناك خداعاً للذات في سيرورة التفكير؟

أليس الفكر نفسه سيرورة بحث عن التبرير، والأمن، وحماية الذات، والرغبة بأن يُفكّر بك بشكل جيد، والرغبة بالحصول على منصب، وهيبة وقوة؟ أليست تلك الرغبة بأن تكون سياسياً ودينياً وسوسيولوجياً علّة خداع الذات؟ في اللحظة التي أريد فيها شيئاً غير الاحتياجات المادية، ألا أنتج، ألا أُحضر، حالة تُقبل بسهولة؟ خذ، مثلاً، هذا: إن كثيرين منا مهتمون بمعرفة ما يحدث بعد الموت؛ كلما تقدم بنا السن، صرنا أكثر اهتماماً بهذا الأمر. نريد أن نعرف حقيقة الأمر.كيف نكتشف ذلك؟ أكيد أنه ليس عبر القراءة أو التفسيرات المختلفة.

كيف تكتشف الأمر؟ أولاً، يجب أن تُطهِّر ذهنك بشكل كامل من العوامل التي في الطريق، من الآمال والرغبات كافة كي تواصل، يجب أن تتخلى عن جميع الرغبات للعثور على ما هو في الجانب الآخر. ولأن الذهن ينشد باستمرار الأمن، لديه الرغبة كي يواصل ويأمل الحصول على وسيلة تحقق، من أجل وجود مستقبلي. إن ذهناً كهذا، رغم أنه يروم حقيقة الحياة بعد الموت، والتناسخ أو أي شيء آخر، غير قادر على اكتشاف الحقيقة، أليس كذلك؟ فما هو مهمّ ليس إن كان التناسخ حقيقياً أم لا، وإنما كيف يروم الذهن، عبر خداع الذات، تبرير حقيقة يمكن أن تكون أو لا تكون. ما هو ضروري هو مقاربة المشكلة، بأي دافع، بأي إلحاح، بأية رغبة تأتي إليه.

إن الباحث يفرض دوماً هذا الخداع على نفسه؛ لا أحد يستطيع فرضه عليه؛ فهو نفسه يفعل ذلك. نبتكر الخداع ثم نصبح عبيداً له. إن العامل الجوهري لخداع الذات هو الرغبة المستمرة كي تكون شيئاً في هذا العالم وفي العالم الآخر. نعرف نتيجة الرغبة في أن تكون شيئاً في هذا العالم؛ إنها فوضى مطلقة، حيث الجميع ينافس ويدمر بعضهم بعضاً باسم السلام؛ تعرفون اللعبة كلها التي نلعبها مع بعضنا بعضاً، والتي هي شكل فائق للعادة من خداع الذات. وعلى نحو مشابه، نريد الأمن في العالم الآخر، نريد منصباً.

وهكذا نبدأ بخداع أنفسنا في اللحظة التي يكون فيها ذلك الإلحاح كي نكون، كي نصبح وننجز. هذا شيء من الصعب جداً على العقل التحرر منه. هذه إحدى المشاكل الأساسية في حياتنا. هل من الممكن أن نعيش في هذا العالم وأن لا نكون شيئاً؟ عندئذ فقط يحدث تحرر من الخداع لأنه عندئذ فحسب لا ينشد العقل نتيجة، لا ينشد جواباً مُرضياً، أو أي نوع من التبرير، أو أي شكل من أشكال الأمن، في أية علاقة. لا يحدث هذا إلا حين يدرك الذهن إمكانيات وبراعات الخداع، وبالتالي، بهذا الفهم، يتخلى عن أشكال التبرير والأمن كلّها، مما يعني أن الذهن يصبح قادراً عندئذ على ألا يكون أي شيء بشكل كامل. هل هذا ممكن؟

طالما أننا نخدع أنفسنا، لا يمكن أن يكون هناك حب. طالما أن الذهن قادر على خلق الوهم وفرضه على نفسه فإنه يفصل نفسه عن الفهم الجمعي أو المتكامل. هذه إحدى الصعوبات التي تواجهنا؛ نجهل كيف نتعاون. كل ما نعرفه هو أننا نحاول أن نعمل سوية من أجل غاية يحضرها كل منا إلى الوجود. لا يمكن أن يكون هناك تعاون إلا حين لا يكون لي ولك هدف مشترك أنشأه الفكر. ما هو ضروريٌّ إدراكه هو أن التعاون ممكن فحسب حين لا نرغب أنا وأنت بفعل أي شيء. حين أرغب أنا وأنت بأن نكون شيئاً، يصبح الإيمان وكل ما يتعلق به ضرورياً، وتصبح اليوتوبيا المتصوّرة ذاتياً

ضرورية. ولكن إذا كنا، أنا وأنت، نبدع على نحو مجهول، من دون أي خداع للذات، ومن دون أية حواجز إيمانية أو معرفية، ومن دون رغبة كي نكون آمنين، عندئذ يحدث تعاون حقيقي.

هل من الممكن لنا أن نتعاون، أن نكون معاً دون غاية منظورة؟ هل نستطيع أنا وأنت أن نعمل سوية دون نشدان نتيجة؟ هذا تعاون حقيقي، أليس كذلك؟ إذا فكرت أنا وأنت، وعملنا وخططنا لنتيجة، وعملنا سوية من أجل تلك النتيجة، ما هي السيرورة المتضمّنة حينئذ؟ إن أفكارنا وعقولنا تلتقي بالطبع؛ ولكن عاطفياً، يمكن أن يقاومها الوجود كله، مما يسبّب الخداع، مما يسبب الصراع بيني وبينك. هذه حقيقة واضحة قابلة للرصد في حياتنا اليومية. أتفق، أنا وأنت، على القيام بعمل ما فكرياً، ولكن على مستوى اللاوعي العميق نكون أنا وأنت في حالة حرب. أريد نتيجة ترضيني؛ أريد أن أهيمن؛ أريد أن يكون اسمي قبل اسمك؛ برغم أنه يُقال إنني أعمل معك. وهكذا كلانا ـ اللذان أبدعا تلك الخطة ـ نصبح متصارعين، على الرغم من أنني أنا وأنت متفقان ظاهرياً على الخطة.

ليس من الضروري اكتشاف أنني أنا وأنت نستطيع التعاون، والمشاركة، والعيش سوية في عالم نكون فيه أنا وأنت لا شيء؛ سواء كنّا قادرين على التعاون، ليس على مستوى سطحي وإنما جوهرياً؟ هذه إحدى أكبر مشكلاتنا. أتماهى مع موضوع وتتماهى مع الموضوع نفسه؛ كلانا مهتم به؛ كل منا ينوي أن ينجزه. أكيد أن سيرورة التفكير هذه سطحية جداً، لأنه عبر التماهي نسبب الانفصال، وهذا جليٌّ في حياتنا اليومية. أنت هندوسي وأنا كاثوليكي؛ كلانا يكرز بالأخوّة، وكلٌّ منا في حنجرة الآخر. لماذا؟ هذه إحدى مشكلاتنا، أليس كذلك؟ على مستوى لاواع وعميق، لديك معتقداتك ولديَّ معتقداتي. وبالتحدث عن الأخوّة، لا نحل مشكلة المعتقدات كلها وإنما نتفق فكرياً ونظرياً على أن هذا يجب أن يكون هكذا؛ داخلياً وعمقياً، نحن ضد بعضنا البعض.

إذا لم نُزل تلك الحواجز التي هي خداع للذات، الذي يمنحنا حيويّة معيّنة، لا يمكن أن يحدث تعاون بينك وبيني. لا يمكن أن ننشئ تعاوناً عبر التماهي مع مجموعة، ومع فكرة معيّنة، ومع بلاد معيّنة.

لا ينشئ الإيمان تعاوناً؛ على العكس، إنه يفرّق. نرى كيف أن حزباً سياسياً هو ضد حزب آخر، وكل منهما يؤمن بطريقة معيّنة للتعامل مع المشكلات الاقتصادية، وهكذا فإن الأحزاب كلها في حالة حرب مع بعضها بعضاً. ليست مصممة، مثلاً، على حل مشكلة المجاعة. إنها مهتمة بالنظريات التي ستحل المشكلة. لكنها ليست مهتمة في الواقع بالمشكلة نفسها، وإنما بالطريقة التي ستُحل المشكلة بها. بالتالي يجب أن يكون هناك صراع بينها، لأن الأحزاب مهتمة بالفكرة وليس بالمشكلة. وعلى نحو مشابه، يعارض المتدينون بعضهم بعضاً، على الرغم من أنهم يقولون إنهم جميعاً لديهم حياة واحدة وإله واحد؛ تعرفون كل هذا. إن معتقداتهم وآراءهم وتجاربهم تدمّرهم داخلياً وتبقيهم منفصلين.

تصبح التجربة عامل تفرقة في علاقتنا البشرية؛ طريقة من طرق الخداع. إذا جرّبت شيئاً ما، أتمسّك به، لا أدخل في مشكلة سيرورة التجريب كلّها ولكن، لأنني جرّبتُ، هذا كاف وأتمسك به؛ بالتالي أفرض، عبر التجربة، خداع الذات.

إن الصعوبة التي تواجهنا هي أن كلاً منا يتماهى مع إيمان معيّن، مع شكل معيّن أو طريقة معيّنة لتوليد السعادة، والتكيف الاقتصادي، بحيث أن هذا يأسر عقلنا ونصبح غير قادرين على الغوص إلى أعمق في المشكلة؛ بالتالي نرغب بالبقاء بعيدين، فردياً، بطرقنا الخاصة ومعتقداتنا وتجاربنا. لا يمكن أن يعم السلام العالم إذا لم نحلها، عبر الفهم، ليس فقط على المستوى السطحي وإنما على المستوى الأعمق أيضاً. لهذا من الضروريّ لأولئك الذين هم جادون حقاً أن يفهموا هذه المشكلة - الرغبة بأن تصير، وتنجز،وتكسب - ليس فقط على المستوى السطحي بل جوهرياً؛ بخلاف ذلك لا يمكن أن يعم السلام العالم.

ليست الحقيقة شيئاً يُكتسب. لا يمكن أن يأتي الحب إلى أولئك الذين يملكون رغبة بالتمسك به؛ أو الذين يودون التماهي معه. لا تأتي أمور كهذه إلا حين لا ينشد الذهن، إلا حين يكون هادئاً بشكل كامل، ويتوقف عن إبداع الحركات والمعتقدات التي يمكن أن يعتمد عليها، أو يستمد منها قوة معيّنة، هذا هو مؤشر لخداع الذات. فحين يفهم الذهن سيرورة الرغبة هذه كلها فحسب يمكن أن يكون هادئاً. عندئذ فحسب لا يكون الذهن في حركة أكون أو لا أكون؛ عندئذ فحسب ثمة إمكانية لحالة لا يكون فيها أي خداع من أي نوع.

الفصل التاسع عشر

النشاط الأنانيّ

أعتقد أن معظمنا يدرك أن جميع أشكال الإقناع، وجميع أنواع المغريات، قد قُدِّمت لنا كي نقاوم الأنشطة الأنانية. فقد حاولت الأديان عبر الوعود والخوف من الجحيم وجميع أشكال الشجب، وبطرق مختلفة، أن تمنع الإنسان من ممارسة هذا النشاط المستمر المولود من مركز "الأنا". وبعد أن فشلت هذه المحاولات، واصلتها المنظمات السياسية. هناك الإقناع؛ والأمل الطوباوي المطلق. إن جميع أشكال التشريع، من المحدود جداً إلى المتطرف، بما فيه معسكرات التعذيب، استُخدمت وفُرضت ضد جميع أشكال المقاومة. إلا أننا نواصل نشاطنا الأناني، الذي هو النوع الوحيد من العمل الذي نبدو كأننا نعرفه. وإذا حدث وفكّرنا به، نحاول أن نعدّله؛ إذا كنا واعين له، نحاول أن نغيّر مجراه؛ ولكن جوهرياً وعمقياً، لا يوجد تحوّل، لا يوجد توقف جذري لذلك النشاط. يعي المفكرون هذا؛ يعون أيضاً أنه حين يتوقف ذلك النشاط من المركز تولد السعادة. يسلّم معظمنا جدلاً بأن النشاط المستقل طبيعي وأن الفعل الناجم، الحتميّ، يمكن أن يُعدّل ويُصاغ ويُسيطر عليه فحسب. إن أولئك الأكثر جدية والأكثر إخلاصاً ـ لأن الإخلاص هو طريق خداع الذات ـ يجب أن يكتشفوا إذا كان بوسع المرء أن يتجاوز هذه السيرورة الكلية الفائقة للعادة من النشاط الأناني، بعد أن يعيها.

يجب على المرء، كي يفهم ما هو هذا النشاط الأناني، أن يفحصه بجلاء وينظر إليه وأن يعي السيرورة كلها. إذا كان بوسع المرء أن يعيها، تأتي إمكانية حلّها؛ ولكن وعيها يتطلب فهماً معيّناً، نية معيّنة لمواجهة

الشيء كما هو، وألا نفسّره أو نعدّله أو نشجبه. يجب أن نكون واعين لما نفعله، لكل النشاط الذي يقفز من تلك الحالة المستقلة؛ يجب أن نكون واعين لها. إن إحدى الصعوبات الرئيسية التي تواجهنا هي أنه في اللحظة التي نعي بها ذاك النشاط، نريد أن نصوغه، نريد أن نتحكم به، نريد أن نشجبه أو نريد أن نعدّله، وهكذا نادراً ما نقدر على النظر إليه مباشرة. حين نفعل هذا، قلة منا تكون قادرة على معرفة ما تفعل.

ندرك أن الأنشطة المستقلة معرقلة، ومدمرة، وأن كل شكل من أشكال التماهي مع بلاد ومجموعة معيّنة ورغبة معينة والبحث عن نتيجة هنا أو هناك، وتعظيم فكرة وملاحقة نموذج أو فضيلة هو، بالضرورة، نشاط شخص مستقل. إن علاقاتنا مع الطبيعة والناس والأفكار هي نتاج ذلك النشاط. عارفاً كل هذا، ماذا يفعل المرء؟ إن هذه الأنشطة كلها يجب أن تتجه إلى غاية غير مفروضة ذاتياً، وغير متأثرة، وغير موجّهة.

يعي معظمنا أن هذا النشاط المستقل يخلق السوء والفوضى ولكننا لا نعيه إلا في اتجاهات معيّنة. إما نلاحظه في الآخرين ونكون جاهلين لأنشطتنا وإما نكون واعين، عبر العلاقة مع الآخرين، لنشاطنا المستقل الذي نريد تحويله، وحين نريد أن نجد بديلاً، ونريد أن نتجاوز. قبل أن نستطيع التعامل معه يجب أن نعرف كيف تولد هذه السيرورة، أليس كذلك؟ من أجل فهم شيء ما، يجب أن نكون قادرين على النظر إليه؛ وكي ننظر إليه يجب أن نعرف أنشطته المختلفة على مستويات مختلفة، واعين أو غير واعين للتوجيهات الواعية، وكذلك الحركات المستقلة لدوافعنا ونوايانا اللاواعية.

أعي هذا النشاط لـ "الأنا" فقط حين أعارض، حين يُعترض الوعي، حين ترغب "الأنا" بتحقيق نتيجة، أليس كذلك؟ أو أعي ذلك المركز حين تنتهي المتعة وأرغب بالمزيد منها؛ عندئذ تكون هناك مقاومة وصياغة هادفة للذهن لغاية معيّنة ستمنحني متعة ورضا؛ أعي نفسي وأنشطتي

حين ألاحق الفضيلة بشكل واع. أكيد أن الإنسان الذي يلاحق الفضيلة بوعي هو غير فاضل. لا يمكن السعي وراء التواضع، وهذا هو جماله.

إن هذه السيرورة المستقلة هي نتاج الوقت، أليس كذلك؟ وطالما أن مركز النشاط هذا يوجد في أي اتجاه، واع أو غير واع، فهناك حركة الزمن، وأنا أشكّل وعيي من الماضي والحاضر في اتصال مع المستقبل. إن النشاط المستقل لـ "الأنا" هو سيرورة زمنية. فالذاكرة هي التي تمنح الاستمرارية لنشاط المركز، الذي هو "الأنا". إذا راقبت نفسك وكنت واعياً لمركز النشاط هذا، سترى أنه سيرورة زمن، وذاكرة، وتجريب وترجمة لكل تجربة وفق الذاكرة؛ سترى أيضاً أن النشاط الذاتي تعرّفٌ، وسيرورة ذهنية أيضاً.

هل يستطيع الذهن التحرر من كل هذا؟ هذا ممكن في اللحظات النادرة؛ يمكن أن يحدث لمعظمنا حين نقوم بفعل غير واع، غير قصدي، وغير هادف؛ ولكن هل يمكن للذهن أن يتحرّر من النشاط المستقل؟ هذا سؤال مهمّ نطرحه على أنفسنا، لأنك ستجد الجواب أثناء طرحه. إذا كنت واعياً لهذه السيرورة الكلية، لهذا النشاط المستقل، وعارفاً لأنشطته على مستويات مختلفة من وعيك، إذاً عليك أن تسأل نفسك إن كان ممكناً لذلك النشاط أن ينتهي. هل من الممكن أن لا نفكر من زاوية الزمن، من زاوية يجب أن أكون، ماذا كنت، ماذا أنا؟ من تفكير كهذا تبدأ سيرورة النشاط المستقل كلها؛ يبدأ التصميم على أن تصبح، على أن تختار وتتجنّب، وهذا سيرورة زمنية. نرى في تلك السيرورة أذى وفوضى وتشويهاً وتدهوراً لا نهاية لهم.

أكيد أن سيرورة الزمن ليست ثورية. ففي سيرورة الزمن لا يوجد تحوّل؛ ثمة استمرارية ولا توجد نهاية، لا يوجد سوى التعرّف. حين تتوقّف سيرورة الزمن، حين يتوقّف نشاط الذات تحدث ثورة، وتحوُّل، ويولد الجديد.

كونك واعياً للسيرورة الكاملة الكلية لـ "الأنا" في نشاطها، ما الذي يفعله الذهن؟ بالتجدّد، بالثورة فحسب ـ *وليس عبر التطوّر*، وليس عبر أن

تصبح "الأنا"، ولكن عبر انتهاء "الأنا" بشكل كامل ـ يولد الجديد. لا تستطيع سيرورة الزمن تقديم الجديد؛ فالزمن ليس طريقة الإبداع.

لا أعرف إن مرّ أيٌّ منكم في لحظة الإبداع. أنا أتحدث عن وضع رؤية في حالة عمل؛ أعني لحظة الإبداع تلك حين لا يوجد تعرّف. في تلك اللحظة الفائقة للعادة التي تتوقف فيها "الأنا"، كنشاط عبر التعرّف. إذا كنا واعين، سنرى أنه في تلك الحالة لا يوجد مجرّب يتذكّر، ويترجم، ويتعرّف ويحدّد؛ لا يوجد سيرورة تفكير، حول الزمن. في حالة الخلق تلك، حالة إبداع الجديد، والتي هي لازمانية، لا يوجد فعل لـ "الأنا" مطلقاً.

إن سؤالنا هو: هل يمكن للذهن أن يكون في تلك الحالة بدون اعتبار للزمن، ليس مؤقتاً، ليس في لحظات نادرة. أفضل ألا أستخدم كلمات مثل "أبدي" أو "إلى الأبد"، لأن هذا سيتضمن الزمن. يجب أن نقوم جميعنا بهذا الاكتشاف، لأنه الباب إلى الحب؛ أما الأبواب الأخرى كلها فهي أنشطة للذات. حيث يوجد فعل للذات، ليس هناك حب. إنّ الحب ليس من الزمن. لا تستطيع ممارسة الحب. إذا فعلت، يكون نشاطاً واعياً ذاتياً لـ "الأنا" التي تأمل أن تكسب نتيجة عبر الحب.

إن الحب ليس من الزمن؛ لا تستطيع العثور عليه عبر أي جهد واع، عبر أي نظام، عبر التماهي، والتي كلها سيرورة زمن. إن الذهن، الذي لا يعرف إلا سيرورة الزمن، لا يستطيع التعرف على الحب. فالحب هو الشيء الوحيد الجديد دائماً. بما أن معظمنا صقلوا الذهن، الذي هو نتيجة الزمن، لا نعرف ما هو الحب. نتحدث عن الحب؛ نقول إننا نحب الناس، نحب أطفالنا، زوجتنا، جارنا، نحبّ الطبيعة؛ ولكن في اللحظة التي نعي فيها أننا نحب، يولد النشاط الذاتي؛ بالتالي يتوقف عن كونه حبا.

لا تُفهم السيرورة الكلية للذهن إلا عبر علاقة مع الطبيعة، ومع الناس، ومع إسقاطاتنا، ومع كل ما يتعلق بنا. ليست الحياة سوى علاقة. ورغم أننا يمكن أن نحاول عزل أنفسنا عن العلاقة، فإننا لا نستطيع أن نوجد من دونها. ورغم أن العلاقة مؤلمة فإننا لا نستطيع الهرب، عبر العزلة، والنسك وهلمّجرًا. إن هذه الطرق كلّها مؤشرات على نشاط الذات. إذا رأيت هذه الصورة، ووعيت سيرورة الزمن كلها كوعي، من دون أي خيار، من دون أي قصد مصمم وهادف، من دون الرغبة بأية نتيجة، سترى أن هذه السيرورة الزمنية تنتهي طوعاً، فهي غير خاضعة للإغواء، وليست نتيجة رغبة. حين تنتهي تلك السيرورة فحسب يوجد الحب، الذي هو أبدياً جديد.

ليس علينا أن نبحث عن الحقيقة. إن الحقيقة ليست شيئاً بعيداً. إنها الحقيقة عن الذهن، عن أنشطته من لحظة إلى أخرى. إذا كنا واعين لهذه الحقيقة التي من لحظة إلى أخرى، لسيرورة الزمن هذه، فإن هذا الوعي يطلق الوعي أو الطاقة التي هي الذكاء والحب. وطالما أن الذهن يستخدم الوعي كنشاط ذاتي، فإن الزمن يأتي إلى الوجود بحالات بؤسه، وصراعاته، وآلامه، وخداعاته كلّها؛ وحين يتوقف العقل، وفهم السيرورة، يمكن أن يوجد الحب.

الفصل العشرون

الزمن والتحوّل

أود التحدّث قليلاً عمّ هو الزمن، لأنني أعتقد أن غنى وجمال وأهمية ما هو لازمانيٌّ، وما هو حقيقي، لا يمكن أن يُجرّبوا حين نفهم سيرورة الزمن كلها. في النهاية، نحن ننشد، كلٌّ بطريقته، إحساساً بالسعادة، وبالغنى. أكيدٌ أن الحياة التي لها معنى، وتملك صفة السعادة الحقيقية ليست من الزمن. إن حياة كهذه لازمانية على غرار الحب، وكي نفهم ما هو لازماني، يجب ألا نقاربه عبر الزمن ولكن يجب بالأحرى أن نفهم الزمن. يجب ألا ننتفع من الزمن كوسيلة لكسب وتحقيق وفهم اللازماني. هذا ما نفعله طيلة حياتنا: إمضاء الوقت محاولين القبض على ما هو لازماني، وهكذا من المهمّ فهم ما نعنيه بالزمن، لأنني أظنّ أنه يمكننا أن نفهم ما نعنيه بالزمن، أن نتحرر من الزمن. من الضروري جداً فهم الزمن ككل وليس جزئياً.

يجب أن ندرك أن حيواتنا تُنفق في الزمن، الزمن، ليس بمعنى التسلسل الزمني، أو بمعنى الدقائق والساعات والأيام والسنوات، وإنما بمعنى الذاكرة النفسية. نعيش بالزمن، نحن نتيجة الزمن. إنّ عقولنا نتاج الكثير من الأيام الماضية، والحاضر هو مجرد مرور الماضي إلى المستقبل. إن أذهاننا، وأنشطتنا، ووجودنا، مؤسسون على الزمن؛ فمن دون زمن لا نستطيع التفكير؛ لأن التفكير نتاج الزمن، نتاج كثير من الأيام الماضية. لا يوجد تفكير من دون ذاكرة. فالذاكرة هي الزمن؛ ذلك أنه يوجد نوعان من الزمن: التسلسلي والنفسي. هناك زمن كالأمس وفق الساعة وكالأمس وفق الذاكرة. لا تستطيعون رفض الزمن التسلسلي؛ سيكون هذا من قبيل العبث، سيفوتكم القطار. لكن هل يوجد أي زمن منفصل عن الزمن

التسلسلي؟ هناك، كما هو جلي، زمن كالبارحة ولكن هل هناك زمن كما يفكر به الذهن؟ هل هناك زمن منفصل عن الذهن؟ أكيد أن الزمن، الزمن النفسي، هو نتاج الذهن، ومن دون أساس الفكر لا يوجد زمن، فالزمن كذاكرة هو كالبارحة في صلة مع اليوم، الذي يشكل الغد. أي، ذكرى تجربة الأمس في استجابة مع الحاضر ومع خلق المستقبل الذي ما يزال سيرورة تفكير، وممراً للذهن. إن سيرورة التفكير تحدث تقدماً نفسياً في الزمن ولكن هل هو حقيقي، حقيقي كزمن تسلسلي؟ هل نستطيع استخدام ذلك الزمن الذي هو زمن الذهن كوسيلة لفهم الأبدي، اللازماني؟ وكما قلت، إن السعادة ليست من الأمس، ليست نتاج الزمن، إنها دوماً في الحاضر، حالة لازمانية. لا أعرف إن لاحظتم أنه حين تحصل لكم النشوة، المتعة الخلّاقة، حين ترون سلسلة من الغيوم المتألقة محاطة بسحب مظلمة، في تلك اللحظة لا يوجد زمن: لا يوجد إلا الحاضر الفوري. إن الذهن، الذي يتدخل بعد التجريب في الحاضر، يتذكر ويرغب بالاستمرار، حاشداً المزيد من نفسه، خالقاً الزمن. وهكذا فإن الزمن يُخلق "بالمزيد"؛ الزمن اكتساب والزمن أيضاً انفصال، وهذا اكتساب للذهن. بالتالي إن مجرد تنظيم الذهن في الزمن، وتكييف التفكير داخل إطار الزمن، الذي هو الذاكرة، لا يكشفان ما هو لازماني.

هل التحول مسألة زمنية؟ إن معظمنا معتادون على التفكير بأن الزمن ضروري للتحول: أنا شيء ما، ولكي أغيّر ما أنا إلى ما يجب أن يكون فإنّ هذا يتطلب زمناً. أنا جشع، مع ما يولّده الجشع من الفوضى والعداء والصراع والبؤس؛ ولإحداث هذا التحول، والذي هو اللاجشع، نعتقد أن الزمن ضروري. هذا يعني أن الزمن يُعدّ وسيلة لتطوير شيء ما أكبر، لكي تصير شيئاً ما. هذه هي المشكلة: إنّ المرء عنيف وجشع وحسود وماكر أو انفعالي. هل الزمن ضروري لتحويل ما هو قائم؟ أولاً، لماذا نريد أن نغيّر ما هو موجود، أو إحداث تحول؟ لماذا؟ لأنَّ ما نحن عليه لا يرضينا؛ يسبِّبُ

الصراع، والإزعاج، ولأننا نكره تلك الحالة، نريد شيئاً ما أفضل، أكثر نبلاً، وأكثر مثالية. بالتالي، نرغب بالتحول لأن هناك ألماً، وتعباً، وصراعاً. هل يتغلب الزمن على الصراع؟ إذا قلتَ إن الزمن سيتغلب عليه، فإنّك ما تزال في صراع. يمكنك القول إن الأمر يستغرق عشرين يوماً أو عشرين عاماً للتخلص من الصراع، لتغيير ما أنت عليه، ولكن أثناء ذلك الوقت ما تزال في صراع، بالتالي إن الزمن لا يُحدثُ تحولاً. حين نستخدم الزمن كوسيلة لكسب صفة، وفضيلة، أو حالة وجود، فنحن نقوم فقط بتأجيل أو تجنب ما هو موجود؛ وأظنّ أنه من الضروري أن نفهم هذه النقطة. إن الجشع أو العنف يسببان الألم، والإزعاج في عالم علاقتنا مع بعضنا البعض، الذي هو المجتمع؛ وكوننا واعين لهذه الحالة من الإزعاج، التي نسميها الجشع أو العنف، نقول لأنفسنا: "سنخرج منها في الوقت المناسب. سنمارس اللاعنف، واللاحسد، والسلام". والآن تريدون ممارسة اللاعنف لأن العنف محاولة إزعاج، وصراع، وتظنون أنه في الوقت المناسب ستكسبون اللاعنف وتتغلبون على الصراع. ما الذي يحدث في الواقع؟ كونكم في حالة صراع، تريدون إنجاز حالة لا يوجد فيها صراع. والآن هل تلك الحالة من اللاصراع نتيجة الزمن؟ كلا؛ لأنه، بينما تنجزون حالة من اللاعنف، تظلّون عنيفين وبالتالي أنتم في صراع.

إن مشكلتنا هي: هل يمكن التغلب على الصراع، والإزعاج، في فترة من الزمن، سواء كانت أياماً، سنوات أو حيوات؟ ما الذي يحدث حين تقول: "سأتوقّف عن ممارسة العنف فترة محددة من الوقت؟" تشير الممارسة نفسها إلى أنكم في صراع، أليس كذلك؟ لن تمارسوا لولا أنكم تقاومون الصراع؛ تقولون إن مقاومة الصراع ضرورية من أجل التغلّب على الصراع ومن أجل تلك المقاومة يجب أن تمتلكوا الوقت. ولكن مقاومة الصراع شكل من أشكال الصراع. تبدّدون طاقتكم في مقاومة الصراع في شكل ما تدعونه الجشع، الحسد أو العنف ولكنَّ ذهنكم ما يزال في صراع، وهكذا من المهمّ

أن نرى زيف سيرورة الاعتماد على الزمن كوسيلة للتغلّب على العنف، وبالتالي للتحرر من تلك السيرورة. حينئذ تكونون قادرين على أن تكونوا ما أنتم: إزعاجاً سيكولوجياً هو العنف نفسه.

كي نفهم أي شيء، أية مشكلة بشرية أو علمية، ما الضروري، وما الجوهري؟ الذهن الهادئ، أليس كذلك؟ ذهن ينوي الفهم. ليس ذهناً حصرياً، يحاول أن يركّز أو يولّد المقاومة. إذا كنت أريد أن أفهم شيئاً ما، أحتاج إلى حالة ذهنية هادئة فورية. حين تريد أن تصغي إلى موسيقا أو تنظر إلى صورة تحبها، تولّد فيك إحساساً، ما هي حالة ذهنك؟ هناك هدوء فوري، أليس كذلك؟ حين تصغي إلى الموسيقا، لا يتجول ذهنك في أنحاء المكان؛ أنت تصغي. وعلى نحو مشابه، حين تريد أن تفهم الصراع، فأنت لم تعد تعتمد على الزمن مطلقاً؛ بل يواجهك ما هو موجود، والذي هو الصراع. ثم يأتي الهدوء، هدوء الذهن، في الحال. حين تتوقف عن الاعتماد على الزمن *كوسيلة* لتحويل ما هو موجود لأنك ترى زيف تلك السيرورة، عندها أنت مُواجَه بما هو موجود، وكما أنت مهتم بفهم ما هو موجود، أنت تملك بشكل طبيعي ذهناً هادئاً. في تلك الحالة المتيقّظة الهادئة للذهن هناك فهم. وطالما أن الذهن في صراع، ولوم، ومقاومة وشجب لا يمكن أن يكون هناك فهم. إذا أردتُ فهمك، يجب ألا أشجبك. إن ذلك الذهن الهادئ هو الذي يُحْدث التحول. حين يتوقف الذهن عن مقاومة، وتجنب ونبذ أو لوم ما هو موجود، ويعي ببساطة، وعلى نحو هادئ، ستكتشف حينئذ، في هدوء الذهن، إذا واجهت المشكلة فعلاً، أن التحول يحدث هناك.

إن الثورة ممكنة الآن فحسب، وليس في المستقبل؛ إن الانبعاث هو اليوم، وليس غداً. إذا جرّبت ما كنت أقوله، ستجد أن هناك انبعاثاً فورياً، وجدّة، لأن الذهن يظلُّ هادئاً دوماً حين يكون مهتماً، وحين يرغب أو ينوي الفهم. فالصعوبة التي يواجهها معظمنا هي أننا لا نملك نية

للفهم، لأننا خائفون من أن يسبّب الفهم فعلاً ثورياً في حياتنا وبالتالي نقاوم. إن آلية الدفاع هي التي تعمل حين نستخدم الزمن أو المثال كوسيلة للتحول التدريجي.

إن الانبعاث ممكن في الحاضر فحسب، وليس في المستقبل، ليس غداً. إن رجلاً يعتمد على الزمن كوسيلة يستطيع الحصول عبرها على السعادة أو إدراك الحقيقة أو الله يقوم بخداع نفسه فحسب؛ إنه يعيش في الجهل وبالتالي في صراع. إن رجلاً يرى أن الزمن ليس طريقة للخروج من الصعوبة وبالتالي متحرّرٌ من الزيف، إن رجلاً كهذا يمتلك، بشكل طبيعي، النية للفهم؛ بالتالي إنّ ذهنه هادئ تلقائياً، دون إكراه، ودون ممارسة. حين يكون الذهن هادئاً، وساكناً، لا ينشد أي جواب أو أي حل، ولا يقاوم ولا يتجنب. حينئذ وحسب يمكن أن يكون هناك انبعاث، لأن الذهن يكون قادراً على إدراك ما هو حقيقي؛ والحقيقة هي التي تحرّر، وليس محاولتك لتكون حراً.

الفصل الواحد والعشرون

القوة والإدراك

نرى أن التغيّر الجذري ضروري في المجتمع، وفي أنفسنا، وفي علاقاتنا الفردية والجمعية؛ كيف يمكن أن يحدث هذا التغيّر؟ إذا جاء التغيّر عبر الانسجام مع نموذج يُسقطهُ الذهن، وعبر خطة معقولة ومدروسة جيداً، يظلُّ داخل مجال الذهن؛ بالتالي كل ما يحسبه الذهن يصبح وسيلة، ورؤية نرغب بأن نضحي بأنفسنا وبالآخرين من أجلها. إذا اتفقنا على ذلك، يتبع أننا ككائنات بشرية مخلوقون من الذهن فحسب، مما يتضمن الانسجام، والإكراه، والوحشية، والدكتاتوريات، ومعسكرات التعذيب وأنواع العمل كافة. حين نعبد الذهن، فإننا نعبد هذه الأمور كلّها، أليس كذلك؟ إذا أدركتُ هذا، وإذا اكتشفتُ عبث النظام، والسيطرة، إذا رأيتُ الأشكال المتنوعة للكبت تقوّي "الأنا" والذي "لي" فقط، ماذا أفعل عندئذ؟

لكي نفكر بهذه المشكلة على نحو كامل يجب أن نعالج سؤال ما هو الوعي. أتساءل إن كنتم قد فكرتم به بأنفسكم أو اقتبستم ما قالته المرجعيات عن الوعي؟ لا أعرف كيف فهمتم من تجربتكم الخاصة، ومن دراستكم الخاصة لأنفسكم، ما الذي يتضمنه هذا الوعي، ليس فقط وعي النشاط اليومي والهوايات وإنما الوعي الخفي، والأعمق، والأغنى والذي من الأصعب الوصول إليه. إذا كان ينبغي أن نناقش مسألة التغيّر الجوهري في أنفسنا ومن ثمَّ في العالم، وأن نوقظ في هذا التغيّر رؤية معيّنة، وحماساً، وإيماناً، وأملاً، ويقيناً يمنحنا الدافع الضروري للفعل، إذا كان ينبغي أن نفهم ذلك، أليس من الضروري أن نعالج مسألة الوعي؟

نستطيع أن نرى ما نعنيه بالوعي على المستوى السطحي للذهن. إنه على ما يبدو سيرورة التفكير، والفكر. إن الفكر هو نتاج الذاكرة، والتعبير

اللغوي؛ إنه تسمية، وتسجيل وتخزين تجارب معينة،لكي نكون قادرين على التواصل؛ وعلى هذا المستوى هناك أيضاً كوابح وتحكمات وعقوبات وأنظمة. نحن نعرف كل هذه. وحين نغوص عميقاً نرى هناك جميع تراكمات السلالة، والدوافع الخفيّة، والطموحات الجمعية والشخصية، والمسبّقات، التي هي نتيجة الإدراك، والاتصال والرغبة. إن هذا الوعي الكلي، والخفي والمنفتح، يتركز على فكرة "الأنا"، الذات.

حين نناقش كيف نُحدث تغيّراً نعني بعامة تغيّراً على المستوى السطحي، أليس كذلك؟ فعبر التصميم، والاستنتاجات، والمعتقدات، والتحكّمات، والكوابح، نصارع لكي نصل إلى غاية سطحية نريدها، ونتوق إليها، ونأمل الوصول إليها بمساعدة اللاوعي، الطبقات الأعمق للذهن؛ من ثمَّ نعتقد أنه من الضروري الكشف عن أعماق الذات. ولكنّ هناك صراعاً أبدياً بين المستويات السطحية وما يُدعى بالمستويات الأعمق،ويدرك هذا علماء النفس، وكلّ الذين حاولوا معرفة الذات.

هل سيسبّب هذا الصراع الداخلي تغيّراً؟ أليس هذا هو السؤال الأكثر أهمية في حياتنا اليومية: كيف نُحدث تغيّراً جذريّاً في أنفسنا؟ هل مجرد الاستبدال على المستوي السطحي سيحدثه؟ هل فهم الطبقات المختلفة للوعي، لـ"الأنا"، وكشف الماضي، والتجارب الشخصية المختلفة من الطفولة حتى الآن، وفحص التجارب الجمعية لأبي، وأمي، وأسلافي، وسلالتي، والتكيّف مع المجتمع الخاص الذي أعيش فيه، هل تحليل كل هذا سيحدث تغييراً ليس مجرد تكيّف؟

أشعر، وأكيد يجب أن تشعروا أنتم، أن التغير الجوهري في حياة المرء ضروري، وأعني بهذا تغيراً ليس مجرد رد فعل، ليس محصّلة جهد وتوتر المتطلبات البيئية. كيف يُحدث المرء تغيّراً كهذا؟ إن وعيي هو محصّلة التجربة البشرية، بالإضافة إلى اتصالي الشخصي مع الحاضر؛ هل يمكن

أن يحدث هذا التغيير؟ هل ستسبّب دراسة وعيي، وأنشطتي، ووعي أفكاري ومشاعري، وتهدئة الذهن من أجل الملاحظة من دون شجب تغيّراً؟ هل يمكن أن يكون هناك تغيّر عبر الاعتقاد، عبر التماهي مع موضوع مُسْقَط يدعى المثال؟ ألا يتضمن كلُّ هذا صراعاً معيّناً بين ما أنا وما يجب أن أكونه؟ هل سيُحدث الصراع تغيّراً جوهريّاً؟ أنا في معركة مستمرة داخل نفسي ومع المجتمع، أليس كذلك؟ ثمة صراع لا يتوقف يجري بين ما أنا وما أريد أن أكونه؛ هل سيحدث هذا الصراع التغيّر؟ أرى أن التغيّر جوهري؛ هل أستطيع إحداثه عبر فحص سيرورة وعيي بالصراع، وبالتنظيم، وبممارسة أشكال مختلفة من القمع؟ أشعر أن سيرورة كهذه لا يمكن أن تُحدث تغيّراً جذرياً. يجب أن يكون المرء متأكداً من هذا بشكل كامل. وإذا كانت السيرورة لا تستطيع إحداث تحوّل جوهريّ، وثورة داخلية عميقة، فما الذي سيحدثها عندئذ؟

كيف يمكن أن تحدث ثورة حقيقية؟ ما هي القوة، والطاقة الخلّاقة التي تُحدث تلك الثورة، وكيف تُحرّر؟ لقد جربتم الأنظمة، وسعيتم إلى المثل واعتنقتم نظريات فكرية مختلفة: أنكم الله، وأنكم إذا استطعتم تحقيق الألوهة أو تجربة الأتمان*، الأعلى، أو ما تشاؤون، عندئذ فإن تحقيق هذا سيؤدي إلى تغيّر جوهري. هل سيفعل؟ أولاً تفترضون أن هناك واقعاً أنتم جزء منه وتبنون حوله نظريات مختلفة وتأمّلات ومعتقدات وعقائد وفرضيات تعيشون وفقاً لها؛ عبر التفكير والعمل وفق ذلك النموذج تأملون إحداث تغيّر جوهري؟ هل ستفعلون هذا؟

لنفترض أنكم تظنّون، على غرار جميع من يُدعون بالمتدينين، أن فيكم، على مستوى عميق، جوهر الحقيقة؛ وأنكم لو استطعتم، عبر صقل

---

* براهما، أو الذات العليا في الديانة الهندوسية.

الفضيلة، والأشكال المختلفة للتنظيم والتحكم والكبت والإنكار والتضحية، ملامسة تلك الحقيقة، لحدثَ التحول المطلوب. أليس هذا الافتراض جزءاً من التفكير؟ أليس نتيجة عقل متكيّف، عقل رُبِّيَ كي يُفكّر بطريقة معيّنة، وفق نماذج معيّنة؟ بعد أن أبدعتم الصورة، والفكرة، والنظرية، والمعتقد، والأمل، تلجأون عندئذ إلى إبداعكم لإحداث هذا التغير الجوهري.

يجب أن يرى المرء أولاً الأنشطة الماكرة بشكل فائق للعادة لـ "الأنا"، للذهن، يجب أن يعي المرء الأفكار، والمعتقدات، والتأملات ويرميها كلها جانباً، لأنها في الحقيقة خدع، أليس كذلك؟ يمكن أن يكون آخرون قد جرّبوا الواقع؛ ولكن إذا لم تجربوه، ما نفع التفكير به أو تخيّل أنكم في الجوهر شيء حقيقي، خالد وإلهي؟ ما يزال هذا في حقل الفكر وأي شيء يخرج من الفكر خاضع لشرط الزمن، والذاكرة؛ بالتالي ليس حقيقياً. إذا أدرك المرء فعلاً هذا ـ ليس تأملياً، ليس خيالياً أو بشكل أحمق ـ إذا فهم بالفعل حقيقة أن أي نشاط للذهن في بحثه التأملي، وفي تلمسه الفلسفي، وأية فرضية، وأي خيال أو أمل هو خداع للذات، عندئذ ما هي القوة، أو الطاقة الخلاقة التي تُحدث التحول الجوهري؟

ربما استخدمنا من أجل الوصول إلى هذه النقطة الذهن الواعي؛ وتتبّعنا الحجّة، وعارضناها أو قبلناها، ورأيناها بوضوح أو بغموض. أما الذهاب إلى أبعد والتجريب بعمق أكبر فيتطلّبان ذهناً هادئاً ومتيقّظاً كي يكتشف، أليس كذلك؟ لم يعد يريد الأفكار لأنه، إذا نشدتم فكرة، هناك المفكر الذي يتّبع ما قيل وهكذا تخلقون ثنائية على الفور. إذا أردتم التعمّق في هذه المسألة الخاصة بالتغيّر الجوهري، أليس من الضروري للذهن النشيط أن يهدأ؟ أكيدٌ أنه حين يكون الذهن هادئاً فحسب يستطيع فهم الصعوبة الكبيرة، والمعاني الضمنية المعقدة للمفكر والتفكير كسيرورتين منفصلتين، للمُجرِّب والمجرَّب، للملاحِظ والمُلاحظ. إن الثورة، هذه الثورة النفسية

الإبداعية، والتي لا يوجد فيها "الأنا" لا تحدث إلا حين يكون المفكّر والتفكير واحداً، حين لا تكون هناك ثنائية كمثل تحكّم المفكّر بالفكر؛ وأقول إن هذه التجربة وحدها هي التي تحرّر الطاقة الخلاقة التي بدورها تُحدث الثورة الجوهرية، تفكيك "الأنا".

نعرف طريقة القوة، القوة عبر الهيمنة، القوة عبر النظام، القوة عبر الإكراه. نأمل عبر القوة السياسية أن نغيّر بشكل جوهري؛ ولكن قوّة كهذه لا تؤدّي إلا إلى مزيد من الظلمة والتفكّك والشرّ وتقوي "الأنا". نعرف الأشكال المختلفة للكسب، فردياً وكجماعات، ولكننا لم نجرّب أبداً طريق الحب، ولا نعرف حتى ما يعنيه. ليس الحبُّ ممكناً طالما أن هناك مفكراً، مركزاً لـ"الأنا". إذا أدرك المرء كلّ هذا، ماذا يفعل؟

أكيد أن الشيء الوحيد الذي يُحدث تغيراً جوهرياً، وتحرراً نفسياً خلّاقاً، هو المراقبة اليومية، أن نكون واعين من لحظة إلى أخرى لدوافعنا، الواعية واللاواعية. حين ندرك أن الأنظمة والمعتقدات والمثل تقوّي "الأنا" فحسب، وهي بالتالي لا طائل منها، حين نعي ذلك يوماً بعد يوم، ألا نرى حقيقة الأمر؟ ألا نصل إلى النقطة المركزية حين يفصل المفكر باستمرار نفسه عن فكره، وعن ملاحظاته، وعن تجاربه؟ طالما أن المفكر يوجد منفصلاً عن فكره، الذي يحاول أن يهيمن عليه، لا يمكن أن يحدث تغير جوهري. طالما أن "الأنا" هي الملاحظ، الذي يشكّل التجربة، ويقوّي نفسه عبر التجربة، لا يمكن أن يحدث تغير جذري، أو تحرر إبداعي. لا يأتي التحرر الإبداعي إلا حين يكون المفكر هو الفكر، ولكن لا يمكن ردم الفجوة بأية محاولة. حين يدرك الذهن أن أي تأمل، وأي تعبير لفظي، وأي شكل من أشكال الفكر يمنح القوة فقط لـ "الأنا"، حين يرى أنه طالما أن المفكر موجود مفصولاً عن فكره يجب أن يكون هناك حد، صراع الثنائية،

حين يُدرك الذهن هذا، عندئذ يصبح مراقِباً، واعياً بشكل أبدي لكيف يفصل نفسه عن التجربة، ويؤكد نفسه، وينشد القوة. في ذلك الوعي، إذا عمل الذهن بشكل أكثر عمقاً وشمولاً من دون أن يروم غاية، أو هدفاً، تأتي حالة يتوحّد فيها المفكر والتفكير. في تلك الحالة لا يوجد جهد، لا توجد صيرورة، لا توجد رغبة بالتغيير؛ في تلك الحالة "الأنا" غير موجودة، ذلك أن هناك تحولاً ليس من الذهن.

حين يفرغ الذهن فحسب تأتي إمكانية الإبداع؛ ولكنني لا أعني هذا الفراغ السطحي الذي يمتلكه معظمنا. إننا جميعاً فارغون وسطحيّون، ويتجلّى هذا عبر الرغبة بالإلهاء. نريد أن نتسلّى، وهكذا نعود إلى الكتب، وإلى المذياع، ونهرعُ إلى المحاضرات، وإلى المرجعيات؛ فالذهن يملأُ نفسه على الدوام. أنا لا أتحدث عن ذلك الفراغ الذي هو استغراق في التفكير. على العكس، أنا أتحدث عن الفراغ الذي يأتي عبر الاستغراق في التفكير الفائق للعادة، حين يرى الذهن قدرته الخاصة على خلق الوهم ويتجاوزها.

إن الفراغ الإبداعي غير ممكن طالما أن هناك المفكر الذي ينتظر ويراقب ويلاحظ من أجل أن يشكّل التجربة، ومن أجل أن يقوّي نفسه. هل يمكن أن يكون الذهن فارغاً من جميع الرموز، وجميع الكلمات مع إحساساتها، بحيث لا يوجد مجرِّب يراكمُ التجربة؟ هل يمكن للذهن أن يضع جانباً سيرورات التفكير والتجارب والإملاءات والمرجعيات، بحيث يكون في حالة فراغ؟ من الطبيعي أنكم ستعجزون عن الإجابة على هذا السؤال، إنه سؤال من المستحيل أن تجيبوا عليه، لأنكم لا تعرفون، لم تحاولوا ذلك أبداً. ولكن، إذا كان يمكن أن أقترح، أصغوا إليه، دعوا السؤال يُطرح عليكم، دعوا البذرة تُبذر؛ وستثمر إذا أصغيتم في الواقع إليها، إذا لم تقاوموها.

إن الجديد فحسب هو الذي يستطيع أن يُحوِّل، لا القديم. إذا لاحقتم نموذج القديم فإن أي تغيّر سيكون نسخة معدّلة عن القديم؛ لا شيء جديداً في هذا، لا شيء خلاقاً. لا يمكن أن يأتي الخلّاق إلا حين يكون الذهن نفسه جديداً؛ ولا يستطيع الذهن أن يجدّد نفسه إلا حين يكون قادراً على رؤية أنشطته كلّها، ليس على المستوى السطحي فحسب، وإنما عمقياً. حين يرى الذهن أنشطته، ويعي رغباته ومتطلباته وإلحاحاته وهواياته جميعها، فإنّه يؤسس سلطاته الخاصة ومخاوفه؛ وحين يرى في نفسه المقاومة التي أنشأها النظام، والسيطرة، والأمل الذي يُسقط المعتقدات والمُثل، حين يرى هذه السيرورة ويعيها كلها، هل يستطيع أن يرمي جانباً كل هذه الأمور ويكون جديداً، وفارغاً بشكل إبداعي؟ ستكتشفون إن كان يستطيع أم لا، إذا جربتم من دون امتلاك رأي عنه، من دون الرغبة بتجريب الحالة الإبداعية. إذا أردتم أن تجرّبوها، سوف تفعلون؛ ولكن ما تجربونه ليس فراغاً إبداعياً، إنه إسقاط للرغبة فحسب. إذا رغبتم بتجريب الجديد، فأنتم تنغمسون فحسب في الوهم؛ ولكن إذا بدأتم بالرصد، واعينَ لأنشطتكم الخاصة من يوم إلى يوم، من لحظة إلى أخرى، مراقبين سيرورة أنفسكم كلها في المرآة، حينئذ، وفيما تغوصون عميقاً، ستصلون إلى السؤال المطلق لهذا الفراغ، الذي فيه وحده يمكن أن يكون هناك جديد.

إن الحقيقة، الله أوما تشاؤون، أشياء لا تُجرَّب، لأن المجرِّب نتاج الزمن، نتاج الذاكرة، نتاج الماضي، وطالما أن هناك مُجرِّباً لا يمكن أن تكون هناك حقيقة. هناك حقيقة فحسب حين يتحرر الذهن من المحلِّل، من المجرِّب والمجرَّب. عندها ستجدون الجواب، عندئذ ستجدون أن التغيّر يأتي من دون طلبكم، ذلك أن حالة الفراغ الإبداعي ليست شيئاً يُصقل، إنها هناك، تأتي بغموض، من دون أية دعوة؛ فقط في تلك الحالة هناك إمكانية للتجديد، وللجدّة، وللثورة.

أسئلة وأجوبة



1. الأزمة الحالية

سؤال: تقول إن الأزمة الحالية لا سابق لها. بأية طريقة هي استثنائية؟

كريشنامورتي: لا سابق للأزمة الحالية في جميع أنحاء العالم على ما يبدو. نشبت أزمات من أنواع مختلفة في فترات مختلفة في التاريخ: اجتماعية وقومية وسياسية. الأزمات تأتي وتذهب؛ إن الركود الاقتصادي، والهمود يأتيان، يُعدّلان، ويتواصلان في شكل مختلف. نعرف هذا؛ نعي هذه السيرورة. ولكن الأزمة الحالية مختلفة، أليس كذلك؟ إنها مختلفة لأننا لا نتعامل مع النقود ولا مع الأشياء الملموسة بل مع الأفكار. إن الأزمة استثنائية لأنها في حقل التصوّر. نحن نتخاصم مع الأفكار، نبرر الجريمة؛ في أنحاء العالم كلّها كوسيلة لغاية فاضلة، وهذا شيء في حد ذاته غير مسبوق. في السابق، كان الشر يُعدّ شراً، والجريمة تُعدّ جريمة، ولكن الجريمة الآن وسيلة لتحقيق غاية نبيلة. إن الجريمة، سواء جريمة شخص أو مجموعة، تُبرّر، لأن المجرم، أو المجموعة التي يمثلها المجرم، تبررها كوسيلة لتحقيق غاية مفيدة للإنسان. هذا يعني أننا نضحي بالحاضر لصالح المستقبل، ولا يهم أية وسائل نستخدم طالما أن هدفنا المعلن هو تحقيق نتيجة نقول إنها مفيدة للإنسان. من ثمّ، إن المعنى الضمني هو أن الوسائل الخاطئة ستنتج الغاية الصحيحة وستبررون الوسائل الخاطئة عبر التصوّر أو تكوين الأفكار. في الأزمات المختلفة التي حدثت من قبل، كانت المسألة استغلال الأشياء أو الإنسان؛ إنها الآن استغلال الأفكار، وهذا أكثر ضرراً، وخطراً، لأن استغلال الأفكار مدمّر وهدّام. لقد تعلّمنا الآن قوة الدعاية وهذه أكبر المصائب التي يمكن أن تحدث: استخدام الأفكار كوسيلة لتحويل الإنسان. هذا ما يحدث في

العالم اليوم. إنّ الإنسان ليس مهمّاً، لأن ما أصبح مهمّاً هو الأنظمة، والأفكار. لم يعد للإنسان أية أهمية. نستطيع القضاء على ملايين البشر طالما أننا نحقق نتيجة، والنتيجة تبررها الأفكار. لدينا بنية رائعة من الأفكار لتبرير الشر، وأكيد أنه لا سابق لهذا. إنّ الشرَّ شرٌّ؛ لا يمكن أن يُنتج خيراً. ليست الحرب وسيلة للسلام. يمكن أن تؤدي الحرب إلى فوائد ثانوية، كمثل طائرات أكثر فعالية، ولكنها لن تقدّم السلام للإنسان. إن الحرب مبررة فكرياً كوسيلة لتحقيق السلام؛ حين يمتلك الذهن اليد العليا في الحياة البشرية، فإنه يسبب أزمة لا سابق لها.

هناك أسباب أخرى أيضاً تشير إلى أزمة غير مسبوقة. أحدها هو الأهمية الفائقة للعادة التي يضفيها الإنسان على القيم الحسية، وعلى الملكية، والاسم، والطائفة والبلاد، وعلى التسمية الخاصة التي ترتديها. أنت إما مسلم وإما هندوسي، إما مسيحي وإما شيوعي. صار الاسم والملكية، والطائفة والبلاد، أموراً مهمة بشكل ساحق، مما يعني أن الإنسان عالق في القيم الحسّية، في قيمة الأشياء، سواء تلك التي يصنعها الذهن، أو تلك التي تصنعها اليد. إن الأشياء التي تصنعها اليد أو الذهن صارت في غاية الأهمية بحيث أننا نقتل وندمِّر ونذبح ونسحق بعضنا بعضاً بسببها. نحن نقترب من حافّة جرف، تقودنا الأفعال كلّها إلى هناك، والأعمال الاقتصادية تدفعنا بشكل محتوم إلى الحافّة، وتجرّنا إلى هاوية الفوضى والعماء. إن الأزمة لا سابق لها وتتطلب عملاً لا سابق له. يتطلب الخروج من الأزمة فعلاً لازمانياً، فعلاً لا يستند إلى فكرة، إلى نظام، لأن أي فعل يستند إلى نظام أو فكرة سيقود إلى الإحباط. إن فعلاً كهذا يعيدنا إلى الهاوية عبر طريق مختلف. وبما أن الأزمة غير مسبوقة يجب أن يكون هناك أيضاً فعل غير مسبوق، مما يعني أن انبعاث الفرد يجب أن يكون فورياً، وليس سيرورة زمنية. يجب أن يحدث هذا الآن، وليس غداً؛ لأن غداً سيرورة تفكّك. إذا فكّرتُ بتحويل نفسي غداً فأنا أحدث الفوضى،

أظل داخل حقل الدمار. هل من الممكن التغيير الآن؟ هل من الممكن أن يحوّل المرء نفسه بشكل كامل، الآن؟ أقول: يمكن ذلك.

ما أريد قوله هو أنه بما أن الأزمة استثنائية لكي نواجهها يجب أن تحدث ثورة في التفكير؛ ولا يمكن أن تحصل هذه الثورة عبر آخر، وعبر أي كتاب، وعبر أية منظمة. يجب أن تحدث الثورة عبرنا، عبر كل واحد منا. نستطيع عندئذ فحسب خلق مجتمع جديد، وبنية جديدة بعيداً عن الرعب، وبعيداً عن تلك القوى المدمرة بشكل فائق للعادة التي تتراكم وتتجمّع؛ ولا يأتي ذلك التحول إلى الوجود إلا حين تبدأ كفرد بأن تعي نفسك في كل فكرة وفعل وشعور.

2. القومية

سؤال: ما الذي يأتي حين تنتهي القومية؟

كريشنامورتي: الذكاء. لكنني أخشى من أنّ هذا ليس المعنى الضمني للسؤال. إن المعنى الضمني هو ما الذي يمكن أن يحلَّ مكان القومية؟ إن أي استبدال هو فعل لا يؤدي إلى الذكاء. إذا تخلّيتَ عن دين وانضممتَ إلى آخر، أو إذا هجرتَ حزباً سياسياً وانتسبتَ فيما بعد إلى آخر، فإن هذا الاستبدال المستمر يشير إلى حالة لا يوجد فيها ذكاء.

كيف تنتهي القومية؟ عبر فهمنا لمعانيها الضمنية الكاملة، عبر فحصها،وعبر وعي دلالتها وفعلها الخارجي والداخلي فحسب. خارجياً، تسبب الانقسامات بين البشر، والتصنيفات والحروب والدمار، الواضح لكل من يراقب الأمر. أما داخلياً، وسيكولوجياً، فإن التماهي مع الأكبر، مع البلاد، ومع الفكرة، هو على ما يبدو شكل من أشكال التوسع الذاتي. إذا كنت أعيش في قرية صغيرة أو بلدة كبيرة أو في أي مكان فأنا لا أحد؛ ولكن إذا تماهيت مع الأكبر، مع البلاد، إذا دعوت نفسي هندوسياً، فإن هذا يطري خيلائي، ويمنحني الإشباع، والهيبة، والإحساس بالسعادة؛ وهذا التماهي مع الأكبر، والذي هو ضرورة نفسية لأولئك الذين يشعرون بأن التوسع الذاتي ضروري، يسبّب الصراع أيضاً، والنزاع بين الناس. وهكذا فإن القومية لا تسبّب فقط صراعاً خارجياً وإنما إحباطات داخلية؛ فحين يفهم المرء القومية، وسيرورتها كلها، فإنها تسقط. إن فهم القومية يتم عبر الذكاء، والرصد، وسبر سيرورة القومية والوطنية كلها بحرص. من هذا الفحص يأتي الذكاء ثم لا يكون هناك بديل ما للقومية. في اللحظة التي تتبنى فيها الدين بدلاً من القومية، يصبح الدين وسيلة أخرى للتوسع الذاتي، ومصدراً آخر للقلق النفسي، ووسيلة لتغذية نفسك على معتقد.

بالتالي، إن أي شكل من أشكال الاستبدال، مهما كان نبيلاً، هو شكل من أشكال الجهل. هذا يشبه الاستعاضة عن التدخين بالعلكة أو جوزة الفلفل، بينما إذا فهم المرء مشكلة التدخين، والعادات، والإحساسات، والمتطلبات النفسية وغيرها، فإن التدخين ينتهي. تستطيعون أن تفهموا فحسب حين يحدث تطور للذكاء، حين يعمل الذكاء، ولا يعمل الذكاء حين يكون هناك استبدال. إن الاستبدال هو شكل من أشكال تقديم الرشوة للذات، إغراء بأن لا تفعل هذا بل ذاك. إن القومية، بسمّها، وببؤسها، وصراعها العالمي، لا يمكن أن تختفي إلا إذا كان هناك ذكاء ولا يأتي الذكاء من النجاح في الامتحانات ودراسة الكتب. يأتي حين نفهم المشكلات حين تنشأ. حين يكون هناك فهم للمشكلة في مستوياتها المختلفة، ليس للجزء الخارجي فحسب بل لمعانيها الضمنية النفسية، في تلك السيرورة يأتي الذكاء إلى الوجود. حين يكون هناك ذكاء لا يوجد استبدال؛ وتختفي القومية أو الوطنية اللتان هما شكل من أشكال الغباء.

3. لماذا المعلّمون الروحيون؟

سؤال: تقول إن المعلمين الروحيين غير مهمين، ولكن كيف أستطيع العثور على الحقيقة بدون المساعدة والتوجيه الحكيم الذي لا يستطيع منحه سوى المعلم الروحي؟

كريشنامورتي: إن السؤال هو إن كان المعلم الروحي مهمّاً أم لا. هل يمكن العثور على الحقيقة عبر آخر؟ يقول البعض: هذا ممكن و يقول البعض الآخر: إنه غير ممكن. نريد أن نعرف حقيقة هذا، وليس طرح رأي مضاد للرأي الآخر. لا أملك رأياً في هذه المسألة. إن حقيقة المسألة لا تعتمد على الرأي، مهما كان عميقاً ومطلعاً ومشهوراً وكونياً. يجب في الواقع اكتشاف حقيقة المسألة.

أولاً، لماذا نريد معلماً روحياً؟ نقول إننا نحتاج إلى معلّم روحي لأننا مشوّشون والمعلم الروحي يساعدنا؛ يشير إلى ما هي الحقيقة، ويساعدنا على الفهم، فهو يعرف عن الحياة أكثر مما نعرف، ويتصرف كأب، وكمعلّم كي يرشدنا في الحياة؛ يمتلك تجربة واسعة ولا نملك سوى القليل منها؛ سيساعدنا عبر تجربته الأكبر وهلمّجرّا. أنتم، أساسياً، تذهبون إلى معلّم لأنكم مشوشون. لو كنتم واضحين، لن تقتربوا من معلّم روحي. لو كنتم سعيدين بشكل عميق، لما كانت هناك مشكلات، لو فهمتم الحياة بشكل كامل، لما ذهبتم إلى معلّم روحي. آمل أن تفهموا أهمية هذا. لأنكم مشوّشون، تنشدون مدرّساً. تذهبون إليه كي يمنحكم طريقة في الحياة، كي ينهي تشوشكم، للعثور على الحقيقة. تختارون معلمكم الروحي الذي سيحقق مطلبكم؛ تختارون وفقاً للإشباع الذي يمنحكم إيّاه. ويعتمد خياركم على شعوركم بالإشباع. لا تختارون معلماً روحياً يقول:"اعتمدوا على أنفسكم"؛ وإنما تختارون واحداً وفقاً لمسبقاتكم. وبما أنكم تختارون معلّمكم

الروحي وفق الإشباع الذي يقدّمه لكم، فأنتم لا تنشدون الحقيقة وإنما طريقة للخروج من التشوش؛ والخروج من التشوش يُدعى على نحو خاطئ بـ "الحقيقة".

دعونا نفحص أولاً فكرة أن المعلّم الروحي يستطيع أن ينهي تشوّشنا. هل تستطيع أن تنهي تشوشك؟ إن التشوش الذي هو نتاج استجاباتنا نحن نسبّبهُ. هل تعتقدون أن أحداً آخر سبّب هذا البؤس، هذه المعركة على مستويات الوجود كافة، في الداخل والخارج؟ ينجم التشوّش عن افتقارنا لمعرفة أنفسنا. ذلك أننا نذهب إلى معلّم روحي لأننا لا نفهم أنفسنا، وصراعاتنا، واستجاباتنا، وحالات بؤسنا، ونظنّ أن هذا العالم سيساعدنا على التحرر من ذلك التشوش. لا نستطيع أن نفهم أنفسنا إلا في علاقة مع الحاضر؛ وتلك العلاقة نفسها هي المعلم الروحي، وليست شخصاً في الخارج. إذا لم أفهم تلك العلاقة - مهما قال المعلم الروحي أنه لا فائدة منها - إذا لم أفهم العلاقة، علاقتي مع الملكية، مع الناس، مع الأفكار، من يستطيع أن يحل الصراع في داخلي؟ لحل ذلك الصراع، يجب أن أفهمه بنفسي، مما يعني أنني يجب أن أكون واعياً لنفسي في العلاقة. حين أكون واعياً، لا حاجة لمعلم روحي. إذا لم أعرف نفسي، ما نفعٍ المعلم الروحي؟ إذ كما يختار المشوشون، ذوو الخيار المشوّش، قائدا سياسياً، أختار أنا معلماً روحياً. لا أستطيع اختياره إلا وفق تشوشي؛ لهذا سيكون مشوّشاً على غرار القائد السياسي.

ما هو مهمّ ليس من هو على صواب سواء كنتَ مصيباً أم كان الذين يقولون إن المعلم الروحي ضروري، مصيبين؛ إن اكتشاف لماذا تحتاجون إلى معلم روحي أمر ضروريٌّ. يوجد المعلمون الروحيون من أجل استغلال من جميع الأنواع، ولكنَّ هذا لا صلة له بالموضوع. ستحصل على الإشباع إن قال لك أحدهم كيف تتقدم، ولكن إذا اكتشفت لماذا تحتاج إلى معلم روحي هنا يكمن المفتاح. يستطيع آخر أن يشير إلى الطريق ولكن عليك أن تقوم بالعمل كلّه، حتى ولو كان لديك معلم روحي. يصبح المعلم الروحي بلا

فائدة حين تكون هناك ذرة من معرفة الذات. لا معلم، لا كتاب أو نص يمكن أن يعطيك معرفة الذات: تأتي المعرفة حين تعي نفسك في علاقة. أن تكون هو أن تكون في علاقة؛ إذا لم تفهم العلاقة هذا بؤس وصراع. إن عدم وعيك لعلاقتك مع الملكية هو أحد أسباب التشوش. إذا لم تعرف علاقتك الصحيحة مع الملكية فمن المقدر أن يكون هناك صراع، يزيد الصراع في المجتمع. إذا لم تفهم العلاقة بينك وبين زوجتك، وبينك وبين ابنك، كيف يستطيع آخر أن يحل الصراع الذي ينشأ من تلك العلاقة؟ وهذا يصحّ على الأفكار والمعتقدات وهلّمجرّا. حين تكون مشوشاً في علاقتك مع الناس، ومع الملكية، ومع الأفكار، تبحث عن معلم روحي. إذا كان معلماً حقيقياً، سيطلبُ منك أن تفهم نفسك. أنت مصدر كل سوء الفهم والتشوش؛ ولا تستطيع أن تحلّ ذلك الصراع إلا حين تفهم نفسك في علاقة.

لا تستطيع العثور على الحقيقة عبر أي شخص آخر. كيف تستطيع ذلك؟ إن الحقيقة ليست شيئاً ثابتاً؛ لا مسكن ثابتاً لها؛ لا غاية ولا هدفاً. إنها حية، ومتحوّلة، ومتيقّظة، ومتوقّدة بالحياة. كيف يمكن أن تكون غاية؟ إذا كانت الحقيقة نقطة ثابتة فإنها تتوقف عن كونها حقيقة؛ إنها تصبح مجرد رأي. إن الحقيقة هي المجهول، والذهن الذي يبحث عن الحقيقة لن يعثر عليها أبداً، لأنه مصنوع من المعلوم، إنه نتاج الماضي، ومحصلة الزمن الذي تستطيع أن ترصده بنفسك. إن الذهن هو أداة المعلوم، ولهذا لا يستطيع العثور على المجهول؛ يستطيع فقط أن ينتقل من المعلوم إلى المعلوم. حين ينشد الذهن الحقيقة، الحقيقة التي قرأ عنها في الكتب، الحقيقة "المُسقطة ذاتياً"؛ فإنه يلاحق المعلوم، المعلوم الأكثر إشباعاً من المعلوم السابق. حين ينشد الذهن الحقيقة، فإنه ينشد إسقاطه الذاتي؛ وليس الحقيقة. فالمثال مُسقط ذاتياً، خيالي، وغير حقيقي. إن ما هو حقيقي هو ما هو موجود، وليس النقيض. ولكن ذهناً ينشد الحقيقة،

وينشد الله، هو ينشد المعلوم. حين تفكر بالله، فإن إلهك هو إسقاط ذهنك، وهو نتاج التأثيرات الاجتماعية. لا تستطيع أن تفكر إلا بالمعلوم، لا تستطيع التركيز على الحقيقة. في اللحظة التي تفكر فيها بالمجهول، يكون المعلوم المتصوّر ذاتياً فحسب. لا يمكن التفكير بالله أو بالحقيقة. إذا فكرت بالحقيقة لاتكون حقيقة. لا يمكن نشدان الحقيقة: إنها تأتي إليك. لا تستطيع أن تلاحق إلا ما هو معلوم. حين لا يتعذب الذهن من المعلوم، ومن تأثيرات المعلوم، عندئذ فحسب تستطيع الحقيقة أن تكشف عن نفسها. إن الحقيقة هي في جميع الأوراق، وفي جميع الدموع؛ ويجب أن تُعرف من لحظة إلى أخرى. لا أحد يستطيع أن يقودك إلى الحقيقة؛ وإذا قادك أحد؛ فلن يوصلك إلا إلى المعلوم.

لا يمكن أن تأتي الحقيقة إلا إلى الذهن الفارغ من المعلوم. وتأتي في حالة يكون فيها المعلوم غائباً، ولا يعمل. إن الذهن هو مستودع المعلوم، ومقرّه؛ فلكي يكون في حالة يمكن أن يأتي فيها المجهول إلى الوجود، يجب أن يكون واعياً لنفسه، ولتجاربه السابقة، ولردود فعله وبنيته. وحين تكون هناك معرفة للذات كاملة، عندئذ ينتهي المعلوم، يفرغ الذهن بشكل كامل من المعلوم. حينئذ فحسب يمكن أن تأتي إليك الحقيقة من دون دعوة. فالحقيقة لا تنتمي إليك أو إلي. لا تستطيع عبادتها. في اللحظة التي تُعرف فيها، تصبح غير حقيقية. إن الرمز ليس حقيقياً، والصورة ليست حقيقية؛ ولكن حين يتم فهم الذات، وحين تتوقف الذات، عندئذ تأتي الأبدية إلى الوجود.

4. المعرفة

سؤال: أفهم منك أن التعلّم والمعرفة عائقان. عائقان أمام ماذا؟

كريشنامورتي: إن المعرفة والتعلم هما عائق أمام فهم الجديد، اللازماني، الأبدي. إن تطوير تقنية مكتملة لا يجعلك خلّاقاً. يمكن أن تعرف كيف ترسم بشكل مدهش، يمكن أن تمتلك التقنية؛ ولكن يمكن ألا تكون رساماً مبدعاً. يمكن أن تعرف كيف تؤلّف قصائد بتقينة بارعة؛ ولكن يمكن ألا تكون شاعراً. أن تكون شاعراً يتضمن قدرتك على تلقي الجديد، أليس كذلك؟ أن تكون حساساً بما يكفي كي تستجيب إلى شيء جديد. صارت المعرفة والتعلم لدى معظمنا إدماناً. ونعتقد أن التعلّم سيجعلنا خلاقين. هل الذهن المكتظ والمغلّف بالحقائق والمعرفة قادر على تلقي شيء ما جديد، مفاجئ وتلقائي؟ إذا كان ذهنك مكتظاً بالمعلوم، هل هناك مكان فيه لتلقي شيء ما هو من المجهول؟ إن المعرفة هي دوماً معرفة المعلوم؛ وبالمعلوم نحاول أن نفهم المجهول، وهذا شيء خارج القياس.

خذوا، على سبيل المثال، شيئاً طبيعياً جداً يحدث لمعظمنا: حاول المتدينون ـ كل ما يمكن أن تعنيه تلك الكلمة حالياً ـ تصوّر ما هو الله أو حاولوا التفكير حول ما هو الله. قرأوا كتباً لا تُحصى، قرأوا عن تجارب قديسين مختلفين، ومعلمين، ورجال دين هندوس وهلمّجرّا. حاولوا أن يتخيلوا أو يشعروا ما هي تجربة الآخر؛ فبالمعلوم تحاول أن تقارب المجهول. هل تستطيع فعل هذا؟ هل تستطيع التفكير بشيء غير قابل للمعرفة؟ أنت تستطيع أن تفكر بشيء تعرفه فقط. ولكنّ هناك تحريفاً فائقاً للعادة يحدث في العالم حالياً: نعتقد أننا سنفهم إذا كان لدينا المزيد من

أن نكون واعين لشيء ليس إسقاطاً للمعلوم،يجب أن يكون هناك استئصال، عبر الفهم، لسيرورة المعلوم. لماذا يتعلق الذهن دوماً بالمعلوم؟ أليس هذا لأنه ينشد باستمرار اليقين، والأمن؟ إن طبيعته مثبتة في المعلوم، في الزمن؛ كيف يستطيع ذهنٌ كهذا، يستند أساسه إلى الماضي، إلى الزمن، أن يجرب اللازماني؟ يمكن أن يتخيّل، ويصوغ، ويتصور المجهول، ولكن هذا كله عبثي. لا يوجد المجهول إلا حين يُفهم المعلوم، ويُحلّ، ويُوضع جانباً. إن هذا في غاية الصعوبة، لأنه في اللحظة التي تُجرب فيها أي شيء، فإن الذهن يترجمه إلى مصطلحات المعلوم ويعيده إلى الماضي. لا أعرف إن لاحظتم أن التجارب كافّة تُترجم على الفور إلى المعلوم، تُمنح اسماً، وتُجدول وتُسجّل. وهكذا فإن حركة المعلوم هي المعرفة، وعلى ما يبدو إن معرفة كهذه، وتعلماً كهذا، هما عائق.

افترضوا أنكم لم تقرأوا كتاباً أبداً، دينياً أو سيكولوجياً، وعليكم أن تعثروا على معنى الحياة ودلالتها. كيف تفعلون هذا؟ افترضوا أنه لا يوجد معلمون، ولا مؤسسات دينية، لا بوذا ولا مسيح وعليكم أن تبدأوا من البداية. كيف تفعلون هذا؟ أولاً، عليكم أن تفهموا سيرورة تفكيركم، أليس كذلك؟ وألا تُسقطوا مثلكم، وأفكاركم، على المستقبل وتخلقوا إلهاً يسرّكم؛ سيكون هذا طفولياً جداً. وهكذا، عليكم أولاً أن تفهموا سيرورة تفكيركم. هذه هي الطريقة الوحيدة لاكتشاف أي شيء جديد، أليس كذلك؟

حين نقول إن التعلم أو المعرفة عائق، فنحن لا نشمل المعرفة التقنية ـ كيف تقودون سيارة، كيف تشغّلون آلة ـ أو الفعالية التي تسببها معرفة كهذه. لدينا في ذهننا شيء مختلف تماماً: هذا الإحساس بالسعادة الخلّاقة التي تسبّبها أية كمية من المعرفة أو التعلم. أن تكون خلّاقاً بالمعنى الأكثر دقة للكلمة يعني أن تكون متحرّراً من الماضي من لحظة إلى أخرى، لأن الماضي هو الذي يظلّل باستمرار الحاضر. إن التعلق بالمعلومات، وبتجارب الآخرين، وبما قاله أحد ما، مهما كان عظيماً، وتماهيك مع هذه الأمور،

نوع من المعرفة أليس كذلك؟ ولكن لكي تكتشف أي شيء جديد يجب أن تبدأ بطريقتك الخاصة؛ يجب أن تبدأ في رحلة متحرِّرة بشكل كامل، وخاصة من المعرفة، لأنه من السهل جداً، عبر المعرفة والإيمان، اكتساب تجارب؛ ولكن تلك التجارب هي مجرد نتاج للإسقاط الذاتي وبالتالي مزيّفة. إذا كنت ستكتشف بنفسك ما هو جديد، فليس من الجيد حمل عبء القديم، وخاصة المعرفة، معرفة الآخر، مهما كان عظيماً. تستخدم المعرفة كوسيلة لحماية الذات، والأمن، وتريد أن تكون متأكداً أن لديك التجارب نفسها كبوذا أو المسيح أو غيرهما. ولكن إنساناً يحمي نفسه باستمرار عبر المعرفة ليس على ما يبدو باحثاً عن الحقيقة.

لا طريق إلى اكتشاف الحقيقة. يجب أن تدخل البحر المجهول، الذي ليس مسبباً للكآبة، الذي لا ينطوي على مغامرة. حين تريد اكتشاف شيء جديد، حين تجرب أي شيء، يجب أن يكون ذهنك هادئاً جداً، أليس كذلك؟ إذا كان مكتظاً،ومليئاً بالحقائق، والمعرفة، فإنها تعمل كعائق أمام الجديد؛ فالصعوبة التي تواجه معظمنا هي أن أهمية الذهن صارت طاغية، وهو يتدخل باستمرار في أي شيء يمكن أن يكون جديداً، وفي أي شيء يمكن أن يوجد على نحو متزامن مع المعلوم. وهكذا فإن المعرفة والتعلم عائقان أمام الذين ينشدون، أمام الذين يحاولون فهم اللازماني.

5. النظام

سؤال: ألحّتْ الأديان كافّة على نوع من أنواع الانضباط الذاتي من أجل تهذيب غرائز الوحش في الإنسان. أكّد القدّيسون والمتصوفون أنهم حقّقوا الألوهة عبر الانضباط الذاتي. والآن يبدو كأنك تقول إن أنظمة كهذه هي عائق أمام تحقّق الألوهة. أنا مشوّش. من على صواب في هذه المسألة؟

كريشنامورتي: ليس السؤال من هو على صواب في هذه المسألة. ما هو مهمّ هو أن نكتشف حقيقة المسألة بأنفسنا، وليس بحسب قدّيس معيّن أو شخص يأتي من الهند أو من مكان آخر، كلما كان أكثر غرابة كان أفضل.

أنت عالق بين هذين الاثنين: شخص يقول بالنظام، وآخر يرفضه. ما يحدث عامة هو أنك تختار ما هو ملائم أكثر، ما هو مُرْض أكثر: تحبُّ الرجلَ، ملامحَه، خصوصياته الشخصية، ما يفضّله وهلمّجرًّا. لنضع كل هذا جانباً، ولنفحص هذا السؤال بشكل مباشر ونكتشف حقيقة المسألة بأنفسنا. ثمة الكثير مما هو متضمن في هذا السؤال وعلينا أن نقاربه بحذر وانتباه شديدين.

يريد معظمنا شخصاً يُعتبر مرجعاً كي يخبرنا ما نفعل. نبحث عن اتجاه في السلوك، لأن غريزتنا تدفعنا إلى أن نكون آمنين، وليس إلى أن نعاني أكثر. قيل إن شخصاً حقق السعادة، منتهى السعادة أو ما تشاء تسميتها، ونـأمل أنه سيخبرنا ما الذي يجب أن نفعله كي نحققها. هذا ما نريده: نريد تلك السعادة نفسها، ذلك الهدوء الداخلي نفسه، المتعة؛ وفي هذا العالم المجنون والفوضوي نريد شخصاً ما كي يخبرنا ما نفعله. هذه في الواقع الغريزة الأساسية لمعظمنا، بحسب تلك الغريزة، نُنَمْذج فعلنا. هل الله، هل الشيء الأعلى، غير قابل للتسمية أو القياس

بالكلمات؟ هل يأتي عبر النظام، عبر اتّباع نموذج معيّن من الفعل؟ نريد الوصول إلى هدف معيّن، وغاية معيّنة، ونعتقد أنه بالممارسة، وبالنظام، وبالكبح أو التحرير، أو الرفع أو الاستبدال، نكون قادرين على تحقيق ما نريده.

ما المتضمن في النظام؟ لماذا ننظّم أنفسنا، إذا كنا نفعل هذا؟ هل يستطيع النظام والذكاء التماشي معاً؟ يشعرُ معظم الناس أننا يجب، عبر نوع ما من النظام، أن نُخضع الوحش أو نسيطر عليه، وأعني الشيء الدميم في داخلنا. هل ذلك الوحش، ذلك الشيء الدميم، قابل للسيطرة عبر النظام؟ ماذا نعني بالنظام؟ أنعني به فعلاً يعد بمكافأة، فعلاً، إذا لوحق، يمنحنا ما نريده، يمكن أن يكون إيجابياً أو سلبياً؛ نموذجاً من السلوك الذي، إذا مورس بكدّ، وبمواظبة، وبحماس، سيمنحني في النهاية ما أريده. يمكن أن يكون مؤلماً ولكنني أرغب في المرور فيه للحصول على ذلك. إن الذات، العدائية، الأنانية، المنافقة، القلقة، المخيفة ـ تعرف، كل هذا ـ تلك الذات، التي هي سبب الوحش الذي فينا، نريد أن نحوّلها، أن نُخضعها، وندمرها. كيف يُنجز هذا؟ هل يُنجز عبر النظام، أو عبر الفهم الذكي لماضي الذات، ما هي الذات، كيف تأتي إلى الوجود، وهلمّجرّا؟ أيجب أن ندمّر الوحش في الإنسان عبر الإكراه أم عبر الذكاء؟ هل الذكاء مسألة نظام؟ دعونا الآن ننسى ما قاله القديسون وبقية البشر؛ دعونا نعالج المسألة بأنفسنا، كما لو أننا ننظر إلى هذه المشكلة للمرة الأولى؛ عندئذ يمكن أن نحصل على شيء ما إبداعي في النهاية، وليس فقط على مقتطفات من أقوال الآخرين، لا طائل منها ولا نفع فيها.

نقول أولاً إن فينا صراعاً، الأسود ضد الأبيض، الجشع ضد اللاجشع وهلمّجرّا. أنا جَشِع، هذا يُسبِّب الألم؛ كي أتخلّص من هذا الجشع، يجب أن أضبط نفسي. أعني يجب أن أقاوم جميع أشكال الصراع التي تسبّب لي الألم، الذي أدعوه في هذه الحالة الجشع. أقول عندئذ إنه مضاد

للمجتمع، للأخلاق، ليس طاهراً. وأورد الأسباب الاجتماعية والدينية المختلفة التي نمنحها لمقاومته. هل يُقضى على الجشع أو يتم التخلص منه عبر الإكراه؟ أولاً، دعونا نفحص السيرورة المتضمّنة في الكبت، في الإكراه، في التخلص منه، في المقاومة. ماذا يحدث حين تفعل هذا، حين تقاوم الجشع؟ ما هو الشيء الذي يقاوم الجشع؟ هذا هو السؤال الأول، أليس كذلك؟ لماذا تقاوم الجشع وما ذلك الكيان الذي يقول: " يجب أن أتحرر من الجشع؟" إن الكيان الذي يقول: "يجب أن أكون حراً" هو أيضاً جَشِع، أليس كذلك؟" رشاه الجشع، ولكن الجشع الآن مؤلم؛ بالتالي، يقول: "يجب أن أتخلص منه". إن الدافع للتخلص منه ما يزال سيرورة جشع، لأنه يريد أن يكون شيئاً ما ليس هو. فاللاجشع مفيد الآن، وهكذا فأنا أسعى إلى اللاجشع؛ ولكن الدافع، النية، ما تزال هي أن أكون شيئاً ما، أن أكون غير جشع وهذا يظلُّ جشعاً؛ وهو شكل سلبيٌّ من التأكيد على "الأنا".

نجد أن كونك جشعاً مؤلم، لأسباب متنوّعة واضحة. طالما أننا نستمتع، طالما أنه يُدفع لنا كي نكون جشعين، لا توجد مشكلة. يشجّعنا المجتمع بطرق مختلفة على أن نكون جشعين؛ وتشجعنا كذلك الأديان بطرق مختلفة. طالما أن الشجع مربح، طالما أنه غير مؤلم، نتمسّك به ولكن في اللحظة التي يصبح فيها مؤلماً نريد أن نقاومه. إن تلك المقاومة هي ما ندعوه النظام المضاد للجشع؛ ولكن هل نحن متحررون من الجشع عبر المقاومة، عبر السموّ، وعبر الكبت؟ إن أي فعل تقوم به "الأنا" التي تريد أن تتحرر من الجشع ما يزال جشعاً. بالتالي، إن أي فعل، أي رد من قبلي حيال الجشع، ليس الحل على ما يبدو.

يجب أن يكون هناك أولاً ذهن هادئ، غير متضايق، من أجل فهم أي شيء، وخاصة شيء ما لا أعرفه، شيء لا يستطيع ذهني سبره، الذي، كما يقول هذا السائل، هو الله. لفهم أي شيء، أية مشكلة معقدة ـ في

الحياة أو العلاقة ـ يجب أن يكون هناك عمق هادئ معين في الذهن. هل يأتي ذلك العمق الهادئ عبر أي شكل من أشكال الإكراه؟ يمكن أن يُرغم الذهن السطحي نفسه، ويجعل نفسه هادئاً؛ ولكن أكيد أن هدوءاً كهذا هو هدوء الخراب، والموت، وغير قادر على التكيف وعلى المرونة، والحساسية. وهكذا فإن المقاومة ليست هي الطريق.

إن الرؤية تتطلب معرفة، أليس كذلك؟ وإذا ما رأينا أن الإكراه يجعل الذهن بليداً هذه هي بداية الذكاء، أليس كذلك؟ أي أن نرى أن النظام هو مجرد الانسجام مع نموذج من الفعل عبر الخوف. هذا ما هو متضمّن في تنظيم أنفسنا: نحن خائفون من عدم الحصول على ما نريد. ماذا يحدث حين تضبط ذهنك، حين تضبط وجودك؟ يصبح صعباً جداً، أليس كذلك؟؛ غير مرن، غير سريع، غير قابل للتكيف. ألا تعرف بشراً ضبطوا أنفسهم ـ إذا كان هناك بشر كهؤلاء؟ إن النتيجة هي على ما يبدو سيرورة خراب. ثمة صراع داخلي تم التخلص منه، وأُخفي؛ ولكنه هناك، يشتعل.

وهكذا نرى أن الانضباط، الذي هو المقاومة، ينشئ عادة، وعلى ما يبدو لا تستطيع العادة أن تنتج الذكاء: العادة لا تنتج الذكاء أبداً، ولا الممارسة. يمكن أن تصبح في غاية الذكاء في أصابعك عبر التمرّن على البيانو كل يوم؛ ولكن الذكاء مطلوب لتوجيه اليدين ونحن الآن نستقصي ذلك الذكاء.

ترى شخصاً ما تعتبره سعيداً، ويقوم بأشياء معيّنة؛ أنت تحاكيه لأنك ترغب بتلك السعادة. إن هذه المحاكاة تُدعى النظام، أليس كذلك؟ نحاكي من أجل أن نتلقى ما حصل عليه الآخر؛ ننسخ من أجل أن نكون سعداء؛ لأننا نعتقد أنه سعيد. هل يتم العثور على السعادة عبر النظام؟ بممارسة قاعدة معينة، بممارسة نظام معين، طريقة في السلوك، هل تكون حراً؟ أكيدٌ يجب أن تكون هناك حرية للاكتشاف، أليس كذلك؟ إذا كنت ستكتشف أي شيء، يجب أن تكون حراً من الداخل، وهذا واضح. هل

أنت حر عبر تشكيل ذهنك بطريقة معينة تدعوها النظام؟ لست حراً على ما يبدو. أنت مجرد آلة مكررة، تقاوم وفق استنتاج معيّن، وفق نمط معين من السلوك. لا يمكن أن تأتي الحرية عبر النظام. لا يمكن أن تأتي الحرية إلا مع الذكاء؛ وأن يكون ذلك الذكاء مستيقظاً، أو أن تمتلك ذلك الذكاء، في اللحظة التي ترى فيها أن أي شكل من أشكال الإكراه ينكر الحرية، داخلياً وخارجياً.

إن ما هو مطلوب أولاً، هو الحرية وليس النظام؛ إن الحرية فحسب تمنح تلك الحرية. فالجشع فوضى؛ والغضب فوضى؛ والمرارة فوضى. وحين ترى ذلك، فأنت على ما يبدو حر منها؛ لا تقاومها بل ترى أنه فقط في الحرية تستطيع أن تكتشف وأن أي شكل من الإكراه ليس حرية، وبالتالي لا يوجد اكتشاف. ما تفعله الفضيلة هي أنها تمنحك الحرية. إن الشخص غير الفاضل مشوّش؛ وإذا كنت مشوّشاً، كيف تستطيع اكتشاف أي شيء؟ كيف تستطيع؟ هكذا إن الفضيلة ليست النتيجة المكتملة لنظام، بل هي الحرية والحرية لا يمكن أن تأتي من أي فعل ليس فاضلاً، وليس صحيحاً في ذاته. إن الصعوبة التي تواجهنا هي أن معظمنا قرأوا كثيراً، واتّبعوا بشكل سطحي الكثير من الأنظمة، وهم ينهضون كل صباح في ساعة معيّنة، ويجلسون في وضعية معيّنة، محاولين توجيه أذهانهم بطريقة معيّنة. فأنت تعرف، وتمارس، وتنظّم، لأنه قيل لك إنه إذا فعلت هذه الأمور لعدد من السنوات ستصل إلى الله في النهاية. يمكن أن أعبّر عن الأمر بفظاظة، ولكن هذا أساس تفكيرنا. أكيد أن الله لا يأتي بسهولة. ليس الله مجرد شيء قابل للتسويق: أفعل هذا وتمنحني ذاك.

إن التأثيرات الخارجية، والعقائد الدينية، والمعتقدات تُكيِّفنا جميعاً، وبطلبنا الداخلي كي نصل إلى شيء ما، وكي نكسب شيئاً، من الصعب جداً علينا أن نفكر بهذه المشكلة من جديد من دون التفكير من زاوية النظام. أولاً يجب أن نرى بوضوح المعاني الضمنية للنظام، وكيف يضيّق

الذهن، ويحدُّ منه، ويُكرهه على فعل معيّن، عبر رغبتنا، وعبر التأثير وهلمّ جرّا؛ إن الذهن المشروط، مهما كانت فاضلة تلك الشروط لا يمكن أن يكون حراً وبالتالي لا يمكنه فهم الحقيقة. إن الله، الحقيقة أو ما تشاء ـ لا يهم الاسم ـ لا يمكن أن يأتي إلى الوجود إلا إذا كانت هناك حرية، ولا توجد حرية حيث هناك إكراه، سواء كان إيجابياً أم سلبياً، عبر الخوف. لا توجد حرية إذا كنت تسعى إلى غاية، لأنك تكون مقيّداً إلى تلك الغاية. يمكن أن تكون حراً من الماضي ولكن المستقبل يمسك بك، وهذه ليست حرية. في الحرية فحسب يستطيع الإنسان اكتشاف أي شيء، ويستطيع اكتشاف فكرة جديدة، وشعور جديد، وإدراك جديد. إن أي شكل من أشكال النظام الذي يستند إلى الإكراه يُنكر تلك الحرية، سواء كانت سياسية أم دينية؛ وبما أن النظام، والذي هو الانسجام مع فعل، ومع غاية في الأفق، مقيّد، لا يمكن أن يكون الذهن حراً. لا يمكن أن يعمل إلا داخل ذلك الأخدود، كآلة تسجيل.

هكذا، عبر الممارسة، وعبر العادة، وعبر صقل النموذج، لا يُنجز الذهن إلا ما يراه. بالتالي، ليس حراً؛ ولا يمكن أن يحقق ما لا يمكن قياسه. إذا وعيت هذه السيرورة ، ولماذا تضبط نفسك باستمرار أمام الرأي العام؛ وأمام قديسين معيّنين؛ في سيرورة الانسجام مع رأي، سواء كان رأي قدّيس أو جار، إذا ما وعيتَ سيرورة الانسجام هذه عبر الممارسة، وعبر الطرق الماكرة لإخضاع نفسك، والإنكار، والجزم، والكبت، والتصعيد، سترى أنها تتضمن الانسجام مع نموذج: هذه هي بداية الحرية، والتي تولد منها الفضيلة. إنّ الفضيلة ليست صقل فكرة معيّنة. إذا لوحق اللاجشع، مثلاً، كغاية يتوقّف عن كونه فضيلة، أليس كذلك؟ هذا إذا كنت واعياً أنك غير جشع، أنك فاضل؟ هذا ما نفعله عبر النظام.

يشدّد النظام، والانسجام، والممارسة على الوعي الذاتي بكونك شيئاً ما فحسب. يمارس الذهن اللاجشع وبالتالي إنه ليس متحرّراً من وعيه

الخاص بأنه غير جشع؛ بالتالي، ليس في الواقع غير جشع. لقد قام بمجرد ارتداء عباءة يدعوها اللاجشع. نستطيع أن نرى سيرورة كل هذا: الدافع، والرغبة في تحقيق غاية، والانسجام مع نموذج، والرغبة بالأمان في اتّباع نموذج، كل هذا مجرد انتقال من المعلوم إلى المعلوم، دوماً داخل حدود سيرورة التطويق الذاتي للعقل. أن ترى كل هذا، أن تعيه، هو بداية الذكاء، فالذكاء ليس فاضلاً أو غير فاضل، لا يُمكن أن يُقَولب في نموذج كفضيلة أو رذيلة. إن الذكاء يولِّد الحرية، التي ليست الفسق ولا الفوضى. من دون هذا الذكاء، لا يمكن أن تكون هناك فضيلة؛ فالفضيلة تمنح الحرية وفي الحرية تولد الحقيقة. إذا رأيت السيرورة كلها، في كليّتها، ستكتشف عندئذ أنه لا يوجد صراع. ولأننا في صراع، ولأننا نريد أن نهرب من ذلك الصراع نلجأ إلى أشكال مختلفة من النظام، وحالات رفض، وتكيّف. وحين نفهم ما هي سيرورة الصراع نكتشف أنه ليس هناك مسألة نظام، لأننا نفهم عندئذ من لحظة لأخرى طرق الصراع. يتطلّب هذا تيقّظاً كبيراً، ومراقبة نفسك طُول الوقت. إن الجانب الفضولي في الأمر هو أنه على الرغم من أنك يمكن أن تكون أو لا تكون مراقباً طول الوقت ثمة عملية تسجيل تتواصل داخلياً حالما تكون هناك نيّة. إن الحساسية، الحساسية الداخلية، تلتقط الصورة طول الوقت، بحيث أن الداخل يُسقط تلك الصورة في اللحظة التي تكون فيها هادئاً.

بالتالي، ليست المسألة مسألة نظام. لا يمكن أن تولد الحساسية عبر الإكراه. يمكن أن تُكره طفلاً على فعل شيء ما، وأن تضعه في زاوية، ويمكن أن يكون هادئاً؛ ولكن داخلياً هو على الأرجح يضطرب، وينظر من النافذة، ويفعل شيئاً لكي يبتعد. هذا هو الذي ما نزال نفعله. وهكذا فإن مسألة النظام ومن هو على صواب ومن هو مخطئ لا يمكن أن يحلّها إلا أنت.

وكما ترى، نحن خائفون أيضاً من أن نخطئ لأننا نريد أن نحقّق النجاح. إن الخوف يكمن في قاع رغبتك لكي تكون منظّماً، ولكن المجهول

لا يمكن أن يُصطاد بشبكة النظام. على العكس تماماً، يجب أن يمتلك المجهول الحرية وليس النموذج الذي في ذهنك. لهذا إن هدوء الذهن جوهري. حين يكون الذهن واعياً، أي هادئاً، لا يكون هادئاً؛ حين يكون الذهن واعياً يكون غير جشع، ويتعرّف على نفسه في الرداء الجديد للاجشع الذي هو الهدوء. لهذا يجب أن يفهم المرء أيضاً المشكلة في سؤال الشخص الذي يسيطر علي ما هو مُسيطر عليه. إن الظاهرتين غيرن منفصلتين وإنما متصلتان: المُسيطِر والمُسَيطَر عليه واحد.

6. الوحدة

سؤال: بدأت أكتشف أنني وحيد جداً، ما الذي يجب أن أفعله؟

كريشنامورتي: يريد السائل أن يعرف لماذا يشعر بالوحدة؟ هل تعرفون ما الذي تعنيه الوحدة وهل أنتم مدركون لها؟ أشك في هذا كثيراً، لأننا نخنق أنفسنا بالأنشطة، وبالكتب، والعلاقات، والأفكار التي تمنعنا من أن نكون واعين للوحدة. ما الذي نعنيه بالوحدة؟ إنها إحساس بكونك فارغاً، بعدم امتلاكك لأي شيء، بكونك غير متيّقن بشكل فائق للعادة، بدون مرساة في أي مكان. فلا اليأس، ولا غياب الأمل، وإنما إحساس بالفراغ وإحساس بالإحباط. أنا متأكد من أننا كلنا شعرنا بالوحدة، السعداء والأشقياء منا، النشيطون جداً ومدمنو المعرفة. جميعهم يعرفون هذا. إنها الإحساس بألم حقيقي لا يُستنفد، ألم لا يمكن إخفاؤه، رغم أننا نحاول أن نخفيه.

لنقارب هذه المشكلة ثانية كي نرى ما الذي يحدث في الفعل، كي نرى ما الذي تفعله حين تشعر بالوحدة. تحاول الهرب من شعورك بالوحدة، تحاول اللجوء إلى كتاب، وإتّباع قائد ما، أو تذهب إلى السينما، أو تصبح نشيطاً جداً على المستوى الاجتماعي، أو تلجأ إلى العبادة والصلاة، أو ترسم، أو تؤلف قصيدة عن العزلة. هذا ما يحدث في الواقع. إذا وعيتَ الوحدة، وألمها، والخوف منها، الفائق للعادة والذي لا يُسبر، تحاول الهرب ويصبح ذلك الهرب أكثر أهمية، من ثمَّ تصبح أنشطتك ومعرفتك وآلهتك وإذاعاتك كلها هامّة، أليس كذلك؟ حين تُضفي أهمية على القيم الثانوية، تقودك إلى البؤس والفوضى؛ إن القيم الثانوية هي القيم الحسية؛ والحضارة الحديثة المبنية عليها تمنحك هذا الهرب: الهرب عبر وظيفتك، وأسرتك، واسمك، ودراساتك، وعبر الرسم،إلخ؛ إن ثقافتنا كلها مستندة إلى هذا الهرب. وحضارتنا مؤسسة عليه وهذه حقيقة.

هل سبق وحاولت أن تكون وحيداً؟ حين تحاول، ستكتشف كم هو من الصعب وكم هو ذكي بشكل فائق للعادة أن تكون وحيداً، لأن الذهن لا يتركنا وحيدين. يصبح الذهن غير مستقر، يشغل نفسه بالإلهاءات، وهكذا ما الذي نفعله؟ نحاول أن نملأ هذا الفراغ الفائق للعادة بالمعلوم. نكتشف كيف نكون فعالين، كيف نكون اجتماعيين؛ نعرف كيف ندرس، كيف نشغّل المذياع. نملأ ذلك الشيء الذي لا نعرفه بالأشياء التي نعرفها. نحاول أن نملأ ذلك الفراغ بأنواع مختلفة من المعرفة، أو العلاقة أو الأشياء. أليس الأمر هكذا؟ هذه هي سيرورتنا، هذا وجودنا. والآن حين تدرك ما تفعله، هل تعتقد أنه يظل بوسعك أن تملأ ذلك الفراغ؟ تجرّبُ جميع وسائل ملء ذلك الفراغ الناجم عن الوحدة. هل نجحت في ملئه؟ جرّبت صالات السينما ولم تنجح، وبالتالي اتّبعت معلميك الروحيين وكتبك أو صرت نشيطاً جداً على المستوى الاجتماعي. هل نجحت في ملء الفراغ أم هل قمت بتغطيته فحسب؟ إذا قمت بتغطيته فحسب، فإنه ما يزال هناك؛ بالتالي سيعود. إذا كنت قادراً على الهرب فهذا يعني أنك مسجون في ملاذ أو أصبحت في غاية البلادة. هذا ما يحدث في العالم.

هل يمكن ملء هذا الفراغ؟ وإذا كان لا يمكن، هل بوسعنا الهرب منه؟ إذا جرّبنا مهرباً واكتشفنا أنه بلا قيمة، أليست جميع حالات الهرب الأخرى بلا فائدة؟ لا يهم إن كنت تملأ الفراغ بهذا أو بذاك. إن ما يُدعى بالتأمل هو هرب أيضاً. لا يهم كثيراً أنك تغيّر طريقتك في الهرب.

كيف ستكتشف عندئذ ما تفعله إزاء هذه الوحدة؟ لا تستطيع العثور على ما تفعله إلا حين تتوقف عن الهرب. أليس كذلك؟ حين ترغب بمواجهة ما هو موجود ـ مما يعني أنك لن تشغّل المذياع، مما يعني أنك يجب أن تدير ظهرك إلى الحضارة ـ عندئذ تنتهي تلك الوحدة، لأنها تحولت بشكل كامل. لم تعد وحدة. إذا فهمتَ ما هو موجود يكون ما هو موجود هو الحقيقي عندئذ. وبما أن الذهن يتجنب باستمرار، ويهرب،

ويرفض أن يرى ما هو موجود، يقوم بخلق عوائقه. ولأن أمامنا الكثير من العوائق التي تمنعنا من الرؤية، لا نفهم ما هو موجود وبالتالي نحن نبتعد عن الواقع؛ لقد ابتكر الذهن هذه العوائق كلها كي لا يرى ما هو موجود. إن رؤية ما هو موجود لا تتطلب قدرة كبيرة ووعي الفعل فحسب وإنما تعني أيضاً إدارة ظهرك لكل ما بنيته، حسابك المصرفي، واسمك وكل ما ندعوه بالحضارة. حين ترى ما هو موجود، سترى كيف تُحوّل العزلة.

7ـ المعاناة

سؤال: ما معنى الألم والمعاناة؟

كريشنامورتي: حين تعاني، حين تتألم، ما أهمية هذا؟ للألم الجسدي دلالة واحدة ولكننا على الأرجح نعني الألم والمعاناة النفسية، اللذين لهما دلالة مختلفة على مستويات مختلفة. ما دلالة المعاناة؟ لماذا تريد أن تعرف دلالة المعاناة؟ لا يعني هذا أنه ليس لها دلالة ـ سنكتشف ذلك. ولكن لماذا تريد أن تعرف لماذا تعاني؟ حين تطرح السؤال على نفسك: "لماذا أعاني؟"، وتبحث عن سبب المعاناة، ألست تهرب من المعاناة؟ حين أنشد دلالة المعاناة، ألا أقوم بتجنُّبها وأهرب منها؟ الواقع هو أنني أعاني؛ ولكن في اللحظة التي أُحضر الذهن كي يعمل عليها وأقول: "الآن، ماذا؟"، أكون قد قمت مسبقاً بإضعاف قوة المعاناة. بتعبير آخر، تريد أن تضعف المعاناة، وتخففها وتنتهي منها، وتفسّرها. إن هذا لا يقدم فهماً للمعاناة. إذا كنتُ حراً من الرغبة بالهرب منها، عندئذ أبدأ بفهم ما هو محتوى المعاناة.

ما هي المعاناة؟ إزعاج،أليس كذلك؟ على مستويات مختلفة، على المستوي المادي وعلى المستويات المختلفة للاوعي. إنها شكل ماكر من الإزعاج لا أحبه.توفيّ ولدي. لقد بنيت حوله جميع آمالي، أو حول ابنتي، زوجي، أو من تشاء. لقد أودعت فيه جميع الأشياء التي أردته أن يكونها ولقد جعلته رفيقاً لي. تعرفون، كل أنواع هذه الأمور. وفجأة يتلاشى. يسبب هذا إزعاجاً، أليس كذلك؟ هذا الإزعاج أدعوه المعاناة.

إذا لم أحب تلك المعاناة أقول عندئذ:" لماذا أعاني؟"،"لقد أحببته كثيراً"،"كان هذا"، "كان لدي ذاك". أحاول الهرب في الكلمات، في التسميات، في المعتقدات، كما يفعل معظمنا. إنها تعمل كمخدِّر. إذا لم أفعل

هذا، ما الذي يحدث؟ أنا واعٍ للمعاناة فحسب. لا أشجبها، لا أبررها، أنا أعاني. عندئذ أستطيع إتّباع حركتها، أليس كذلك؟ ثم أستطيع أن أتبع المحتوى الكامل لما تعنيه، "أتبع" بمعنى محاولة فهم شيء ما.

ماذا تعني المعاناة؟ ما هذا الشيء الذي يعاني؟ إن السؤال ليس لماذا هناك معاناة، ليس ما سبب المعاناة، وإنما ما الذي يحدث بالفعل؟ لا أعرف إن كنتم ترون الفرق. أنا عندئذ واعٍ فحسب للمعاناة، ليس كجزء مني، ليس كمراقب يراقب المعاناة، إنها جزء مني؛ أي كلّي يعاني. ثم أكون قادراً على إتباع هذه الحركة، أن أرى إلى أين تقود. أكيد إذا فعلت هذا تتوضح المسألة، أليس كذلك؟ عندئذ أرى أنني شدَّدْتُ على "أناي" وليس على الشخص الذي أحبّه. لقد عمل كي يحجب بؤسي، كي يحميني من وحدتي، ومن مصيبتي فحسب. بما أنني لست شيئاً، كنت آمل أنه سيكون شيئاً. لقد تلاشى هذا؛ لقد هُجرتْ. أنا وحيد. إن الوصول إلى تلك النقطة صعب جداً، أليس كذلك؟ الواقع أنه من الصعب جداً التعرف عليه وعدم القول: " أنا وحيد وكيف أتخلص من هذه الوحدة؟"، وهذا نوع آخر من الهرب، ولكن أن نعيه، أن نبقى معه، أن نرى حركته. أنا أطرح هذا كمثال. بالتدريج، إذا سمحت له بالانكشاف، بالتفتّح، أرى أنني أعاني لأنني ضائع؛ لقد استُدْعيتُ كي أركز انتباهي على شيء لست راغباً بالنظر إليه؛ شيء ما فُرِضَ عليَّ أنا متردّد في رؤيته وفهمه. هناك عدد لا يُحصى من الناس كي يساعدوني على الهرب ـ الآلاف من ما يُدعون برجال الدين، بمعتقداتهم وعقائدهم القطعية وآمالهم وأخيلتهم الثانوية ـ "إنها *الكارما*، إنها إرادة الله" ـ وكما تعرفون، يمنحني الجميع طريقاً للهرب. ولكن إذا استطعتُ البقاء معه دون أن أبعده عني، دون أن أحاول تحديده أو إنكاره، ما الذي يحدث عندئذ؟ ما هي حالة ذهني حين يتبع هكذا حركة المعاناة؟

هل المعاناة مجرد كلمة، أم واقع؟ إذا كانت واقعاً وليست مجرد كلمة، فالكلمة لا معنى لها عندئذ، وهكذا هناك فقط الشعور بالألم الكبير.

بخصوص ماذا؟ بخصوص صورة، وتجربة، تجاه شيء تملكه أو لا تملكه. إذا كنت تملكه،تدعوه المتعة؛ إذا كنت لا تملكه إنه الألم. بالتالي إن الألم،أو الأسى، هو في علاقة مع شيء ما. هل ذلك الشيء مجرد تعبير لفظي أم حقيقة؟ حين يوجد الأسى، لا يوجد إلا عبر علاقة مع شيء ما. لا يمكن أن يوجد بنفسه، كما لا يستطيع الخوف أن يوجد بنفسه وإنما في علاقة مع شيء ما فقط: مع فرد، ومع حادث، ومع شعور. الآن، أنت مدرك بشكل كامل للمعاناة. هل تلك المعاناة منفصلة عنك وبالتالي أنت مجرد راصد يُدرك المعاناة، أم هل المعاناة أنت؟

حين لا يكون هناك *راصد* من الذي يعاني، هل المعاناة مختلفة عنك؟ أنت المعاناة، أليس كذلك؟ لست منفصلاً عن ذلك الألم، أنت الألم. ماذا يحدث؟ لا توجد تسمية، لا يوجد اسم له وبالتالي لا يمكن دفعه جانباً. إذا كنت الشيء، ما الذي يحدث؟ هل تقول إنك تعاني؟ بالتأكيد، لقد حدث تحول جوهري. عندئذ لم يعد هناك: "أنا أعاني"، لأنه لا يوجد مركز للمعاناة والمركز يعاني لأننا لا نفحص أبداً ما هو المركز. نعيش من كلمة لكلمة فحسب، من رد فعل إلى آخر. لا نقول أبداً:"لنرى ما هو الشيء الذي يعاني". لا تستطيع أن ترى بالإكراه، بالنظام. يجب أن تنظر باهتمام، وبوعي تلقائي. عندها سترى أن الشيء الذي نسمّيه المعاناة، والألم، الشيء الذي نتجنبه، والنظام، يختفي كله. طالما أنه ليس لدي علاقة مع الشيء كخارج عني، المشكلة غير موجودة؛ في اللحظة التي أؤسس علاقة معها خارجاً عني، تولد المشكلة. طالما أنني أعامل المعاناة كشيء خارج عني ـ أعاني لأنني فقدت أخي، لأنني لا أملك نقوداً، بسبب هذا أو ذاك ـ أقيم علاقة معها وتلك العلاقة خيالية. ولكن إذا كنت أنا ذلك الشيء، إذا رأيت الحقيقة، عندئذ يتحوّل الشيء كله، يمتلك كله معنى مختلفاً. يولد عندئذ الانتباه الكامل، الانتباه المتكامل وذلك الذي يُحترم بشكل كامل يُفهم ويُحل، وهكذا لا يعود هناك خوف وبالتالي لا توجد كلمة "أسى".

8 ـ الوعي

سؤال: ما الفرق بين الوعي والاستبطان؟ ومن الواعي في الوعي؟

كريشنامورتي: لنفحص أولاً ما الذي نعنيه بالاستبطان. نعني بالاستبطان النظر في داخل ذاتنا، وفحصها. لماذا يفحص المرء ذاته؟ من أجل أن يتحسن، من أجل أن يتغيّر، من أجل أن يعدِّل. تستبطن من أجل أن تصبح شيئاً ما، وإلا فإنك لن تقوم بالاستبطان. لن تفحص نفسك إذا لم تكن هناك رغبة للتعديل والتغيير وكي تصبح شيئاً غير ما أنت. هذا هو السبب الواضح للاستبطان. أنا غاضب وأستبطن، أفحص نفسي، من أجل أن أتخلص من الغضب أو كي أعدّل أو أغيّر الغضب. حيث يوجد استبطان، والذي هو الرغبة لتعديل أو تغيير الاستجابات، وردود فعل الذات، ثمة دوماً نهاية منظورة؛ حين لا تتحقق تلك الغاية، ثمة مزاجية وكآبة. لا أعرف إذا لاحظت أنه حين تستبطن، حين تنظر في نفسك كي تغيّر نفسك، هناك دوماً موجة من الكآبة. موجة مزاجية يجب أن تقاتل ضدها؛ عليك أن تفحص نفسك مرة ثانية من أجل أن تتغلب على ذلك المزاج وهلمّجرّا. الاستبطان سيرورة ليس فيها تحرر لأنه سيرورة تحويل ما هو موجود إلى شيء غير موجود. وهذا على ما يبدو ما يحدث في الاستبطان، حين نقوم بذلك الفعل الخاص. في ذلك الفعل، ثمة دوماً سيرورة تراكمية، "الأنا" تفحص شيئاً ما من أجل أن تغيّره، وهكذا هناك دوماً صراع ثنائي وبالتالي سيرورة إحباط. لا يوجد أبداً تحرر؛ وحين ندرك ذلك الإحباط، تبدأ الكآبة.

إن الوعي مختلف بشكل كامل. فالوعي رصد من دون شجب. يولّد الفهم، لأنه لا يوجد شجب أو تماه وإنما رصد صامت. إذا أردتُ أن أفهم شيئاً، يجب ألا ألاحقه كمتعة أو أن أتجنبه لأنه لا يشكّل متعة. يجب أن

تكون هناك الملاحظة الصامتة لحقيقة. لا توجد غاية في مدى النظر وإنما وعي لكلّ شيء كما ينشأ. إن تلك الملاحظة وفهمها يتوقفان حين يكون هناك شجب، وتماهٍ، أو تبرير. إن الاستبطان تحسين للذات وبالتالي أنانية. أما الوعي فليس تحسيناً للذات. على العكس، إنه نهاية الذات، "الأنا"، بكل خصوصياتها الفريدة، وذكرياتها، ومتطلباتها واهتماماتها. في الاستبطان هناك تماهٍ وشجب. في الوعي لا يوجد تماه وشجب؛ بالتالي لا يوجد تحسين للذات. هناك فرق كبير بين الاثنين.

إن الرجل الذي يريد أن يحسّن نفسه لا يمكن أن يكون واعياً أبداً، لأن التحسّن يتضمن الشجب وتحقيق نتيجة. بينما في الوعي هناك رصد بلا شجب، من دون إنكار أو قبول. يبدأ ذلك الوعي مع الأشياء الخارجية، فأن تكون واعياً،يعني أن تكون متصلاً مع الأشياء، ومع الطبيعة. أولاً، هناك وعي بأشياء عن المرء، كونه حساساً تجاه الأشياء، والطبيعة، والناس، مما يعني العلاقة؛ ثم هناك وعي الأفكار. إن هذا الوعي، كونه حساساً حيال الأشياء، والطبيعة، والناس، والأفكار، غير مصنوع من سيرورات مختلفة، ولكنه سيرورة واحدة متكاملة. إنه رصد متواصل لكل شيء، لجميع الأفكار والمشاعر والأفعال حين تنشأ داخل المرء. وبما أن الوعي غير شجبي، لا يوجد تراكم. فأنت لا تشجب إلا حين يكون لديك مقياس، مما يعني أن هناك تراكماً ومن ثمّ تحسين للذات. إن الوعي هو أن تفهم أنشطة الذات، "الأنا"، في علاقتها مع الناس، ومع الأفكار، ومع الأشياء. إن هذا الوعي هو من لحظة إلى لحظة وبالتالي لا يمكن أن يُمارس. حين تمارس شيئاً ما، يصبح عادة والوعي ليس عادة. إن الوعي القائم على العادة مفتقر للحساسية، فالذهن الذي يعمل داخل حدود فعل معيّن بليد، غير مرن، بينما الوعي يتطلب مرونة مستمرة، وتيقظاً. ليس هذا صعباً. إنه ما تفعله في الواقع حين تكون مهتماً بشيء ما، حين تكون مهتماً بمراقبة طفلك، وزوجتك، ونباتاتك،

والأشجار، والطيور. ترصد من دون شجب، من دون تماه؛ بالتالي في ذلك الرصد هناك تشارك تام؛ إن الراصد والمرصود هما متشاركان بشكل كامل. وهذا يحدث في الواقع حين تكون مهتماً بشكل عميق بشيء ما.

وهكذا هناك اختلاف كبير بين الوعي والتحسن القائم على توسيع الذات الخاص بالاستبطان. يقود الاستبطان إلى الإحباط، إلى صراع أكبر؛ بينما الوعي سيرورة تحرر من فعل الذات؛ أن تكون واعياً لتحركاتك اليومية، ولأفكارك، ولأفعالك وأن تكون واعياً للآخر، كي ترصده. لا تستطيع أن تفعل هذا إلا حين تحب أحداً ما، حين تكون مهتماً بشكل عميق بشيء ما؛ حين أريد أن أعرف نفسي، وكياني كله، والمحتوى الكامل لنفسي، وليس طبقة أو طبقتين فقط، عندئذ لا يكون هناك على ما يبدو شجب، أكون منفتحاً على جميع الأفكار، وجميع المشاعر، وجميع الأمزجة، وعمليات الكبت؛ وبما أن هناك وعي متزايد، هناك المزيد من التحرر من الحركة الخفية للأفكار والدوافع والاهتمامات. فالوعي هو تحرر، يؤدي إلى الحرية، بينما الاستبطان يصقل الصراع، إنه سيرورة تطويق الذات؛ بالتالي هناك دوماً إحباط وخوف فيه.

يريد السائل أن يعرف أيضاً من الذي يعي. حين تمتلك تجربة عميقة من أي نوع، ما الذي يحدث؟ حين توجد تجربة كهذه، هل أنت واع أنك تجرّب؟ حين تكون غاضباً، في جزء من الثانية من الغضب أو الغيرة أو المتعة، هل أنت واع أنك غيور أو أنك غاضب؟ حين تنتهي التجربة يكون هناك التجربة والمجرّب. في لحظة التجربة، لا يوجد الراصد ولا المرصود: هناك التجريب فحسب. إن معظمنا لا يجربون. نحن دوماً خارج حالة التجريب وبالتالي نطرح هذا السؤال: من هو الراصد، ما هو الشيء الذي هو واع؟ أكيد أن سؤالاً كهذا سؤال خاطئ، أليس كذلك؟ في اللحظة التي يكون فيها هناك تجريب، لا يوجد الشخص الواعي ولا الشيء الذي يعيه. لا يوجد لا الراصد ولا المرصود وإنما فقط حالة من التجريب. يرى

كثير منا أنه من الصعب جداً العيش في حالة تجريب، لأن هذا يتطلّب مرونة فائقة للعادة، وسرعة، ودرجة عالية من الحساسية؛ وهذا يُنكر حين نلاحق نتيجة، وحين نريد أن ننجح، وحين تكون لدينا غاية منظورة، لأننا حين نحسب يسبّب لنا هذا الإحباط. إن الإنسان الذي لا يتطلب أي شي، الذي لا ينشد غاية، الذي لا يبحث عن نتيجة بكل معانيها الضمنية، إن إنساناً كهذا هو في حالة من التجريب المتواصل. كل شيء عندئذ له حركة، ومعنى؛ لا شيء قديماً، لا شيء محترقاً، لا شيء متكرراً، لأن ما هو موجود لا يشيخ أبداً. إن التحدي هو جديد دوماً. إن القديم هو الاستجابة إلى التحدي؛ القديم يخلق المزيد من الراسب، الذي هو الذاكرة، الراصد، الذي يفصل نفسه عن المرصود، وعن التحدي، وعن التجربة.

تستطيع تجريب هذا بنفسك ببساطة شديدة وبسهولة كبيرة. في المرة التالية التي تغضب فيها أو تغار أو تكون جشعاً أو عنيفاً، أو غير ذلك، راقب نفسك. في تلك الحالة، أنت لست أنت. هناك فقط تلك الحالة من الوجود. إن اللحظة، أو الثانية التي تسميها فيها، تدعوها الغيرة، والغضب، والجشع؛ وهكذا تخلق على الفور الراصد والمرصود، المجرِّب والمجرَّب. حين يكون هناك مجرِّب ومجرَّب، عندئذ يحاول المجرِّب أن يعدّل التجربة، ويغيّرها، ويتذكر أشياء عنها وهلمّجرّا، وبالتالي يحافظ على الفصل بين نفسه وبين المجرَّب. إذا لم تسمِّ ذلك الشعور، الذي يعني أنك تنشد نتيجة، فأنت لا تشجب، أنت فقط واعٍ بشكل صامت للإحساس، عندها سترى أنه في تلك الحالة من الشعور، ومن التجريب، لا يوجد راصد ولا مرصود، لأن الراصد والمرصود ظاهرة مشتركة وهكذا هناك تجريب فقط.

إن الاستبطان والوعي مختلفان بشكل كامل. يقود الاستبطان إلى الإحباط، وإلى مزيد من الصراع، ذلك أنه ينطوي على الرغبة بالتغيير والتغيير مجرد استمرارية معدّلة. أما الوعي فهو حالة فيها لا يوجد شجب

أو تبرير أو تماه، وبالتالي هناك فهم؛ في تلك الحالة من الوعي الهادئ المتيقظ لا يوجد مجرِّب ولا مجرَّب.

إن الاستبطان، الذي هو شكل من أشكل تحسين الذات، ومن توسع الذات، لا يمكن أن يقود إلى الحقيقة، لأنه دوماً سيرورة تطويق للذات؛ بينما الوعي هو حالة تستطيع فيها الحقيقة أن تأتي إلى الوجود، أي حقيقة ما هو موجود، الحقيقة البسيطة للوجود اليومي. حين نفهم حقيقة الوجود اليومي فحسب نستطيع أن نذهب بعيداً. يجب أن تبدأ قريباً كي تذهب بعيداً ولكن معظمنا يريدون القفز، يريدون أن يبدأوا بعيداً دون أن يفهموا ما هو قريب. وحين نفهم القريب، سنجد المسافة بين القريب والبعيد منعدمة. ليس هناك مسافة، إنّ النهاية والبداية شيء واحد.

9. العلاقة

سؤال: تحدّثت عن العلاقة. ما الذي تعنيه لك؟

كريشنامورتي: أولاً، لا يوجد شيء معزول. أن تكون هو أن تكون مرتبطاً بعلاقة ومن دون علاقة لا يوجد وجود. ما الذي نعنيه بالعلاقة؟ إنها تحدي واستجابة مترابطان بين شخصين، بينك وبيني، التحدي الذي تطرحه والذي أقبله أو أستجيب له؛ أيضاً التحدي الذي أطرحه عليك. إن العلاقة بين شخصين تنشئ المجتمع؛ فالمجتمع ليس مستقلاً عنك وعني؛ إن الجمهور ليس في ذاته كياناً منفصلاً، فأنا وأنت، في علاقتنا مع بعضنا بعضاً، ننشئ الجمهور، والجماعة، والمجتمع. إن العلاقة هي وعي الترابط الداخلي بين شخصين. إلى ماذا تستند تلك العلاقة بعامة؟ أليست مستندة إلى ما يُدعى المساعدة المتبادلة؟ نقول إنها مساعدة متبادلة وغير ذلك من التسميات، ولكن في الواقع، بمعزل عن الكلمات، وبعيداً عن الشاشة العاطفية التي نرميها ضد بعضنا بعضاً، إلى ماذا تستند؟ إلى الرضا المتبادل، أليس كذلك؟ إذا لم أسرّك تتخلّص منّي؛ وإذا أمتعتك تقبلني إما كزوجتك أو كجارك أو كصديقك. هذه هي الحقيقة.

ما هو الشيء الذي تدعوه بالأسرة؟ إنها علاقة حميمية، علاقةُ تَشَارُكٍ. في عائلتك، في علاقتك مع زوجتك، هل هناك مشاركة؟ أكيد أن هذا ما نعنيه بالعلاقة، أليس كذلك؟ تعني العلاقة مشاركة دون خوف، والحرية كي نفهم بعضنا بعضاً، وأن نتواصل بشكل مباشر. تعني العلاقة أن تكون مشاركاً مع آخر. هل أنت؟ هل أنت مشارك لزوجتك؟ ربما جسدياً ولكن هذه ليست علاقة. تعيش أنت وزوجتك على جانبي جدار من العزلة، أليس كذلك؟ لديك اهتماماتك، وطموحاتك، ولها أيضاً ذلك. تعيش خلف الجدار وأحياناً تنظر من فوقه، وهذا ما تدعونه علاقة. هذه حقيقة، أليس

كذلك؟ يمكن أن تكبّرها، أن تنعّمها، أن تدخل مجموعة جديدة من الكلمات لوصفها ولكن هذه هي الحقيقة: أنك والآخر تعيشان في عزلة، والحياة في عزلة تدعوها علاقة.

لو كانت هناك علاقة حقيقية بين شخصين، والتي تعني أن هناك تشاركاً بينهما، ستكون المعاني الضمنية كبيرة. عندها لا تكون هناك عزلة؛ يكون هناك حب لا مسؤولية أو واجب. إن من هو معزول خلف الجدران هم الناس الذين يتحدثون عن الواجب والمسؤولية. إن الإنسان الذي يحب لا يتحدث عن المسؤولية، إنه يحب. بالتالي يشاطر آخر متعته، وأساه، ونقوده. هل أسركم هكذا؟ هل هناك مشاركة مباشرة مع زوجتك، ومع أولادك؟ على ما يبدو لا يوجد. بالتالي، إن الأسرة مجرّد عذر لمواصلة اسمك أو تقاليدك، ولمنحك ما تريد، جنسياً أو نفسياً، وهكذا تصبح الأسرة وسيلة لتأبيد الذات، ولحمل اسمك. هذا نوع من الخلود، نوع واحد من الاستمرارية. تُستخدم الأسرة أيضاً كنوع من الإشباع. أستغل الآخرين بلا رحمة في عالم الأعمال، وفي العالم السياسي أو الاجتماعي في الخارج، وفي المنزل أحاول أن أكون لطيفاً وكريماً. يا له من عبث! أو أن العالم كثير جداً بالنسبة إلي، أريد السلام وأذهب إلى المنزل. أعاني في العالم فأذهب إلى المنزل وأحاول العثور على الراحة. وهكذا أستخدم العلاقة كوسيلة للإشباع، مما يعني أنني لا أريد أن أُزعج بعلاقتي.

هكذا تُنشد العلاقة حيث يكون هناك إشباع متبادل؛ حين لا تعثر على الإشباع تغيّر العلاقة؛ إما تطلّقان أو تبقيان سوية ولكن تنشدان الإشباع في مكان آخر، أو تنتقل من علاقة إلى أخرى إلى أن تعثر على ما تبحث عنه، والذي هو الرضا، والإشباع، والإحساس بحماية الذات وبالراحة. في النهاية، هذه هي علاقتنا في العالم، وهي هكذا في الواقع. تُنشد العلاقة حيث يمكن أن يكون هناك أمن، حيث أنت كفرد تستطيع أن تعيش في حالة أمن، وفي حالة إشباع، وفي حالة جهل، وكل هذا يسبّب الصراع

دوماً، أليس كذلك؟ إذا لم تشبعني وأنا أنشد الإشباع، يولد الصراع بشكل طبيعي، لأن كلينا ينشد الأمن في الآخر؛ حين يصبح ذلك الأمن غير مؤكد تصبح غيوراً، وعنيفاً، وامتلاكياً، وهلمّجرّا. وهكذا تؤدي العلاقة بشكل ثابت إلى الامتلاك، والشجب، وطلبات مؤكدة للذات، والأمن، والراحة، والإشباع، وفي هذا لا يوجد حب طبيعي.

نتحدث عن الحب، وعن المسؤولية، وعن الواجب، ولكن ليس هناك حب في الواقع؛ تستند العلاقة إلى الإشباع، ونرى تأثير هذا في الحضارة الحديثة. فالطريقة التي نعامل بها زوجاتنا وأطفالنا وجيراننا وأصدقاءنا مؤشر على أنه لا يوجد حب مطلقاً في علاقتنا. إنه مجرد بحث عن الإشباع المتبادل. وبما أن الأمر هكذا، ما هو هدف العلاقة إذاً؟ إذا راقبت نفسك في علاقة مع الآخرين، ألا ترى أن العلاقة هي عملية بوح ذاتي؟ ألا يكشف اتصالي معك حالة وجودي إذا كنت واعياً، إذا كنت متيقظاً بما يكفي كي أكون واعياً لرد فعلي في العلاقة؟ إن العلاقة هي في الواقع عملية بوح ذاتي، والذي هو معرفة للذات؛ وفي ذلك الكشف هناك الكثير من الأمور غير السارة، أفكار وأنشطة مقلقة وغير مريحة. بما أنني لا أحب ما أكتشفه، أهرب من العلاقة غير السارة إلى علاقة سارة. بالتالي، تمتلك العلاقة أهمية قليلة جداً حين ننشد الإشباع المتبادل فقط ولكنها تصبح في غاية الأهمية حين تكون وسيلة للبوح الذاتي ومعرفة الذات.

في النهاية، لا توجد علاقة في الحب، أليس كذلك؟ حين تحب شيئاً ما وتتوقع مقابلاً لحبك تكون هناك علاقة. حين تحب، أي حين تمنح نفسك لشيء ما بشكل كامل، وكلي، عندها لا يوجد علاقة.

إذا أحببت، إذا كان يوجد حب كهذا، هذا شئ رائع. في حب كهذا لا يوجد احتكاك، لا يوجد الواحد والآخر، ثمة وحدة كاملة. إنها حالة تكامل، وجود كامل. هناك لحظات كهذه، لحظات نادرة، سعيدة، ممتعة، حين يكون هناك حب كامل، ومشاركة كاملة. ما يحدث عادة هو

أن الحب ليس ما هو مهمّ وإنما الآخر، موضوع الحب، يصبح هامّاً. عندئذ يصبح موضوع الحب مهمّاً، لأسباب متنوعة، إما بيولوجية، لغوية أو بسبب رغبة أو إشباع وراحة، وينحسر الحب. ثم يسبّب الامتلاك، والغيرة والمتطلبات الصراع ويزداد انحسار الحب؛ وكلما انحسر الحب، فقدت مشكلة العلاقة أهميتها، وقيمتها ومعناها. بالتالي، إن الحب هو أحد أصعب الأمور على الفهم. لا يمكن أن يأتي عبر إلحاح فكري؛ ولا يمكن أن يُصنَع بطرق ووسائل وأنظمة مختلفة. إنه حالة وجود حين تتوقف أنشطة الذات؛ ولكنها لن تتوقف إذا قمت بكبتها، وتفاديها أو تنظيمها. يجب أن تفهم أنشطة الذات في الطبقات المختلفة للوعي كافة. لدينا لحظات نحب فيها، لا يكون فيها تفكير،أو دافع، إن تلك اللحظات هي نادرة جداً. ولأنها نادرة نتمسك بها في الذاكرة، وهكذا ننشئ حاجزاً بين الواقع الحي وفعل وجودنا اليومي.

من أجل أن نفهم العلاقة ينبغي أن نفهم أولاً ما هو موجود، ما يحدث بالفعل في حياتنا، في الأشكال المختلفة الماكرة كلّها؛ وأيضاً ما تعنيه العلاقة أيضاً. إن العلاقة هي بوح ذاتي؛ لأننا لا نريد أن نكتشف أننا نختبئ في الراحة، وعندها تفقد العلاقة عمقها الفائق للعادة وجمالها. لا يمكن أن تكون هناك علاقة حقيقية إلا حين يكون هناك حب ولكن الحب ليس البحث عن الإشباع. يوجد الحب فحسب حين يكون هناك نسيان للذات، وحين تكون هناك مشاركة كاملة، ليس بين واحد أو اثنين، وإنما مشاركة مع الأعلى؛ ولا يمكن أن يحدث هذا إلا حين تُنسى الذات.

10. الحرب

سؤال: كيف نستطيع أن ننهي فوضانا السياسية الحالية ونحلّ الأزمة في العالم؟ هل يوجد أي شيء يستطيع أن يفعله الفرد لإيقاف الحرب الوشيكة؟

كريشنامورتي: إن الحرب هي الإسقاط الهائل والدموي لحياتنا اليومية، أليس كذلك؟ إن الحرب مجرد تعبير خارجي عن حالتنا الداخلية، وتضخيم لفعلنا اليومي. إنها أكثر هولاً، وأكثر دموية، وأكثر تدميراً، ولكنها النتيجة الجمعية لأنشطتنا الفردية. بالتالي، أنا وأنت مسؤولان عن الحرب فما الذي نستطيع فعله لإيقافها؟ إن الحرب الوشيكة دوماً لا يمكن أن أوقفها أنا وأنت، لأنها في حالة حدوث مسبقاً؛ وتنشبُ حالياً على المستوى النفسي. وبما أنها في حالة حركة، لا يمكن إيقافها، فالمشكلات كثيرة، ومعقّدة جداً، وحدثتْ سابقاً. ولكن أنا وأنت، حين نشاهد المنزل يحترق، نستطيع فَهْمَ أسباب الحريق، والابتعاد عنه وبناء مكان جديد بمواد مختلفة غير قابلة للاشتعال، هذا لن يؤدّي إلى حروب أخرى. هذا كل ما بوسعنا فعله. نرى أنا وأنت ما يسبّب الحروب، وإذا كنا مهتمّين بإيقاف الحروب، عندئذ نستطيع أن نبدأ بتحويل أنفسنا، نحن الذين هم أسباب الحرب.

زارتني سيدة أمريكية منذ عامين، أثناء الحرب. قالت إنها فقدت ولدها في إيطاليا وأنه لديها ولد آخر في السادسة عشرة تريد إنقاذه؛ وهكذا ناقشنا الأمر. اقترحت عليها أنه لكي تُنقذ ابنها يجب أن تتوقف عن كونها أمريكية؛ ويجب أن تتوقف عن الجشع، وعن جمع الثروة، ونشدان القوة، والهيمنة، وأن تكون بسيطة أخلاقياً، وليس مجرد بسيطة في ارتداء الثياب، وفي الأشياء الخارجية، وإنما بسيطة في أفكارها ومشاعرها.

قالت: " هذا كثير جداً. تطلب مني الكثير. لا أستطيع فعل هذا، لأن الظروف قوية بحيث لا أستطيع أن أبدّلها". وهكذا كانت مسؤولة عن دمار ابنها.

نستطيع أن نتحكم بالظروف، لأننا سبّبناها. فالمجتمع هو نتاج العلاقة، نتاجك ونتاجي معاً. إذا غيّرنا علاقتنا، يتغيّر المجتمع؛ أما مجرد الاعتماد على التشريع، وعلى الإكراه، من أجل تحويل المجتمع الخارجي، فيما نبقى داخلياً فاسدين، ونواصل نشدان القوة، والمركز، والهيمنة، فإنّ هذا تقويضٌ للخارج، مهما بُني بحرص وبشكل علمي. إنّ ما هو داخلي يتغلّب دوماً على الخارجي.

ما الذي يسبّب الحرب الدينية، والسياسية، أو الاقتصادية؟ إنه الإيمان، إما بالقومية، أو بالإيديولوجيا، أو بعقيدة قطعية معيّنة. إذا لم يكن لدينا إيمان بل إرادة طيبة، وحب واحترام فيما بيننا، ستتوقّف الحروب. ولكننا نتغذّى على المعتقدات، وعلى الأفكار والعقائد القطعيّة ومن ثمّ نولّد السخط. إن للأزمة الحالية طبيعة استثنائية ونحن ككائنات بشرية يجب إما أن نسير على درب الصراع والحروب المتواصلة، التي هي نتاج فعلنا اليومي، وإما أن نفهم أسباب الحروب وندير ظهورنا لها.

إن ما يسبب الحرب على ما يبدو هو الرغبة بالقوة، وبالمركز، وبالهيبة، وبالنقود؛ وكذلك المرض الذي يُدعى القومية، وعبادة الراية؛ ومرض الدين السّلفي، وعبادة العقائد القطعية. كل هذه أسباب الحرب؛ إذا انتميت كفرد إلى أي من الأديان المنظّمة؛ إذا كنت جشعاً للقوة، وإذا كنت حسوداً، فإنك ستبني مجتمعاً يُنتجُ الدمار. وهكذا يعتمد الأمر عليك وليس على القادة، ليس على من يُدعون برجال الدولة وكل من تبقى منهم. يعتمد عليك وعليّ ولكن يبدو أننا لا ندرك هذا. إذا شعرنا مرة بالمسؤولية عن أعمالنا، فإننا نستطيع أن ننهي كل هذه الحروب، وهذا البؤس المرعب بسرعة! ولكن، كما ترى، نحن لامبالون. نتناول ثلاث

وجبات في اليوم، لدينا وظائفنا، وحساباتنا المصرفية، الكبيرة أو الصغيرة، ونقول: "كرمى لله لا تزعجنا، اتركنا لوحدنا". وكلما كان موقعنا أعلى، أردنا الأمن، والاستمرارية، والهدوء، ورغبنا بأن نُترك وحدنا، للحفاظ على الأمور ثابتة كما هي؛ ولكن لا يمكن الحفاظ عليها كما هي، لأنه لا يوجد شيء للحفاظ عليه. كل شيء يتفكك. لا نريد أن نواجه هذه الأمور، لا نريد أن نواجه حقيقة أنني أنا وأنت مسؤولان عن الحروب. يمكن أن أتحدث أنا وأنت عن السلام، ونعقد المؤتمرات، ونجلس حول الطاولة ونناقش، ولكن داخلياً، ونفسياً، نريد القوة، والمركز، ويحفّزنا الجشع. نخدع، ونصبح قوميين، وتقيّدنا المعتقدات القطعية، التي نرغب بالموت من أجلها وندمّر بعضنا بعضاً بسببها. هل تظنّ أن رجالاً مثلي ومثلك يمكن أن يحصلوا على السلام في هذا العالم؟ للحصول على السلام، يجب أن نكون مسالمين؛ كي نحيا بسلام يعني ألا نربّي العداء. ليس السلام مثالاً. إن المثال، بالنسبة إلي، مجرد هرب، وتجنب لما هو موجود، ويمنع العمل المباشر على ما هو موجود. لكي نحقق السلام يجب أن نبدأ بالحب، وألا نعيش حياة مثالية، وإنما أن نرى الأمور كما هي، ونعمل عليها ونحوّلها. طالما أن كل واحد منا ينشد الأمن النفسي، والأمن الجسدي الذي نحتاج إليه: الطعام، الثياب والمأوى، فهو يقوم بالتدمير. نحن ننشد الأمن النفسي،الذي لا يوجد؛ وننشده، إن استطعنا، عبر القوة، والمركز، والألقاب، والأسماء، وكلُّ هذا يدمر الأمن الجسدي. هذه هي الحقيقة الواضحة، إذا بحثت عنها.

إن إحلال السلام في العالم، وإيقاف الحروب كلّها يتطلبان ثورة في الفرد، فيك وفيَّ. فالثورة الاقتصادية من دون هذه الثورة الداخلية لا معنى لها، لأن الجوع نتاج سوء الأوضاع الاقتصادية التي أنتجتها حالاتنا النفسية كالجشع، والحسد، وسوء النية والامتلاك. فلكي ننهي الأسى والجوع والحرب يجب أن تحدث ثورة نفسية وقلة منا ترغب بمواجهة

ذلك. سنناقش السلام، ونضع القوانين، وننشئ منظمات جديدة، كالأمم المتحدة وغيرها؛ ولكننا لن نربح السلام لأننا لن نتخلى عن مركزنا، وسلطتنا، ونقودنا، وأملاكنا، وحيواتنا الغبية. إن الاعتماد على الآخرين لا طائل منه؛ لا يمكن أن يحقّق الآخرون السلام. لن يمنحنا أي قائد السلام، لا حكومة، لا جيش، لا بلاد. ما سيحقّق السلام هو التحوّل الداخلي الذي يقود إلى فعل خارجي. إن التحول الداخلي ليس عزلة، وليس انسحاباً من الفعل الخارجي. على العكس تماماً، لا يمكن أن يكون هناك عمل صحيح إلا حين يكون هناك تفكير صحيح ولن يكون هناك تفكير صحيح حين لا تكون هناك معرفة للذات. بدون أن تعرف نفسك، لا يوجد سلام.

لإنهاء الحرب الخارجية، يجب أن تبدأ بإنهاء الحرب في داخلك. سيهزّ بعضكم رؤوسهم ويقولون: "أوافق"، ويذهبون إلى الخارج ويفعلون ما كنتم تفعلونه في الأعوام العشرة أو العشرين الماضية. إن موافقتكم لفظية ولا معنى لها، ذلك أن حالات البؤس والحروب في العالم لن تتوقّف بموافقتكم الشكلية. لن تتوقّف إلا حين تدركون الخطر، وحين تعون مسؤولياتكم، وحين لا ترمونها على شخص آخر. إذا أدرتكم المعاناة، وإذا رأيتم إلحاح الفعل المباشر ولم تؤجلوا، عندها ستحوّلون أنفسكم؛ ولن يأتي السلام إلا إذا كنتم مسالمين، وعلى وئام مع جيرانكم.

11. الخوف

سؤال: كيف أستطيع التخلص من الخوف، الذي يؤثّر على أنشطتي كافّة؟

كريشنامورتي: ما الذي نعنيه بالخوف؟ الخوف من ماذا؟ هناك أنواع معيّنة من الخوف ونحن بحاجة إلى تحليل أنواعه كلّها. ولكننا نستطيع أن نرى أن الخوف يولد حين يكون فهمنا للعلاقة غير كامل. إن العلاقة ليست بين الناس فحسب بل بيننا وبين الطبيعة، وبيننا وبين الأفكار، وبيننا وبين الملكية؛ وطالما أن تلك العلاقة غير مفهومة بشكل كامل، يجب أن يكون هناك خوف. إنّ الحياة علاقة. أن تكون هو أن ترتبط بعلاقة ومن دون علاقة لا توجد حياة. لا شيء يمكن أن يوجد في عزلة؛ وطالما أن العقل ينشد العزلة، يجب أن يكون هناك خوف. ليس الخوف تجريداً؛ لا يوجد إلا في علاقة مع شيء ما.

إن السؤال الذي يطرح نفسه هو كيف نتخلص من الخوف؟ أولاً، إن كل ما نتغلّب عليه يجب أن نتغلّب عليه مرة بعد أخرى. لا يمكن أن تُحلّ مشكلة بشكل نهائي، أو أن يتم التغلب عليها بشكل نهائي؛ يمكن أن تُفهم ولكن لا يمكن التغلب عليها. إنهما سيرورتان مختلفتان جداً. تقود عملية الاجتياح إلى المزيد من الفوضى، والمزيد من الخوف. إذا قاومنا مشكلة أو مارسنا الهيمنة، أو تصدّينا لمشكلة أو دافعنا عن أنفسنا ضدها فإنّ هذا يسبّب المزيد من الصراع. بينما إذا كان بوسعنا فهم الخوف، والدخول فيه خطوة بعد أخرى، واستقصاء محتواه كله، عندها لن يأتي الخوف أبداً في أي شكل.

وكما قلتُ، إنّ الخوف ليس تجريداً؛ لا يوجد إلا في علاقة. ما الذي نعنيه بالخوف؟ في النهاية نحن خائفون، أليس كذلك؟ من أن لا نوجد،

من ألا نصير. والآن، حين يكون هناك خوف من ألا نكون، ومن عدم التقدم، ومن المجهول، ومن الموت، هل يمكن التغلب على هذا الخوف بالتصميم، بالاستنتاج، بأي خيار؟ كلا على ما يبدو. إن مجرد الكبت، والتصعيد، أو الاستبدال يخلقون المزيد من المقاومة، أليس كذلك؟ من ثمّ، لا يمكن التغلب على الخوف أبداً عبر أي شكل من أشكال النظام، أو المقاومة. يجب أن تُفهم هذه الحقيقة، ويُشعر بها وتُجرّب: لا يمكن التغلّب على الخوف عبر أي شكل من أشكال الدفاع أو المقاومة، ولا يمكن أن تكون هناك حرية من الخوف عبر البحث عن جواب، أو عبر الشرح الفكري أو اللغوي.

ما الذي نخاف منه؟ هل نحن خائفون من حقيقة، أو من فكرة عن الحقيقة؟ هل نخاف من الشيء كما هو، أو مما نفكر ما هو؟ خذوا الموت كمثال. هل نخاف من حقيقة الموت أو من فكرة الموت؟ إنّ الحقيقة شيء والفكرة عن الحقيقة شيء آخر. هل أنا خائف من كلمة "موت" أم من الحقيقة نفسها؟ ولأنني خائف من الكلمة، من الفكرة، لا أفهم أبداً الحقيقة، لا أنظر أبداً إلى الحقيقة، لا أكون أبداً في علاقة مباشرة مع الحقيقة. حين أفهم الحقيقة بصورة كاملة لا يكون هناك خوف. وحين لا أكون في اتصال مع الحقيقة، يولد عندئذ الخوف، وليس هناك اتصال مع الحقيقة طالما أنه لدي فكرة، ورأي، ونظرية، عن الحقيقة، وهكذا عليّ أن أكون واضحاً جداً فيما إذا كنت خائفاً من الكلمة، أو الفكرة أو الحقيقة. إذا كنتُ وجهاً لوجه مع الحقيقة، لا شيء هناك لنفهمه عنها: إن الحقيقة موجودة، وأستطيع التعامل معها. إذا كنت خائفاً من الكلمة، عندئذ يجب أن أفهم الكلمة، وأدخل في سيرورة ما تنطوي عليها الكلمة، أو المصطلح.

مثلاً، يخاف المرء من الوحدة، ومن الألم، ومن ألم الوحدة. أكيد أن هذا الخوف يوجد لأن المرء لم ينظر في الحقيقة إلى الوحدة، لم يكن في

اتصال كامل معها. وفي اللحظة التي يكون فيها المرء منفتحاً بشكل كامل على حقيقة العزلة يستطيع أن يفهم ما هي، ولكن المرء يمتلك فكرة، رأياً، عنها، يستند إلى المعرفة المسبقة؛وهذه الفكرة، هذا الرأي، هذه المعرفة المسبقة عن الحقيقة، هم الذين يسبّبون الخوف. فالخوف هو نتاج التسمية، وإطلاق المصطلحات، واستخدام رمز لتمثيل الحقيقة؛ أي إن الخوف ليس مستقلاً عن الكلمة، أو عن المصطلح.

أقوم برد فعل على العزلة؛ أي أقول إنني لا أخاف من أي شيء. هل أنا خائف من الحقيقة نفسها، أم هل يستيقظ ذلك الخوف لأنني أمتلك معرفة مسبقة حول الحقيقة، المعرفة التي هي الكلمة، الرمز، الصورة؟ كيف يمكن أن يكون هناك خوف من حقيقة؟ حين أواجه الحقيقة، وأكون في اتصال مباشر معها، أستطيع النظر إليها، وألاحظها؛ بالتالي، لا يوجد خوف من الحقيقة، أو من ما يمكن أن تكون عليه أو تفعله.

إن رأيي، وفكرتي، وتجربتي، ومعرفتي عن الحقيقة، هم من يسبّب الخوف. طالما أن هناك تعبيراً عن الحقيقة، يمنح اسماً لتلك الحقيقة، ومن ثمَّ يحددها أو يشجبها، طالما أن الفكر يحكم على الحقيقة كملاحظ، يجب أن يكون هناك خوف. إن الفكر هو نتاج الماضي، ولا يمكن أن يوجد إلا عبر التعبير اللفظي، والرموز، والصور؛ وهكذا طالما أن الفكر ينظر في الحقيقة أو يترجمها، يجب أن يكون هناك خوف.

وهكذا إن الذهن هو الذي يولّد الخوف، الذهن الذي هو سيرورة التفكير.فالتفكير تعبير لفظي. وأنتَ لا تستطيع التفكير من دون كلمات، ومن دون رموز وصور؛ وهذه الصور، التي هي المسبّقات، والمعرفة المسبقة، وإدراكات العقل، مسلّطة على الحقيقة، ومن هذا يبزغ الخوف. لا يمكن التحرر من الخوف إلا حين يقدر الذهن على النظر إلى الحقيقة من دون أن يترجمها، من دون أن يسمّيها أو يمنحها لقباً. هذا في غاية الصعوبة، لأن المشاعر، وردود الفعل، وحالات القلق التي نملكها، يتم تحديدها بشكل

عاجل من قبل الذهن وتُمنح كلمة. وتحدد هذه الشعور بالغيرة. هل من الممكن ألا نعرّف شعوراً، أن ننظر إلى ذلك الشعور دون أن نسمّيه؟ إن تسمية الشعور هي التي تمنحه استمرارية، وتمدّه بالقوة. وفي اللحظة التي تمنح فيها اسماً لذلك الذي تسمّيه الخوف، تمدّه بالقوة؛ ولكن إذا استطعت النظر إلى ذلك الشعور من دون تسميته، سترى أنه يتلاشى. من ثمّ إذا كان المرء متحرّراً من الخوف من الجوهري فهم سيرورة التسمية كلها، سيرورة استخدام الرموز، والصور، ومنح أسماء للحقائق. لا يمكن أن نتحرّر من الخوف إلا حين نمتلك معرفة للذات. فمعرفة الذات هي بداية الحكمة، التي هي نهاية الخوف.

12 . الضجر والاهتمام

سؤال: أنا غير مهتم بأي شيء، ولكن معظم الناس مشغولون بأمور كثيرة. لست مضطراً للعمل، وهكذا لا أعمل. هل يجب أن أقوم ببعض العمل المفيد؟

كريشنامورتي: تريد أن تصبح عاملاً اجتماعياً أو عاملاً سياسياً أو عاملاً دينياً، أليس كذلك؟ لأنه ليس لديك شيء آخر تقوم به، من ثمّ تريد أن تصبح مصلحاً! إذا لم يكن لديك شيء تقوم به، إذا كنت ضجراً، لماذا لا تكون ضجراً؟ لماذا لا تكون هكذا؟ إذا كنت تشعر بالأسى، ابق هكذا. لا تحاول العثور على مخرج من هذا لأن كونك ضجراً يمتلك أهمية كبيرة، إذا استطعت فهم هذا، والعيش معه. إذا قلت: " أنا ضجر، بالتالي سأفعل شيئاً ما"، فأنت تحاول الهرب من الضجر فقط، وبما أن أنشطتنا كلّها حالات هرب، فإنك تلحقُ أذى أكبر على المستوى الاجتماعي وبكل الطرق الأخرى. يحدثُ هذا الأذى حين تهرب أكثر مما يحدث حين تكون ما أنت عليه وتبقى هكذا. إن الصعوبة هي كيف نبقى معه ولا نهرب؛ وبما أن أنشطتنا كلّها سيرورة هرب من الصعب جداً بالنسبة إليك أن تتوقف عن الهرب وتواجهه. بالتالي، سيسعدني حقاً أن أكون ضجراً وأقول: " توقّفوا. لنبق هنا، لننظرْ في الأمر. لماذا نحن مضطرون للقيام بأي شيء آخر؟"

إذا كنت ضجراً، لماذا أنت ضجر؟ ما هو الشيء الذي يُدعى الضجر؟ لماذا لست مهتماً بأي شيء؟ يجب أن يكون هناك أسباب جعلتك بليداً: المعاناة، حالات الهرب، المعتقدات، النشاط الذي لا يتوقف،كل هذا يبلّد العقل ويحجّر القلب. إذا كان بوسعك اكتشاف لماذا أنت ضجر، لماذا لا يوجد اهتمام، عندها أكيدٌ أنك ستحلّ المشكلة، أليس كذلك؟ عندها

سيعمل الاهتمام الموقظ. إذا لم تكن مهتماً بسبب ضجرك، لا تستطيع أن تُجبر نفسك على أن تهتم بنشاط، لمجرد أن تفعل شيئاً، كمثل سنجاب يدور في قفص. أعرف أن هذا نوع النشاط الذي ينغمس فيه معظمنا. ولكننا نستطيع أن نكتشف داخلياً، ونفسياً، لماذا نحن في هذه الحالة من الضجر الكامل؛ نستطيع أن نرى لماذا معظمنا في هذه الحالة: لقد استنفدنا أنفسنا عاطفياً وذهنياً؛ وجرّبنا أموراً كثيرة، وإحساسات كثيرة، وتسليات كثيرة، وتجارب كثيرة، بحيث أصبحنا بليدين، ومنهكين. ننضم إلى جماعة ما، ونفعل كل ما يُطلب منا ثم نغادرها؛ ثم ننتقل إلى شيء آخر ونجرب ذلك. إذا فشلنا مع عالم نفس ننتقل إلى آخر أو إلى قسّ؛ وإذا فشلنا، ننتقل إلى معلّم آخر،وهلمّجرّا؛ نواصل الذهاب دوماً. إن تجربة التنقّل المستمرة هذه منهكة، أليس كذلك؟ فهي كمثل الإحساسات كلّها، تبلّد العقل على الفور.

لقد فعلنا ذلك، انتقلنا من إحساس إلى آخر، من إثارة إلى أخرى، إلى أن وصلنا إلى نقطة استُنفدنا فيها حقاً. وبعد أن تصبح مدركاً لذلك، توقّفْ عن التقدّم؛ استرحْ. كن هادئاً. دع الذهن يستجمع القوة بنفسه؛ لا تُكرهه على ذلك. وكما تجدّد التربة نفسها أثناء الشتاء، هكذا، حين يُسمح للذهن أن يكون هادئاً، فإنه يجدّد نفسه. ولكن من الصعب جداً السماح للذهن بأن يكون هادئاً، أن يرقد هاجعاً بعد كل هذا، ذلك أنه يريد أن يفعل شيئاً ما طول الوقت. حين تصل إلى تلك النقطة حيث تسمح لنفسك أن تكون كما أنت ـ ضجراً، ودميماً، وكريهاً، أو أي شيء آخر ـ حينئذ هناك إمكانية للتعامل معها.

ما الذي يحدث حين تقبل شيئاً ما، حين تقبل ما أنت عليه؟ حين تقبل أنك ما أنت عليه، أين المشكلة؟ لا توجد مشكلة إلا حين لا نقبل شيئاً كما هو ونرغب بتحويله، وهذا لا يعني أنني أناصر القناعة؛ بل على العكس تماماً، إذا قبلنا ما نحن عليه، نكتشف أن الشيء الذي مقتناه، الشيء الذي دعوناه الضجر، الشيء الذي دعوناه اليأس، الشيء الذي

دعوناه الخوف، خضع لتغيّر كامل. يحدث تحوّلٌ كامل للشيء الذي نخاف منه. لهذا من الضروري، كما قلت، أن نفهم السيرورة، وطرق تفكيرنا الخاصة. لا يمكن الوصول إلى معرفة الذات عبر أي شخص آخر، وعبر أي كتاب، وأي اعتراف، وأي علم نفس، أو محلل نفسي. يجب أن تصل إليها بنفسك، لأنها حياتك؛ فمن دون توسيع وتعميق معرفة الذات، افعل ما تشاء، بدّل أية ظروف داخلية أو خارجية أو تأثيرات، فإنّها ستكون دوماً أرضاً مولّدة لليأس والألم والأسى. ولكي تتجاوز الأنشطة المحاصرة للذهن، يجب أن تفهمها؛ ولكي تفهمها ينبغي أن تعي الفعل في علاقة، علاقة مع الأشياء، مع الناس والأفكار. في تلك العلاقة، التي هي مرآة، نبدأ برؤية أنفسنا، من دون أي تبرير أو شجب؛ ومن تلك المعرفة الأوسع والأعمق لأنفسنا، من الممكن أن ننطلق؛ من الممكن للذهن أن يكون هادئاً، وأن يتلقى ما هو حقيقي.

13. الكراهية

سؤال: إذا كنت شريفاً، عليّ أن أعترف أنني أستاء، وأحياناً أكره الجميع، تقريباً. هذا يجعل حياتي شقية ومؤلمة. أفهم فكرياً أنني أنا هذا الاستياء، هذه الكراهية؛ ولكنني لا أستطيع التغلب عليها. هل تستطيع أن تدلني على الطريق؟

كريشنامورتي: ماذا نعني بـ "فكرياً"؟ حين نقول إننا نفهم شيئاً ما فكرياً، ما الذي نعنيه بهذا؟ هل هناك شيء كمثل الفهم الفكري؟ أم هل أن الذهن يقوم بفهم الكلمات فحسب، لأن هذه طريقتنا الوحيدة للتواصل مع بعضنا بعضاً؟ هل نستطيع أن نفهم حقاً أي شيء لفظياً أو ذهنياً؟ هذا هو الشيء الأول الذي يجب أن نكون واضحين حياله: إن كان ما يُسمى بالفهم الفكري ليس عائقاً أمام الفهم. هل الفهم متكامل، لا ينفصل، غير جزئي؟ إما أن أفهم شيئاً ما وإما ألا أفهمه. حين تقول لنفسك: " أفهم شيئاً ما فكرياً"، أكيد أن هذا يشكل حاجزاً أمام الفهم. إنه سيرورة جزئية وبالتالي ليس فهماً مطلقاً.

إن السؤال هو التالي: " كيف لي، أنا المستاء والكاره، أن أتحرر من هذه المشكلة أو أن أتعامل معها؟" كيف نتغلب على مشكلة؟ ما هي المشكلة؟ أكيد أن المشكلة شيء مزعج.

أنا مستاء، أنا أكره الناس وهذا يسبب الألم. وأنا واع لهذا؟ ما الذي يجب أن أفعله؟ إنه عامل مزعج جداً في حياتي. ما الذي عليّ أن أفعله، كيف أتحرر منه، ليس مؤقتاً فحسب، وإنما بشكل جوهري وكامل؟ كيف أفعل هذا؟

إنه مشكلة بالنسبة لي لأنه يضايقني. لو لم يكن شيئاً مزعجاً، لما كان مشكلة بالنسبة لي، أليس كذلك؟ ولأنه يسبب الألم، والضيق، والقلق،

ولأنني أعتقد أنه دميم، أريد أن أتخلص منه. بالتالي، إن الشيء الذي أعارضه هو الإزعاج، أليس كذلك؟ أمنحه أسماء مختلفة في أوقات مختلفة، في أمزجة مختلفة؛ أدعوه في أحد الأيام كذا وفي يوم آخر أدعوه شيئاً آخر ولكن الرغبة، جوهرياً، هي ألا أشعر بالإزعاج. أليس كذلك؟ لأن المتعة هي عدم الإزعاج، على الأقل، ليس الآن، ولكن الكراهية والاستياء عاملان مزعجان جداً في حياتي وأريد التخلص منهما.

أريد أن أتفادى الإزعاج وأحاول أن أعثر على طريقة لا أتلقى بها إزعاجاً أبداً. لماذا يجب ألا أتضايق؟ يجب أن أتلقى الإزعاج، كي أكتشف، أليس كذلك؟ يجب أن أمر في مصائب كبيرة وفوضى وقلق كي أكتشف، أليس كذلك؟ إذا لم أتضايق سأبقى نائماً وربما هذا ما يريده معظمنا، يريدون أن تتم تهدئتهم، كي يخلدوا إلى النوم، ويتخلّصوا من أي إزعاج، ويعثروا على العزلة، والملاذ، والأمن. إذا كان لا يهمني الإزعاج - على نحو حقيقي وليس على نحو سطحي - إذا لم أتضايق من الإزعاج، لأنني أريد أن أكتشف، حينها يطرأ تغيير على موقفي من الكراهية والاستياء، أليس كذلك؟ إذا كان لا يهمني أن أنزعج، حينئذ يكون الاسم مهمّاً، أليس كذلك؟ إن كلمة "كراهية" غير مهمّة، أليس كذلك؟ أو "الاستياء" من الناس ليس مهمّاً، أليس كذلك؟ لأنني أجرب عندها الحالة التي أدعوها الاستياء من دون التعبير اللفظي عن تلك التجربة.

إن الغضب صفة مزعجة جداً، كما هي الكراهية والاستياء؛ وقلة منا تجرّب الغضب مباشرة من دون تعبير لفظي عنه. إذا لم نعبر عنه لفظياً، إذا لم ندعوه غضباً، يكون هناك تجربة مختلفة، أليس كذلك؟ ولأننا نسمّيه، نختزل تجربة جديدة، أو نعرّفها بمصطلحات ما هو قديم، بينما، إذا لم نسمّيها، نكتسبُ تجربة تُفهم بشكل مباشر ويُحدث هذا الفهم تحوّلاً في تلك التجربة.

خذوا على سبيل المثال، البخل. حين نكون بخلاء فإن معظمنا لا يعي ذلك. حين نكون بخلاء في المسائل المالية، وفي الصفح عن الناس، نكون بخلاء فحسب. أنا متأكد من أننا نعرف هذا. والآن، كوننا واعين له، كيف نتحرر من

تلك الصفة؟ ليس بأن نصبح كرماء، ليست هذه هي النقطة الجوهرية، بل أن نتحرر من البخل وهذا يتضمن الكرم، وأنتم لم تصبحوا كرماء. يجب أن يكون المرء واعياً لهذا بوضوح. ربما أنتم كرماء جداً في منح تبرعات كبيرة لمجتمعكم، وأصدقائكم لكنكم بخلاء بصورة كريهة وتمتنعون عن منح بقشيش أكبر، أنتم تفهمون ما أعنيه بكلمة "بخلاء". لا يعي المرء هذا. حين يصبح المرء واعياً له، ما الذي يحدث؟ نبذل جهدنا كي نكون كرماء؛ نحاول التغلب عليه؛ وننظّم أنفسنا كي نكون كرماء وهلمّجرّا. ولكن، في النهاية، إن ممارسة الإرادة لكي نكون شيئاً، ما يزال جزءاً من بخل دائرة أكبر، وهكذا إذا لم نفعل أيّاً من تلك الأمور وكنّا واعين للمعاني الضمنية للبخل فحسب، من دون أن نمنحها اسماً، سَيُحْدِثُ هذا تحوّلاً جذرياً.

جَرِّبْ هذا من فضلك. أولاً، يجب أن ينزعج المرء، ومن الواضح أن معظمنا لا يحبّون أن ينزعجوا. نعتقد أننا عثرنا على نمط حياة المعلّم، الإيمان، وكل ما هو متوفّر، وفيه نستقر. وهذا يشبه الحصول على وظيفة بيروقراطية جيدة والاستمرار فيها بقية حياتك. وبهذه العقلية نفسها نقارب المواصفات المختلفة لذلك الذي نريد التخلص منه. لا نرى أهمية التعرّض للإزعاج، وعدم الإحساس بالأمن الداخلي، وعدم الاستقلالية. أكيد أنه في اللاأمان فحسب تكتشفون، وترون، وتفهمون. نريدُ أن نكون أشخاصاً معهم الكثير من النقود، ومرتاحين؛ لا ينزعجون؛ ولا يريدون أن ينزعجوا.

إن الإزعاج جوهري للفهم، وأية محاولة للعثور على الأمن عائق أمام الفهم. حين نريد التخلص من شيء مزعج، نكون متأكدين من أنه يسبّب إزعاجاً. إذا استطعنا الوصول إلى شعور على نحو مباشر، ومن دون تسميته، أظنُّ أننا سنعثر على كمية كبيرة فيه؛ حينئذ ستتوقف المعركة معه، لأن المجرِّب والمجرَّب واحد، وهذا جوهري. وطالما أن المجرِّب يعبّر عن الشعور، وعن التجربة، ويقوم بفصل نفسه عنها ويعمل عليها؛ فإن فعلاً كهذا سطحي، ووهميّ. ولكن إذا لم يكن هناك تعبير لفظي، يكون المجرِّب والشيء المجرَّب واحداً. إنّ هذا التكامل ضروري ويجب أن يُواجه بشكل جذري.

14. الثرثرة

سؤال: تمتلك الثرثرة قيمة في الكشف عن الذات، وخاصة في كشف الآخرين لي. لماذا لا نستخدم الثرثرة كوسيلة لاكتشاف ما هو موجود؟ لا أرتجف من كلمة "ثرثرة" فقط لأنها شُجبت طوال عصور؟

كريشنامورتي: أتساءل لماذا نثرثر؟ ليس لأن هذا يكشف الآخرين لنا. ولماذا يجب أن يُكشف الآخرون لنا؟ لماذا تريد أن تعرف الآخرين؟ لماذا هذا الاهتمام الفائق للعادة بالآخرين؟ أولاً، لماذا نثرثر؟ إنه نوع من القلق، أليس كذلك؟ كالإزعاج، إنه مؤشر على ذهن قلق. لماذا هذه الرغبة للتدخل في شؤون الآخرين، لمعرفة ما يفعله أو يقوله الآخرون؟ إن الذهن الذي يثرثر سطحي جداً، أليس كذلك؟ إنه ذهنٌ مُسْتَقْصٍ انحرف عن طريقه الصحيح. يبدو أن السائل يعتقد أن الآخرين ينكشفونً له عبر كونه مهتماً بهم وبأفعالهم وأفكارهم وآرائهم. ولكن هل نعرف الآخرين إذا لم نعرف أنفسنا؟ هل نستطيع الحكم على الآخرين، إذا لم نعرف طريقة تفكيرنا، وطريقة فعلنا، وطريقة تصرفنا؟ لماذا هذا الاهتمام الفائق للعادة بالآخرين؟ أليست هذه الرغبة لاكتشاف ما الذي يفكر به الآخرون ويشعرون به ويثرثرون حوله هرباً؟ ألا تقدم مهرباً من أنفسنا؟ أليس فيها أيضاً رغبة بالتدخل في حيوات الآخرين؟ أليست حياتنا صعبة بما يكفي، ومعقدة بما يكفي، ومؤلمة بما يكفي، من دون التعامل مع آخرين بتلك الطريقة القائمة على الثرثرة، والقاسية والسيئة؟ لماذا نفعل هذا؟ تعرفون، الجميع يفعلون هذا. إن الجميع يثرثرون عملياً عن شخص ما. لماذا؟

أعتقد، أولاً، أننا نثرثر حول الآخرين لأننا غير مهتمين على نحو كاف بسيرورة تفكيرنا الخاصة وعملنا الخاص. نريد أن نرى ما يفعله الآخرون وربما، إذا عبّرنا عن الأمر بلطف، أن نحاكي الآخرين. حين نثرثر يكون هذا لشجب الآخرين، ولكن إذا وسّعنا هذا، نثرثر ربما

لنحاكي الآخرين. لماذا نريد محاكاة الآخرين؟ ألا يشير كل هذا إلى ضحالتنا؟ أليس ذهناً في غاية البلادة ذاك الذي يريد الإثارة ويخرج من نفسه للحصول عليها. بتعبير آخر، إن الثرثرة شكل من أشكال الإحساس، أليس كذلك؟ ننغمس فيه. ويمكن أن تكون نوعاً مختلفاً من الإحساس، ولكن هناك دوماً تلك الرغبة للعثور على الإثارة والإلهاء. إذا عالج المرء هذا السؤال بشكل عميق، يعود إلى نفسه، مما يظهر أن المرء ضحل بشكل فائق للعادة وينشد الإثارة من الخارج عبر التحدث عن الآخرين. اقبضْ على نفسك متلبّساً في المرة التالية التي تثرثر فيها عن شخص ما؛ إذا كنت واعياً للأمر، سيشير هذا إلى صورة كريهة عن نفسك. لا تخفيها بالقول إنك مجرد مُسْتَقْصٍ عن الآخرين. يشير هذا إلى القلق، وإلى الافتقار إلى اهتمام حقيقي وعميقٍ بالناس لا يتعلّق بالثرثرة.

إن السؤال التالي هو: كيف نوقف الثرثرة؟ أليس كذلك؟ حين تكون واعياً أنك تثرثر، كيف توقف الثرثرة؟ إذا صارت الثرثرة عادة، شيئاً كريهاً يتواصل يوماً بعد يوم، كيف توقفه؟ هل ينشأ هذا السؤال حين تعرف أنك تثرثر، حين تعي أنك تثرثر؟ هل تقول عندئذ لنفسك: "كيف أوقف هذا؟" ألا يتوقف بنفسه، في اللحظة التي تكون فيها واعياً بأنك تثرثر؟ لا تنشأ "كيف" مطلقاً إلا حين تكون غير واعٍ؛ وتشير الثرثرة إلى الافتقار إلى الوعي. جَرِّبْ هذا بنفسك في المرة الثانية التي تثرثر فيها، وستكتشف كيف تتوقف على الفور عن الثرثرة حين تكون واعياً لما تتحدث عنه، واعياً أن لسانك يجري معك. لا يتطلب هذا فعل الإرادة كي يوقفه. كل ما هو ضروري هو أن تكون واعياً لما تقوله وأن ترى المعاني الضمنية له. لستَ مضطراً إلى شجب الثرثرة أو تبريرها. كن واعياً للثرثرة وستكتشف كيف تتوقّف بسرعة عنها؛ لأنها تكشف للمرء طرقه في العمل وسلوكه ونمط تفكيره؛ وفي سيرورة الكشف هذه، يفهم المرء ذاته، وهذا أمر أكثر أهمية من الثرثرة عن الآخرين، وما يفعلونه، وما يفكرون به، وكيف يتصرفون.

إن معظم الذين يقرأون الصحف اليومية يُتْخَمون بالثرثرة، الثرثرة العالمية. كلُّ هذا هربٌ من أنفسنا، ومن تفاهتنا، ومن دمامتنا. نعتقد أنه عبر اهتمام سطحي بأحداث العالم نصبح أكثر حكمة، أكثر قدرة على التعامل مع حيواتنا. أكيدٌ أن كلّ هذه طرق للهرب من أنفسنا. نحاول ملء الفراغ الذي فينا بالمعرفة، وبالطقوس، وباجتماعات، وبالطرق التي لا تُحصى للهرب، وهكذا تصبح حالات الهرب كلها مهمّة، وليس فهم ما هو موجود. إن فهم ما هو موجود يتطلب الانتباه؛ لنعرف أن هذا الشخص فارغ، هذا الشخص متألم، يحتاج إلى انتباه كبير وليس إلى حالات هرب، ولكن معظمنا يحبون حالات الهرب، لأنها أكثر إمتاعاً، وأكثر ظرافة. حين نعرف أنفسنا كما نحن، من الصعب جداً التعامل مع أنفسنا؛ هذه إحدى المشكلات التي تواجهنا. لا نعرف ماذا نفعل. حين أعرف أنني فارغ، وأعاني، وأتألم، لا أعرف ماذا أفعل، كيف أتعامل معها. وهكذا يلجأ المرء إلى أنواع الهروب كافّةً.

السؤال هو: ماذا نفعل؟ لا يستطيع المرء أن يهرب على ما يبدو؛ لأن هذا عبثيٌّ وسخيفٌ. ولكن حين تواجهك نفسك كما أنت، ماذا تفعل؟ أولاً، من الممكن أن تنكرها أو تبررها ولكن لكي تبقى معها فقط، كما أنت؟ هذا مرهقٌ جداً، لأن الذهن ينشد الشرح، والشجب، والتماهي. إذا لم يفعل أياً من هذه الأمور الثلاثة ويبقى معها، فإن هذا مثل قبول شيء ما. إذا قبلتُ أنني أسمر، هذه نهاية الأمر؛ ولكن إذا كنتُ راغباً بتغيير لوني إلى اللون الأبيض، فهنا تنشأ المشكلة. إن قبول ما هو موجود أكثر صعوبة، ولا يستطيع المرء أن يفعل ذلك إلا حين لا يكون هناك مهرب أو شجب أو تبرير هو نوع من الهرب. بالتالي حين يفهم المرء لماذا يثرثر، وحين يدرك عبث الأمر، وقسوته وكل ما هو متضمن فيه، فإنه حينئذ يُترك مع ما هو عليه؛ ونقاربه دوماً إما كي ندمره وإما كي نغيّره إلى شيء آخر. إذا لم نفعل أياً من هذين الأمرين ونقاربه بقصد فهمه، ونكون معه بشكل كامل، سنكتشف أنه لم يعد الشيء الذي مقتناه. حينها تكون هناك إمكانية لتحويل ما هو موجود.

15. النقد

سؤال: ما موقع النقد في العلاقة؟ ما الفرق بين النقد الهدّام والنقد البنّاء؟

كريشنامورتي: أولاً، لماذا ننقد؟ هل من أجل أن نفهم؟ أم من أجل التذمّر؟ إذا انتقدتك، هل أفهمك؟ هل يأتي الفهم عبر الحكم؟ إذا أردت أن أستوعب، أن أفهم المعنى الكامل لعلاقتي معك، لا سطحياً بل على نحو عميق، هل أبدأ بنقدك؟ أم هل أنا واعٍ لتلك العلاقة بينك وبيني، أرصدها بصمت دون أن أسقط آرائي، وانتقاداتي، وأحكامي، وحالات التماهي أو الشجب لديّ، أرصد بصمتٍ ما يحدث؟ وإذا لم أنقد، ماذا يحدث؟ يميل المرء إلى الذهاب إلى النوم، أليس كذلك؟ هذا لا يعني أننا نذهب إلى النوم إذا كنا متذمرين. ربما تصبح هذه عادة ونذهب إلى النوم بسببها. هل هناك فهم أعمق وأشمل للعلاقة، عبر النقد؟ لا يهم إن كان النقد بنّاء، أم هدّاماً، لا صلة لهذا بالموضوع. من ثمّ إن السؤال هو: "ما هي الحالة الضرورية للقلب والذهن التي ستفهم العلاقة؟" ما هي سيرورة الفهم؟ كيف نفهم شيئاً ما؟ كيف تفهم طفلك، إذا كنت مهتماً به؟ تراقبه، أليس كذلك؟ تراقبه أثناء اللعب، وتدرسه في أمزجته المختلفة؛ ولا تسقط رأيك عليه. لا تقول إنه يجب أن يكون هذا أو ذاك. أنت تراقب بانتباه، أليس كذلك؟ تكون واعياً. حينئذ، ربما تبدأ بفهم الطفل.إذا نقدتهُ باستمرار، وحقنته باستمرار بشخصيتك الخاصة، وبمواصفاتك، وآرائك، وقررت الطريقة التي يجب أن يتبعها أو لا يتبعها، وهلمّجرًا، فأنت تخلق حاجزاً في تلك العلاقة. لسوء الحظ، ينتقد معظمنا من أجل أن يقولبوا، ويتدخلوا؛ يمنحنا هذا كمية معيّنة من المتعة، وإشباعاً معيّناً، فإذا بنيتُ شيئاً ما كالعلاقة مع زوج، أو طفل أو مع أي شخص آخر، أشعر بالقوة،

أنني الرئيس، وثمة إشباع هائل في هذا. أكيد لا يوجد فهم للعلاقة عبر هذه السيرورة كلها. ثمة إملاء فحسب، رغبة بتشكيل آخر وفق النموذج الخاص لصفتك، ورغبتك وأمنيتك. إن هذا كله يمنع فهم العلاقة، أليس كذلك؟

ثم هناك النقد الذاتي. أن تنتقد نفسك، أن تشجب أو تبرر نفسك. ألا يساعد هذا المرء في فهم ذاته؟ حين أبدأ بنقد نفسي، ألا أحدّ من سيرورة الفهم، والاستكشاف؟ هل الاستبطان، وهو نوع من نقد الذات، يكشف الذات؟ ما الذي يجعل كشف الذات ممكناً؟ أن تكون تحليلياً باستمرار، ومخيفاً وناقداً، أكيدٌ أن هذا لا يساعد على الكشف. إن ما يُحدث كشف الذات، الذي يجعلك تبدأ بالفهم، هو الوعي المستمر لها من دون أي شجب، وأي تماه. يجب أن تكون هناك تلقائية معيّنة؛ لا يمكن أن تكون محللاً لها، ومنظماً لها ومشكّلاً لها باستمرار. إن هذه التلقائية جوهرية للفهم. حين أحدُّ، وأسيطرُ، وأشجبُ فإنني أوقفُ حركة الفكر والشعور، أليس كذلك؟ ليس ما أكتشفه هو حركة الفكر والشعور، التي لا تُكشف عبر مجرد السيطرة. حين يكتشف المرء، من الضروري أن يكتشف كيف يتصرف حيال ذلك. إذا عملتُ وفقاً لفكرة، أو لمعيار، أو لمثال، عندها أجبر الذات على التماهي مع نموذج معيّن. لا يوجد فهم في هذا، لا يوجد تجاوز. إذا كنت أستطيع أن أراقب الذات من دون شجب، ومن دون تماه، حينئذ من الممكن تجاوزها. لهذا إن عملية التماهي مع مثال خاطئة كلياً. إن المُثل آلهة محليّة الصُنع وانسجامك مع صورة مُسْقطة ذاتياً ليس تحرراً.

لا يمكن أن يكون هناك فهم إلا حين يكون الذهن مدركاً بصورة صامتة، ويقوم بالرصد، وهذا متعب، لأننا نستمتع من النشاط، ومن كوننا قلقين، وناقدين، ومن الشجب والتبرير. هذه هي بنية وجودنا كلها؛ وعبر حاجز الأفكار، والمسبّقات، ووجهات النظر، والتجارب، والذكريات، نحاول أن نفهم. هل من الممكن أن نتحرر من هذه الحواجز كلّها ونفهم

بشكل مباشر؟ أكيدٌ أننا نفعل هذا حين تكون المشكلة في غاية التوتر؛ لا نمرُّ عبْرَ كلٍّ هذه الطرق، وإنما نقاربها مباشرة. لا تُفهم العلاقة إلا حين تُفهم سيرورة نقد الذات هذه ويهدأ الذهن. إذا كنت تُصغي إليَّ وتحاول أن تتبعني، ليس بجهد كبير، ما أودُّ إيصاله، هو أن هناك إمكانية لفهم بعضنا بعضاً. ولكن إذا كنت طول الوقت تنتقد، وتعبّر عن آرائك، وما تعلّمته من الكتب، وما قاله لك شخص آخر وهلمّجرّا، حينئذ لا تكون هناك علاقة بيني وبينك، لأن هذا حاجز بيننا. إذا كان كلانا يحاول اكتشاف المسائل، التي تكمن في المشكلة نفسها، إذا كان كلانا متلهّفاً للوصول إلى جوهر المسألة، والعثور على حقيقتها، واكتشاف ما هي، حينئذ نكون في علاقة، ويكون ذهنك متيقظاً وهادئاً، ويراقب كي يرى ما هو الحقيقي في هذا. من ثمَّ، يجب أن يكون ذهنك سريعاً بشكل فائق للعادة، يجب أن لا يرسو في فكرة أو مثال، أو أي حكم، أو رأي قمت بتقويته عبر تجاربك الخاصة. أكيدٌ أن الفهم يأتي حين تكون هناك مرونة سريعة لذهن مدرك بشكل هادئ. عندها يكون قادراً على التلقي وحساساً. لا يكون الذهن حسّاساً حين يكتظُّ بالأفكار والمسبّقات والآراء التي مع أو ضد.

كي نفهم العلاقة، يجب أن يكون هناك وعي هادئ لا يدمر العلاقة. على العكس، يجعلها أكثر حيوية، وأكثر أهمية. عندئذ هناك في تلك العلاقة إمكانية للتعاطف الحقيقي؛ هناك دفء، إحساس بالقرب، الذي ليس مجرد عاطفة أو إحساس. إذا كان بوسعنا أن نقارب، أو نكون في تلك العلاقة مع أي شيء، حينئذ ستُحل مشكلاتنا بسهولة، كمشكلات الملكية، ومشكلات الامتلاك، لأننا ذلك الذي يمتلك. إن الرجل الذي يملك النقود هو النقود. والرجل الذي يتماهى مع الملكية هو الملكية أو المنزل أو الأثاث. وينطبق الأمر نفسه على الأفكار والناس؛ حين يكون هناك نزعة امتلاك، لا توجد علاقة. يملك معظمنا لأنه ليس لدينا شيء آخر إذا لم نملك. نحن أصداف فارغة إذا لم نملك، إذا لم نملأ حياتنا

بالأثاث، والموسيقى، والمعرفة، بهذا أو بذاك. تصدر تلك الصدفة الكثير من الضجة وندعو تلك الضجة الحياة؛ وبهذا نحن راضون. ولكن حين يحدث تمزّق، ويتحطم كلُّ هذا، يولد الأسى، لأنك تكتشف حينئذ نفسك كما أنت: صدفة جوفاء، لا معنى لها. أن تكون واعياً لمحتوى العلاقة كلها فعل، ومن ذلك الفعل تأتي إمكانية العلاقة الحقيقية، وإمكانية اكتشاف عمقها العظيم، وأهميتها العظيمة ومعرفة ما هو الحب.

16. الإيمان والله

سؤال: كان الإيمان بالله حافزاً قوياً من أجل حياة أفضل. لماذا تنكر الله؟ لماذا لا تحاول أن تحيي إيمان الإنسان بفكرة الله؟

كريشنامورتي: لننظر إلى المشكلة بإحاطة وذكاء. أنا لا أنكر الله، سيكون من الحماقة فعل هذا. إن الإنسان الذي لا يعرف الواقع فحسب يتفوّه بكلمات لا معنى لها من هذا القبيل. فالإنسان الذي يقول إنه يعرف، لا يعرف؛ والإنسان الذي يجرّب الواقع من لحظة إلى أخرى لا يمتلك وسائل لإيصال ذلك.

الإيمان إنكار للحقيقة، يعيق الحقيقة؛ أن تؤمنوا بالله هو أن لا تجدوه. لا المؤمن ولا الكافر يعثران على الله؛ لأن الواقع هو المجهول، وإيمانكم أو عدم إيمانكم بالمجهول مجرد إسقاط ذاتي وبالتالي غير حقيقي. أعرف أنكم تؤمنون وأعرف أن لهذا معنى قليلاً في حياتكم. هناك كثيرون يؤمنون؛ ثمة ملايين يؤمنون بالله ويتلقون العزاء من هذا. أولاً، لماذا تؤمنون؟ تؤمنون لأن هذا يمنحكم الإشباع، والعزاء، والأمل، وتقولون إنه يمنح معنى لحياتكم. والواقع أن إيمانكم ليس له إلا أهمية قليلة، لأنكم تؤمنون وتستغلون، تؤمنون بإله كوني وتقتلون بعضكم بعضاً. إن الغنيّ الذي يؤمن بالله؛ يستغلُّ بلا رحمة، ويكدّس النقود، ثم يبني معبداً أو يصبح فاعل خير.

إن الرجال الذين قصفوا هيروشيما بالقنبلة الذرية قالوا إن الله كان معهم؛ والذين طاروا من إنكلترا لكي يدمروا ألمانيا قالوا إن الله يطير معهم. ويتحدّث الطغاة ورؤساء الحكومات والجنرالات والرؤساء كلهم عن الله، ويمتلكون إيماناً هائلاً بالله. هل يقدمون خدمة، هل يصنعون حياة أفضل للإنسان؟ إن الذين قالوا إنهم يؤمنون بالله دمّروا نصف العالم مما دفعه إلى

بؤس كامل. فالتعصب الديني يقسم الناس إلى مؤمنين وكافرين، مما يؤدي إلى حروب دينية. يشير هذا إلى كم أصبحت أذهانكم سياسية بشكل فائق للعادة.

هل الإيمان بالله "حافز قوي من أجل حياة أفضل؟" لماذا تريدون حافزاً من أجل حياة أفضل؟ يجب أن يكون حافزكم بالتأكيد رغبتكم بأن تعيشوا ببساطة ونظافة، أليس كذلك؟ إذا نظرتم إلى حافز، أنتم مهتمون بجعل الحياة ممكنة للجميع، أنت مهتمون فحسب بحافزكم، الذي هو مختلف عن حافزي، سوف نتنازع حول الحافز. إذا عشنا معاً بسعادة ليس لأننا نؤمن بالله بل لأننا كائنات بشرية، عندها سنشارك في جميع وسائل الإنتاج من أجل أن ننتج الأمور للجميع. وبسبب الافتقار للذكاء نقبل فكرة الذكاء الخارق الذي ندعوه "الله"؛ ولكن هذا "الله"، هذا الذكاء الخارق، لن يمنحنا حياة أفضل. ما يقود إلى حياة أفضل هو الذكاء؛ ولا يمكن أن يكون هناك ذكاء إذا كان هناك إيمان، وإذا كان هناك فرز طبقي، إذا كانت وسائل الإنتاج في أيدي قلة، إذا كانت هناك جنسيات معزولة وحكومات ذات سيادة. يشير كل هذا بوضوح إلى غياب الذكاء وغياب الذكاء يمنع تحقّق حياة أفضل، وليس عدم الإيمان بالله.

تؤمنون بطرق مختلفة، ولكن إيمانكم لا يمتلك أساساً من أي نوع. الواقع هو ما أنتم، وما تفعلونه، وما تفكرون به، وإيمانكم بالله مجرد هرب من حياتكم الرتيبة والقاسية والغبية. فضلاً عن ذلك، إن الإيمان يقسم البشر: فهناك الهندوسي، والبوذي، والمسيحي، والشيوعي، والاشتراكي، والرأسمالي، وهلمّجرًا. إن الإيمان، والفكرة، يفرّقان؛ لا يوحّدان الناس أبداً. يمكن أن توحّدوا بعض الناس سوية في مجموعة ولكن هذه المجموعة تعارض مجموعة أخرى. فالأفكار والمعتقدات لا توحّد أبداً؛ على العكس تماماً، إنها تفرّق وتدمر وتفكّك. من ثمَّ، إن إيمانكم بالله ينشر البؤس في العالم على الرغم من أنه منحكم عزاء مؤقتاً، أما في الواقع فإنه

سبّب لكم المزيد من البؤس والدمار في شكل حروب ومجاعات وانقسامات طبقية والفعل الذي لا يرحم للأفراد المنفصلين. وهكذا فإن إيمانكم غير صالح مطلقاً. إذا كنتم فعلاً تؤمنون بالله، لو كانت هذا تجربة حقيقية لكم، فإن ابتسامة ستعلو وجوهكم حينئذ؛ ولن تقضوا على الكائنات البشرية.

والآن، ما هي الحقيقة، ما هو الله؟ ليس الله كلمة، فالكلمة ليست الشيء. لكي تعرفوا ما لا يمكن التعبير عنه، ما ليس من الزمن، يجب أن يكون ذهنكم متحرّراً من الزمن، مما يعني أن الذهن يجب أن يكون متحرّراً من كل تفكير أو أفكار عن الله. ما الذي تعرفونه عن الله، عن الحقيقة؟ في الواقع أنتم لا تعرفون أي شيء عن الحقيقة. كل ماتعرفونه مجرد كلمات، تجارب لآخرين، أو بعض اللحظات من التجربة الغامضة الخاصة بكم. إن هذا ليس الله، ليست هذه هي الحقيقة،هذا ليس خارج حقل الزمن. لكي تعرفوا ذاك الذي يتجاوز الزمن، يجب أن تُفهم سيرورة الزمن، الزمن كتفكير، كصيرورة، وتراكم معرفة. هذه هي الخلفية الكاملة للذهن؛ الذهن الواعي وغير الواعي، الفردي والجمعي، هو خلفية. وهكذا يجب أن يكون الذهن متحررا من المعلوم، مما يعني أنه يجب أن يظلّ صامتاً بشكل كامل، أن لا يُجعل صامتاً. فالذهن الذي يُحقق الصمت كنتيجة، كمحصلة للفعل الإرادي، والممارسة، والنظام، ليس ذهناً صامتاً. إن الذهن الذي يُكْرَه، ويُسيطَر عليه، ويُصاغ، ويُوضع في إطار ويُجعل صامتاً، ليس ذهناً هادئاً. يمكن أن تنجحوا لفترة من الوقت في إجبار الذهن على أن يكون صامتاً بشكل سطحي، ولكن ذهناً كهذا ليس هادئاً. لا يأتي الهدوء إلا حين تفهمون سيرورة التفكير ككل، لأن فهم السيرورة يعني إنهاءها وإنهاء سيرورة التفكير بداية الصمت.

حين يكون الذهن هادئاً، ليس على المستوى الأعلى فقط وإنما جوهرياً، ينكشف المجهول عبر كل من المستويات السطحية والعميقة للوعي. ولكن المجهول ليس شيئاً يُجرّب بالذهن؛ لا يمكن أن يُجرّب سوى الهدوء. إذا

جرّب الذهن أيٍ شيء عدا الهدوء، فإنه يقوم فقط بإسقاط رغباته وذهن كهذا ليس هادئاً؛ وطالما أن الذهن ليس هادئاً، طالما أن التفكير بأي شكل سواء كان واعياً أم غير واعٍ، هو في حركة، لا يمكن أن يكون هناك هدوء. إن الهدوء تحرّرٌ من الماضي، ومن المعرفة، ومن الذاكرة الواعية وغير الواعية؛ وحين يكون الذهن هادئاً بشكل كامل، وغير مستخدم، وحين يكون هناك الهدوء الذي ليس نتاج جهد، حينئذ فحسب ينكشف اللازماني والأبدي. وهذه الحالة ليست حالة تذكّر: ليس هناك كيان يتذكر، ويجرّب.

من ثمَّ، إن الله أو الحقيقة أو ما تشاؤون شيء يأتي إلى الوجود من لحظة إلى أخرى، ويحدث في حالة حرية وتلقائية فقط، ليس حين يكون الذهن منظماً وفق نموذج. ليس الله شيئاً من أشياء الذهن، لا يأتي عبر الإسقاط الذاتي، لا يأتي إلا حيث توجد فضيلة، التي هي الحرية. الفضيلة هي مواجهة حقيقة ما هو موجود ومواجهة الحقيقة حالة سعادة. حين يكون الذهن في منتهى السعادة وهادئاً، من دون أية حركة من حركاته، من دون إسقاط الفكر، الواعي أو غير الواعي، حينئذ يأتي الأبدي إلى الوجود.

17 . الذاكرة

سؤال: قلت إن الذاكرة تجربة غير كاملة. لدي ذاكرة وانطباع حيّ عن أحاديثك السابقة. بأي معنى هي تجربة غير مكتملة؟ من فضلك اشرح لي هذه الفكرة بالتفصيل؟

كريشنامورتي: ما الذي نعنيه بالذاكرة؟ تذهب إلى المدرسة وتمتلئ بالحقائق، بالمعرفة التقنية. إذا كنت مهندساً، تستخدم ذاكرة المعرفة التقنية كي تبني جسراً. هذه ذاكرة وقائعية. هناك أيضاً ذاكرة نفسية. تقول لي شيئاً ساراً أو غير سارّ، وأحتفظ به؛ حين أقابلك في المرة التالية، أقابلك بتلك الذاكرة، ذاكرة ما قلته أو ما لم تقله. ثمة وجهان للذاكرة: النفسي والوقائعي. وهما مترابطان دوماً، ومن ثمّ غير منفصلين بشكل واضح. نعرف أن الذاكرة الوقائعية ضرورية كوسيلة للعيش. ولكن هل الذاكرة النفسية ضرورية؟ ما هو العامل الذي يستبقي الذاكرة النفسية؟ ما الذي يجعل المرء يتذكر الإهانة أو المديح؟ لماذا يحتفظ المرء بذكريات معيّنة ويرفض أخرى؟ يحتفظ المرء على ما يبدو بذكريات سارّة ويتجنب الذكريات غير السارة. إذا رصدت، ستكتشف أن الذكريات المؤلمة تُرمى جانباً بسرعة أكبر من الممتعة. إنّ الذهن ذاكرة، إنه نتاج الماضي على أي مستوى وبأي اسم تدعوه، إنه مؤسّس على الماضي، الذي هو الذاكرة، أي حالة مكيّفة. والآن بالذاكرة نقابل الحياة، ونواجه تحدياً جديداً. إنّ التحدي هو دوماً جديد واستجابتنا دوماً قديمة، لأنها نتاج الماضي. وهكذا فإن التجريب من دون ذاكرة حالة واحدة والتجريب بالذاكرة حالة أخرى. أي هناك تحدٍ، هو دوماً جديد. أواجهه بردّ، بتكييف القديم. ما الذي يحدث؟ أمتصُّ الجديد، لا أفهمه؛ إنّ تجريب الجديد مشروط بالماضي.

بالتالي، ثمة فهم جزئي للجديد، ليس هناك فهم تام أبداً. حين يكون هناك فهم تام لأي شيء فإنه لا يغادر راسب الذاكرة.

حين يكون هناك تحدي، والذي هو دوماً جديد، تواجهه باستجابة القديم. يكيّف الرد القديم الجديد وبالتالي يحرفه، يخصّه بالمحاباة، من ثمّ لا يوجد فهم كامل للجديد وهكذا فإن الجديد يُمتص في القديم وبالتالي يقوّيه. يمكن أن يبدو هذا تجريدياً ولكنه ليس صعباً إذا فهمته بدقة وبانتباه. يتطلب الوضع في العالم في اللحظة الحاضرة مقاربة جديدة، طريقة جديدة في معالجة مشكلة العالم، والتي هي دوماً جديدة. نحن غير قادرين على مقاربة هذا الموقف من جديد لأننا نقاربه بأذهاننا المشروطة بمسبّقات قومية ومحلية وعائلية ودينية. ذلك أنّ تجاربنا السابقة تعمل كحاجز أمام فهم التحدي الجديد، وهكذا نواصل صقل وتقوية الذاكرة وبالتالي لا نفهم الجديد أبداً، لا نواجه التحدي بشكل كامل وتام. حين يكون المرء قادراً على مواجهة التحدي من جديد، من دون الماضي، عندها فقط يستطيع أن يأتي أكله.

يقول السائل: "لديَّ ذاكرة وانطباع حيّ عن أحاديثك السابقة. بأي معنى هي تجربة غير تامة؟" إنّها على ما يبدو تجربة غير مكتملة إذا كانت مجرد انطباع، مجرد ذكرى. إذا فهمتم ما قيل، اكتشفوا حقيقته، وهذه الحقيقة ليست ذكرى. إنّ الحقيقة ليست ذكرى، لأن الحقيقة جديدة دوماً، وتحوّل نفسها باستمرار. لديكم ذكرى عن الحديث السابق. لماذا؟ لأنكم تستخدمون الحديث السابق كدليل، دون أن تفهموه. تريدون الدخول فيه وتحافظون عليه بوعي أو بلا وعي. إذا فهمتم شيئاً، أي إذا رأيتم حقيقة شيء ما على نحو كامل، ستجدون أنه لا توجد ذكرى من أي نوع. إن تربيتنا هي صقل الذاكرة، تقوية الذاكرة. إن ممارساتكم وطقوسكم الدينية، قراءتكم ومعرفتكم، كلها لتقوية الذاكرة. ما الذي نعنيه بهذا؟ لماذا نتمسك بالذاكرة؟ لا أعرف إن كنتم قد لاحظتم هذا، حين يكبر المرء في

السن، ينظر إلى الماضي، إلى متعه، وآلامه، ومسرّاته؛أما إذا كان المرء شاباً، فهو يتطلع إلى المستقبل. لماذا نفعل هذا؟ لماذا صارت الذاكرة أساسية؟ إن السبب الواضح والبسيط هو أننا لا نعرف كيف نعيش بامتلاء في الحاضر. نستخدم الحاضر كوسيلة من أجل المستقبل وبالتالي يفقد أهميته. لا نستطيع العيش في الحاضر لأننا نستخدم الحاضر كمعبر إلى المستقبل. ولأنني سأصبح شيئاً ما، لا يوجد أبداً فهم تام لنفسي، ولكي أفهم نفسي، وما أنا عليه الآن بالضبط، فإنّ هذا لا يتطلب صقل الذاكرة. بل على العكس تماماً، إنّ الذاكرة عائق أمام فهم ما هو موجود. لا أعرف إن لاحظتم أن فكرة جديدة، وشعوراً جديداً، لا يأتيان حين يكون الذهن عالقاً في شبكة الذاكرة. حين يكون هناك فاصل بين فكرتين، بين ذاكرتين، حين يمكن الحفاظ على الفاصل، عندها من الفاصل تأتي حالة جديدة من الوجود والتي لم تعد ذاكرة. لدينا ذكريات، ونصقل الذاكرة كوسيلة للاستمرار. إن "الأنا" و"لي" يصبحان مهمّين جداً طالما يوجد صقل للذاكرة، وبما أن معظمنا مصنوع من "الأنا" و"لي"، فإنّ الذاكرة تلعبُ دوراً أساسياً جداً في حياتنا. إذا لم تكن لديك ذاكرة، فإن ملكيتك، وعائلتك، وأفكارك، لن تكون مهمّة؛ وهكذا لكي تمدّ "الأنا" و"لي" بالقوة، فإنّك تصقل الذاكرة. إذا راقبت، ستجد أن هناك فاصلاً بين فكرتين، بين عاطفتين. في ذلك الفاصل، الذي ليس نتاج الذاكرة، ثمة تحرّر فائقة للعادة من "الأنا" و"لي"، وذلك الفاصل لازماني.

لننظر في المشكلة على نحو مختلف. أكيدٌ أن الذاكرة هي الزمن، أليس كذلك؟ فالذاكرة تخلق الأمس واليوم والغد. وذاكرة الأمس تكيّف اليوم ومن ثمّ تصوغ الغد. هذا يعني أن الماضي يخلق المستقبل عبر الحاضر. ثمة سيرورة زمنية تجري، والتي هي إرادة الصيرورة. إنّ الذاكرة هي الزمن، وعبر الزمن نأمل تحقيق نتيجة. فأنا اليوم موظّف، ومفترضاً الزمن والفرصة، سأصبح المدير أو المالك. بالتالي يجب أن أمتلك الوقت،

وبالذهنية نفسها أقول: "سأصل إلى الحقيقة، سأصل إلى الله". من ثمَّ يجب أن أمتلك الوقت كي أحقق شيئاً ما، مما يعني أنني يجب أن أصقل الذاكرة، وأقوّيها بالممارسة، بالنظام، لكي أكون شيئاً ما، لكي أنجز، لكي أكسب، مما يعني الاستمرار في الزمن. ونأمل عبر الزمن أن ننجز اللازماني، وأن نكسب الأبدي. هل تستطيعون فعل ذلك؟ هل تستطيعون اصطياد الأبدي في شبكة الزمن، عبر الذاكرة، والتي هي من الزمن؟ لا يمكن أن يوجد اللازماني إلا حين تتوقف الذاكرة التي هي "الأنا" و"لي". إذا رأيتم حقيقة هذا الأمر ـ أنه لا يمكن أن يُفهم اللازماني ويتم تلقّيه عبر الزمن ـ حينئذ نستطيع الدخول في مشكلة الذاكرة. إن ذاكرة الأمور التقنية ضرورية؛ لكن الذاكرة النفسية التي تحافظ على الذات، "الأنا" و"لي"، التي تمنح التماهي واستمرارية الذات، عائق أمام الحياة والحقيقة. حين يكتشف المرء حقيقة ذلك، يسقط الزيف؛ بالتالي لا يوجد احتفاظ نفسيٌّ بذاكرة الأمس.

ترى غروباً جميلاً، وشجرة جميلة في حقل حين تنظر إليهما للمرة الأولى، تستمتع بهما بشكل كامل وتام؛ ولكنك تعود إليهما برغبة الاستمتاع بهما مرة ثانية. ما الذي يحدث حين تعود راغباً بالاستمتاع بهما؟ لا توجد متعة، لأن ذكرى غروب الأمس تسبّب عودتك الآن، وتدفعك وتحثّك على الاستمتاع. في الأمس لم تكن هناك ذكرى، لم يكن هناك سوى تذوق تلقائي، واستجابة مباشرة؛ أما اليوم فأنت ترغب باستعادة تجربة الأمس. هذا يعني أن الذاكرة تتدخل بينك وبين الغروب، من ثمَّ لا توجد متعة، لا يوجد غنى، واكتمال للجمال. مرة أخرى، لديك صديق، قال لك شيئاً ما أمس، سبّب لك إهانة أو مدحك وأنت تحتفظ بتلك الذكرى؛ وبتلك الذكرى تقابل صديقك اليوم. وأنت لا تقابل صديقك في الواقع وإنما تحمل معك ذكرى الأمس، التي تتدخل. وهكذا نستمر، محيطين أنفسنا وأفعالنا بالذاكرة، من ثمَّ ليس هناك جدة، ليس هناك

شيء جديد. لهذا تجعل الذاكرة الحياة منهكة، بليدة وفارغة. نعيش في خصام مع بعضنا البعض لأن "الأنا" و"لي" يكتسبان القوة عبر الذاكرة. تأتي الذاكرة إلى الحياة عبر الفعل في الحاضر؛ نمنح الحياة للذاكرة عبر الحاضر ولكن حين لا نمنح الحياة للذاكرة، تتلاشى. إن ذاكرة الحقائق، الأمور التقنية، ضرورة جليّة، ولكن الذاكرة كراسب نفسي تعرقل فهم الحياة، والمشاركة.

18. الاستسلام لما هو موجود

سؤال: ما الفرق بين الاستسلام لمشيئة الله وما تقوله عن قبول ما هو موجود؟

كريشنامورتي: أكيد أن هناك فرقاً كبيراً، أليس كذلك؟ إن الاستسلام لمشيئة الله تتضمن أنك تعرف إرادته.فأنت لا تستسلم لشيء تجهله. إذا عرفت الحقيقة، لا تستطيع الاستسلام لها؛ تتوقف عن الوجود؛ لا يوجد استسلام للإرادة العليا. إذا كنت تستسلم للإرادة العليا فإن الإرادة العليا هي إسقاط لنفسك، لأن الحقيقي لا يمكن أن يُعرف عبر المعلوم. فهو لا يأتي إلى الوجود إلا حين يتوقف المعلوم عن الوجود. فالذهن هو الذي أبدع المعلوم، لأن التفكير هو نتيجة المعلوم، الماضي، ولا يستطيع الفكر أن يبدع إلا ما يعرفه؛ بالتالي ما يعرفه ليس الأبدي. لهذا، حين تستسلم لإرادة الله، فأنت تستسلم لإسقاطاتك نفسها؛ يمكن أن يكون هذا مُشْبعاً،ومريحاً ولكنه ليس الحقيقي.

لكي تفهم ما هو موجود يتطلب هذا سيرورة مختلفة. وربما كانت كلمة "سيرورة" ليست الكلمة الملائمة، فما أعنيه هو هذا: إنّ فهم ما هو موجود أصعب بكثير، لأنه يتطلب ذكاء أكبر، ووعياً أكبر، ورفض الاستسلام لفكرة. إنّ فهم ما هو موجود لا يتطلب جهداً؛ الجهد إلهاء. إذا أردتَ أن تفهم شيئاً ما، أن تفهم ما هو موجود لا يمكن أن يتم إلهاؤك، أليس كذلك؟ إذا أردتُ أن أفهم ما تقوله، لا أستطيع الإصغاء إلى الموسيقى، إلى ضجيج الناس في الخارج، يجب أن أمنح انتباهي الكامل لكلماتك.. وهكذا من الصعب والمجهد بشكل فائق للعادة أن نكون واعين لما هو موجود، لأن تفكيرنا صار إلهاء. لا نريد أن نفهم ما هو موجود. ننظر إلى ما هو موجود عبر مشهد المسبّق، الشجب أو التماهي، ومن الصعب جداً أن نزيل هذه المشاهد وننظر إلى ماهو موجود. أكيدٌ أن ما هو موجود هو الحقيقة، وكل ما

عداه هرب، وليس حقيقة. لفهم ما هو موجود، يجب أن يتوقف صراع الثنائية، لأن الاستجابة السلبية لأن تصبح شيئاً ما غير ما هو موجود هو إنكار لفهم ما هو موجود. إذا أردت أن أفهم الغرور، يجب ألا أذهب إلى النقيض، يجب ألا يلهيني جهد أن أصير أو جهد محاولة فهم ما هو موجود. إذا كنت مغروراً، ما الذي يحدث؟ إذا لم أسمٍ الغرور، يتوقّف؛ مما يعني أنه في المشكلة نفسها يكمن الجواب وليس بعيداً عنها.

ليست المسألة مسألة قبول ما هو موجود؛ لا تقبل ما هو موجود، لا تقبل أنك أسمر أو أبيض لأن هذه حقيقة؛ فقط حين تحاول أن تصير شيئاً آخر عليك أن تقبله. في اللحظة التي تتعرف فيها على حقيقة تتوقف عن امتلاك أية أهمية؛ ولكنّ ذهناً مدرّباً على التفكير بالماضي أو بالمستقبل، مدرّباً على الهرب في جهات متعددة، غير قادر على فهم ما هو موجود. ومن دون فهم ما هو موجود لا تستطيع العثور على ما هو حقيقي، ومن دون هذا الفهم لا معنى للحياة، فالحياة معركة مستمرة يتواصل فيها الألم والمعاناة. ولا يمكن أن يُفهم الحقيقي إلا عبر فهم ما هو موجود. ولا يمكن أن يُفهم إن كان هناك أي شجب أو تماه.فالذهن الذي يشجب أو يتماهى دوماً لا يستطيع أن يفهم؛ لا يمكن أن يفهم إلا الذي يعلق في داخله. إن فهم ما هو موجود، ووعي ما هو موجود؛ يكشفان أعماقاً فائقة للعادة، توجد فيها الحقيقة، والسعادة والمتعة.

19. الصلاة والتأمل

سؤال: أليس التوق الذي يُعبّر عنه في الصلاة طريق إلى الله؟

كريشنامورتي: أولاً، سنفحص المشكلات التي ينطوي عليها هذا السؤال. إنه ينطوي على الصلاة والتركيز والتأمل. والآن ما الذي نعنيه بالصلاة؟ أولاً، في الصلاة توسّل، وتضرع لما تسمّيه الله، والحقيقة. فأنتَ كفرد تتطلّب وتتضرع وتتوسّل وتنشد التوجيه من شيء تدعوه الله؛ بالتالي، إن مقاربتك مقاربة شخص ينشد مكافأة، قومية أو فردية، وتصلي من أجل التوجيه؛ أو أنت مشوّش وتتوسل من أجل الوضوح، تبحث عن مساعدة ما تدعوه بالله. ما هو متضمن في هذا هو أن الله، مهما كان ـ لن نناقش هذا الآن ـ سينهي التشوش الذي سببته أنا وأنت. ذلك أن من سبّب التشوش والبؤس والفوضى والطغيان المريع والافتقار للحب هو نحن، ونريد ما ندعوه بالله أن ينهيه. بتعبير آخر، نريد أن ينتهي تشوّشنا وبؤسنا وحزننا وصراعنا وأن ينهيه شخص آخر، ونتوسّل لآخر لكي ينوّرنا ويُسعدنا.

حين تصلّون، وحين تتوسّلون، وحين تتضرّعون من أجل شيء ما، فإنه يحدث عادة. حين تطلبون، تتلقّون؛ ولكن ما تتلقّونه لا يُنشئ النظام، لأن ما تتلقّونه لا يقدّم الوضوح، والفهم. إنه يُرْضي فحسب، يمنحُ الإشباع ولكنّه لا يؤدّي إلى الفهم، لأنه، حين تطلبون، تتلقون ما تُسقطونه بأنفسكم. كيف تستطيع الحقيقة ـ الله ـ أن تلبّي طلبكم الخاص؟ هل يمكن لما لا يُقاس، وما لا يُعبّر عنه، أن يوضع في الزاوية مع مخاوفنا الصغيرة التافهة، وحالات بؤسنا، وتشوّشنا، التي سبّبناها بأنفسنا؟ بالتالي من الذي يجيب؟ إن ما لا يُقاس لا يمكن أن يجيب ما هو قابل للقياس، وتافهٌ، وصغير. ولكن ما هو هذا الذي يجيب؟ في اللحظة التي

نصلي فيها نكون صامتين، في حالة تلقٍ؛ عندها يسبّب لاوعينا وضوحاً مؤقتاً. تريدون شيئاً ما، تتوقون إليه، وفي لحظة التوق تلك، والتوسل الذليل، تكونون متلقين تماماً؛ يكون ذهنكم الواعي والنشيط هادئاً بشكل نسبي، وهكذا فإن اللاوعي يسقط نفسه في ذلك وتحصلون على جواب. أكيدٌ أنه ليس جواباً من الحقيقة، من ما لا يُقاس. إن لاوعيكم هو الذي يستجيب. وهكذا لا تشوّشونا وتجعلونا نعتقد أنه حين تُلبى صلاتكم تكونون في علاقة مع الحقيقة. يجب أن تأتي الحقيقة إليكم؛ لا تستطيعون الذهاب إليها.

ثمة عامل آخر متضمن في مشكلة الصلاة هذه: استجابة ما ندعوه بالصوت الداخلي. فكما قلت، حين يتضرّع الذهن ويتوسّل يكون هادئاً بشكل نسبي؛ وحين تسمعون الصوت الداخلي؛ فإن صوتكم يسقط نفسه في ذلك الذهن الهادئ بشكل نسبي. كيف يمكن أن يكون صوت الحقيقة؟ كيف يفهم الذهن المشوّش والجاهل والتائق والمتطلب والمتوسل الحقيقة؟ لا يستطيع الذهن أن يتلقى الحقيقة إلا حين يكون هادئاً، وغير متطلب، وغير تائق، وغير سائل. حين يكون الذهن هادئاً بصورة مطلقة، حين تتوقف الرغبة، عندها فقط تولد الحقيقة. إن الشخص المتطلب، والمتوسّل والمتضرّع والتائق للتوجيه سيجد أنه ينشد ولكن ليس الحقيقة. ما يتلقّاه سيكون استجابة طبقات اللاوعي في ذهنه التي تسقط نفسها في الوعي؛ ذلك الصوت الهادئ، الصغير الذي يقوده ليس الحقيقي وإنما استجابة اللاوعي.

ثمة أيضاً في مشكلة الصلاة هذه مسألة التركيز. إن التركيز سيرورة عزل بالنسبة إلى معظمنا. يأتي التركيز عبر الجهد، والإكراه، والتوجيه، والمحاكاة، وهكذا فإن التركيز سيرورة عزل. أنا مهتم بما يدعى التأمل ولكن أفكاري مضللة، وهكذا أركّز ذهني على صورة أو فكرة وأقصي الأفكار الأخرى كلّها. إن سيرورة التركيز هذه، التي هي الإقصاء، تُعتبر وسيلة للتأمل. هذا ما تفعلونه، أليس كذلك؟ حين تجلسون كي تتأمّلوا، تركزون

أذهانكم على كلمة، على صورة ولكن ذهنكم يتجول في أنحاء المكان كلّها. ثمة مقاطعة متواصلة لأفكار أخرى ولعواطف أخرى وتحاولون دفعها بعيداً؛ تُمضون وقتكم في محاربة أفكاركم. تدعون هذه العملية التأمل. وهذا يعني أنكم تحاولون التركيز على شيء ما أنتم غير مهتمين به وتواصل أفكاركم التعدد والتوالد والمقاطعة، وهكذا تنفقون طاقتكم في الإقصاء، وفي الدرء، وفي الدفع بعيداً؛ ولو كان بوسعكم التركيز على فكرتكم المختارة، وعلى موضوع معيّن، لاعتقدتم أنكم أخيراً نجحتم في التأمل. إن هذا ليس تأملاً، أليس كذلك؟ إن التأمل ليس سيرورة إقصائية، إقصائية بمعنى الدرء، بناء مقاومة ضد أفكار مقتحمة. إن الصلاة ليست تأملاً والتركيز كإقصاء ليس تأملاً.

ما هو التأمل؟ إن التركيز ليس تأملاً، لأنه حيث يوجد اهتمام من السهل نسبيّاً التركيز على شيء ما. إن جنرالاً يخطط للحرب، للمذبحة، هو في غاية التركيز، ويمكن أن يكون أيضاً بلا رحمة، ويرمي جانباً المشاعر الأخرى جميعها ويركّز على ما يريده بصورة كاملة. إن رجلاً مهتماً بأي شيء هو مركّز بشكل طبيعي وتلقائي. إن تركيزاً كهذا ليس تأملاً، إنه مجرد إقصاء.

ما التأمل؟ أكيدٌ أن التأمل هو الفهم، إن تأمل القلب فهم. كيف يمكن أن يكون هناك فهم إذا كان هناك إقصاء؟ كيف يمكن أن يكون هناك فهم حيث يوجد إلتماس، وتضرع؟ هناك سلام في الفهم، وحرية؛ فما تفهمه، تتحرر منه. أما أن تركز على الصلاة فحسب فإن هذا لا يؤدي إلى الفهم. فالفهم هو الأساس، السيرورة الجوهرية للتأمل. لستَ مضطراً إلى قبول كلمتي من أجل ذلك ولكن إذا فحصت الصلاة والتركيز بدقة وبعمق ستجد أن أياً منهما لا يقود إلى الفهم. يقودان فحسب إلى العناد والثبات والوهم. بينما التأمل، الذي فيه فهم، يولّد الحرية، والوضوح والتكامل.

ما الذي نعنيه، إذاً، بالفهم؟ يعني الفهم منح دلالة صحيحة، وتقييم صحيح، للأمور كلّها. إذا كنت جاهلاً ستمنح قيماً خاطئة؛ فمن طبيعة الغباء الافتقار إلى فهم القيم الصحيحة. يأتي الفهم إلى الوجود حين يكون هناك قيم صحيحة، حين تُؤسس القيم الصحيحة. وكيف يؤسس المرء القيم الصحيحة: القيمة الصحيحة للملكية، القيمة الصحيحة للعلاقة، القيمة الصحيحة للأفكار؟ كي تأتي القيم الصحيحة إلى الوجود يجب أن تفهم المفكّر، أليس كذلك؟ إذا لم أفهم المفكّر، الذي هو نفسي، فإن ما أختاره لا معنى له؛ أي إذا لم أعرف نفسي، فإن ما أختاره ليس له معنى؛ أي إذا لم أعرف نفسي، فإن فعلي وفكري لا أساس لهما من أي نوع. من ثمَّ، إن معرفة الذات هي بداية التأمل، لا المعرفة التي تأخذها من الكتب، ومن المرجعيات، ومن المعلمين الروحيين، وإنما المعرفة التي تأتيك عبر استقصاء الذات، والتي هي الوعي الذاتي. إن التأمل هو بداية معرفة الذات ومن دون معرفة الذات لا يوجد تأمل. إذا لم أفهم طرق أفكاري ومشاعري ودوافعي ورغباتي ومتطلباتي وملاحقتي لنماذج الفعل، التي هي الأفكار، إذا لم أعرف نفسي، لا يوجد أساس للتفكير؛ إن المفكر الذي يسأل ويصلي أو يقصي من دون أن يفهم نفسه ينتهي إلى الفوضى، وإلى الوهم.

إن بداية التأمل هي معرفة الذات، التي تعني أن أكون واعياً لحركات الفكر والشعور كلّها، أن أعرف طبقات وعيي كلّها، ليس الطبقات السطحية فحسب وإنما الأنشطة الخفية، المخبأة عميقاً. ولكي أعرف الأنشطة المخبأة عميقاً، والدوافع الخفية، والاستجابات، والأفكار والمشاعر، يجب أن يكون هناك هدوء في الذهن الواعي؛ أي أن الذهن الواعي يجب أن يكون هادئاً من أجل تلقي إسقاط اللاوعي. إن الذهن السطحي الواعي مشغول بالأنشطة اليومية، وبكسب الرزق، وبخداع الآخرين، وباستغلالهم، وبالهرب من المشكلات: الأنشطة اليومية لوجودنا كافة. يجب أن يفهم الذهن السطحي الدلالة الصحيحة لأنشطته الخاصة

ومن ثمّ يجلب الهدوء إلى نفسه. لا يمكن أن يقدم السكينة والهدوء عبر الضبط والإكراه والتنظيم. لا يمكن أن يقدم السكينة والسلام والهدوء إلا عبر فهم أنشطته الخاصة، ومراقبتها، ووعيها، ورؤية غياب الرحمة لديه، كيف يتحدث مع خادم، مع زوجته، مع ابنته، مع أمه، وهلمّجرًا. حين يكون الوعي السطحي واعياً لأنشطته جميعها، يصبح عبر ذلك الفهم هادئاً بشكل تلقائي، لا يخدره الإكراه ولا تخضعه الرغبة؛ حينئذ يكون في موقع لتلقي تلميحات اللاوعي، والطبقات الكثيرة الخفيّة للذهن: الغرائز العرقية، الذكريات المدفونة، الاهتمامات المخبأة، الجراح العميقة التي لم تُلأم بعد. حين تُفهم هذه الأمور كلّها، حين يخفّ العبء عن الوعي، ولا يضايقه أي جرح، وأية ذكرى من أي نوع، يكون حينئذ في موقع لتلقي الأبدي.

إن التأمل هو معرفة الذات ومن دون معرفة الذات لا يوجد تأمل. إذا لم تكن واعياً لاستجاباتك كلّها طول الوقت، إذا لم تكن واعياً بشكل كامل، وعارفاً بشكل كامل لأنشطتك اليومية، إذا حبست نفسك في غرفة وجلست أمام صورة معلمك الروحي، وسيدك، كي تتأمل، فأنت تهرب، لأنه من دون تفكير صحيح، لا معنى لما تقوم به، مهما كانت نواياك نبيلة. وهكذا فإن الصلاة لا أهمية لها من دون معرفة للذات ولكن حين يكون هناك معرفة للذات يوجد تفكير صحيح وبالتالي فعل صحيح. حين يكون هناك فعل صحيح، لا توجد فوضى وبالتالي لا يوجد تضرع لشخص آخرٍ لكي يقودك خارجه. إن الشخص الواعي بشكل كامل في التأمل؛ لا يصلّي، لأنه لا يريد أي شيء. فعبر الصلاة، عبر الإخضاع، والتكرار وغير ذلك، بوسعك أن تولّد هدوءاً معيّناً، ولكن هذه بلادة فحسب، تدفع الذهن والقلب إلى حالة من الإنهاك. هذا يخدّر العقل؛ أما الإقصاء، الذي تدعوه التركيز، فإنه لا يقود إلى الحقيقة، لا إقصاء يستطيع ذلك. ما يؤدي إلى الفهم هو معرفة الذات، وليس من الصعب جداً أن تكون واعياً إذا كانت هناك نيّة سليمة. إذا كنت مهتماً باكتشاف سيرورة نفسك كلها ـ وليس

مجرد الجزء السطحي وإنما الجزء الكلي لوجودك كله ـ عندها ستفتّش قلبك وعقلك كي تعرف محتواهما الكامل وحين تكون هناك نية المعرفة، ستعرف. عندها تستطيع أن تتبع، من دون شجب أو تبرير، حركات الفكر والشعور كلّها؛ وإذا اتبّعت الأفكار والمشاعر حين تنشأ فإنها تقدم السكينة غير المُكرهة، وغير المنظّمة، ولكن التي هي نتاج عدم وجود أية مشكلة، أي تناقض. إن الأمر كالبركة التي تصبح هادئة، في أي مكان لا تكون فيه ريح؛ حين يهدأ الذهن، عندها يأتي ما لا يُقاس إلى الوجود.

20. الذهن الواعي واللاوعي

سؤال: إن الذهن الواعي جاهل وخائف من الذهن اللاواعي. أنت تعالج بشكل رئيسي الذهن الواعي فهل هذا يكفي؟ هل ستؤدي طريقتك إلى تحرر من اللاوعي؟ من فضلك اشرح بالتفصيل كيف يستطيع المرء أن يعالج الذهن اللاواعي بشكل كامل؟

كريشنامورتي: نحن نعرف أن هناك الذهن الواعي والذهن اللاواعي ولكن معظمنا يعمل على المستوى الواعي فقط، في الطبقة العليا للذهن، وحياتنا كلها تقتصر عملياً على هذا. نحيا في ما يُدعى بالذهن الواعي ولا ننتبه أبداً إلى الذهن اللاواعي الأعمق والذي يأتي منه بين فينة وأخرى، تلميح؛ لكن هذا التلميح يُنبذ، يُساء استعماله أو يُترجم وفق متطلباتنا الواعية الخاصة في اللحظة الحالية. والآن يسأل السائل: " أنت تعالج بشكل رئيسي الذهن الواعي فهل هذا يكفي؟" ما الذي نعنيه بالذهن الواعي؟ لقد فصلنا بين الواعي واللاواعي؛ فهل هذا مبرر؟ هل هذا صحيح؟ هل هناك فصل كهذا بين الواعي واللاواعي؟ هل هناك حاجز محدد، خط حيث الواعي ينتهي واللاواعي يبدأ؟ نحن نعرف أن الطبقة العليا، الذهن الواعي، نشيطة ولكن هل هي الأداة الوحيدة النشيطة أثناء اليوم؟ إذا كنت أعالج الطبقة العليا من الذهن فقط، فإن ما أقوله سيكون بلا قيمة، ولن يكون له معنى. مع ذلك يتمسك معظمنا بما قَبلهُ الذهن الواعي، لأن الذهن الواعي يجد من الملائم أن يتكيّف مع حقائق معينة واضحة؛ ولكن اللاوعي يمكن أن يتمرد، وغالباً ما يفعل هذا، وهكذا فإن هناك صراعاً بين ما يُدعى بالوعي وباللاوعي.

بالتالي، إن مشكلتنا هي هذه، أليس كذلك؟ هناك في الحقيقة حالة واحدة، لا حالتان كمثل اللاواعي والواعي. هناك دوماً حالة وجود، هي الوعي، رغم أنكم يمكن أن تفصلوها إلى الوعي واللاوعي. ولكن الوعي هو

دوماً من الماضي، وليس أبداً من المستقبل؛ فأنتم تعون فقط أشياء انتهت. أنتم تعون ما أحاول أن أوصله في الثواني التالية، أليس كذلك؟؛ تفهمونه بعد لحظة. لا تكونون أبداً واعين أو مدركين للآن. راقبوا قلوبكم وأذهانكم وسترون أن الوعي يعمل بين الماضي والمستقبل، وأن الحاضر مجرد معبر للماضي إلى المستقبل. إنّ الوعي بالتالي انتقال الماضي إلى المستقبل.

إذا راقبتم ذهنكم أثناء العمل، ستكتشفون أن الانتقال إلى الماضي وإلى المستقبل سيرورة يكون فيها الحاضر غير موجود، ستجدون إما أنّ الماضي وسيلة هرب من الحاضر، يمكن أن تكون غير سارة، وإما أن المستقبل أمل بعيد عن الحاضر. وهكذا فإن الذهن مشغول بالماضي أو بالمستقبل وينبذ الحاضر. أي أن الماضي يكيّف الذهن، يكيّفه كهندي، كبراهمي، أو غير براهمي، كمسيحي، كبوذي، وهلمّجرًا، والذهن المكيّف يُسقط نفسه على المستقبل؛ بالتالي غير قادر أبداً على النظر بشكل مباشر ومن دون تحيز إلى أية حقيقة، إما يشجب و يرفض الحقيقة وإما يقبلها ويماهي نفسه معها. إن عقلاً كهذا غير قادر على رؤية أية حقيقة كحقيقة. هذه حالة وعينا حين يكيّفه الماضي وفكرنا هو الاستجابة المكيّفة لتحدي الحقيقة؛ كلما استجبتم وفقاً لاشتراطات المعتقد، والماضي، ازدادت قوّة الماضي. إن تقوية الماضي هي على ما يبدو استمرارية ندعوها المستقبل. وهكذا فإن حالة ذهننا، ووعينا هي كبندول يتحرك إلى اليمين وإلى اليسار بين الماضي والمستقبل. هذا هو وعينا، المصنوع لا من الطبقات العليا للعقل فحسب وإنما من الطبقات العميقة أيضاً. إن وعياً كهذا لا يستطيع أن يعمل على مستوى مختلف، لأنه يعرف الحركتين إلى الخلف وإلى الأمام فقط.

إذا راقبتم بدقة سترون فاصلاً بين فكرتين؛ يمكن أن يكون هناك، ولكن لجزء متناهي الصغر من ثانية، فاصل له أهمية في تأرجح البندول إلى اليمين واليسار. نرى حقيقة أن تفكيرنا مشروط بالماضي المُسقط على المستقبل؛ وفي اللحظة التي تقرون بها بالماضي، يجب أيضاً أن تقرّوا

بالمستقبل، لأنه لا توجد حالتان كالماضي والمستقبل وإنما حالة واحدة تشمل الواعي واللاواعي، الماضي الجمعي والماضي الفردي. إن الماضي الجمعي والفردي، يستجيبان للحاضر، ويقومان باستجابات معينة تُبدع الوعي الفردي؛ بالتالي إن الوعي هو من الماضي وهذه هي الخلفية الكلية لوجودنا. في اللحظة التي تحصل فيها على الماضي، فإنك تحصل على المستقبل بشكل حتميّ، لأن المستقبل مجرد استمرارية للماضي المعدّل ولكنه ما يزال الماضي، وهكذا فإن مشكلتنا هي كيف نحدث التحول في سيرورة الماضي هذه دون أن نبدع تكيّفاً آخر، ماضياً آخر.

وكي نعبّر عن الأمر بشكل مختلف، هذه هي المشكلة: يرفض معظمنا شكلاً معيّناً من التكيّف ويعثرون على شكل آخر، أشمل، وأكثر أهمية أو إمتاعاً. تتخلون عن دين وتعتنقون آخر، ترفضون شكلاً واحداً من الإيمان وتقبلون آخر. إن استبدالاً كهذا ليس فهماً للحياة على ما يبدو، كون الحياة علاقة.إن مشكلتنا هي كيف نتحرر من كل تكييف. إما تقولون إنه مستحيل، إنه لا يستطيع ذهن أي إنسان أن يتحرر أبداً من التكيف، وإمّا تبدؤون بالتجريب، وبالاستقصاء، وبالاكتشاف. إذا جزمتم أنه مستحيل، فأنتم على ما يبدو خارج المجرى. يمكن أن يستند جزمكم إلى تجربة محدودة أو واسعة أو إلى مجرد قبول معتقد ولكن جزماً كهذا هو إنكار للبحث، وللاستقصاء والاكتشاف. كي نكتشف إن كان ممكناً للعقل أن يكون حراً بشكل كامل من كل اشتراط، يجب أن تكونوا أحراراً كي تستكشفوا وتكتشفوا.

والآن أقول إنه من الممكن للذهن، على نحو محدّد، أن يتحرر من جميع الإكراهات، وهذا يعني أنه ينبغي ألا أن تقبلوا سلطتي. لأنكم إذا قبلتم السلطة، لن تكتشفوا أبداً؛ سيكون هذا استبدال آخر، ولن يكون له أية أهمية. حين أقول إنه ممكن، أقول هذا لأنه بالنسبة إليّ حقيقة وأنا

أستطيع أن أريكم إياها لفظياً، ولكن إذا أردتم اكتشاف الحقيقة بأنفسكم، يجب أن تجربوها وتتبعوها بسرعة.

إن فهم سيرورة التكيف كلها لا يأتي إليكم عبر التحليل أو الاستبطان، لأنه في اللحظة التي تحصلون فيها على المحلل فإن ذلك المحلل نفسه يكون جزءاً من الخلفية وبالتالي فإن تحليله لا يمتلك أي أهمية. هذه حقيقة ويجب أن تضعوها جانباً. فالمحلل الذي يفحص، الذي يحلل الشيء الذي ينظر إليه، هو نفسه جزء من الحالة المكيّفة (المشروطة) ومن ثمّ مهما كان تأويله وفهمه وتحليله، فإنه ما يزال جزءاً من الخلفية. وهكذا لا مهرب، بهذه الطريقة، ومن الضروري تحطيم الخلفية، لأنه من أجل مواجهة تحدي الجديد، يجب أن يكون الذهن جديداً؛ لاكتشاف الله، والحقيقة، أو ما تشاؤون، يجب أن يكون الذهن جديداً، غير ملوث بالماضي. لتحليل الماضي، للوصول إلى استنتاجات عبر سلسلة من التجارب، للقيام بتأكيدات وإنكارات، هذا يتضمن، في جوهره، استمرارية الخلفية في أشكال مختلفة؛ حين ترون حقيقة تلك الحقيقة ستكتشفون أن المحلل انتهى. عندئذ لا يوجد كيان بمعزل عن الخلفية: هناك فقط الفكر كخلفية، الفكر الذي هو استجابة الذاكرة، الواعي واللاواعي، والجمعي والفردي في آن واحد معاً.

إن الذهن نتاج الماضي، الذي هو سيرورة تكيف. كيف يمكن أن يتحرر الذهن؟ كي يتحرر، يجب أن لا يرى ويفهم تأرجحه الشبيه بالبندول بين الماضي والمستقبل فحسب ولكن يجب أن يعي أيضاً الفاصل بين الأفكار. إن ذلك الفاصل تلقائي، لا يأتي عبر أي سبب، عبر أية رغبة، عبر أي إكراه.

إذا راقبتم بدقة، سترون أنه رغم أن الاستجابة، انتقال الفكر، يبدو سريعاً، هناك فجوات، وفواصل بين الأفكار. وهناك بين فكرتين فترة صمت غير متعلقة بسيرورة التفكير. إذا رصدتم سترون أن فترة الصمت ـ

الفاصل ـ ليست زمنية. إنّ اكتشاف ذلك الفاصل، التجريب الكامل لذلك الفاصل، يحرركم من التكيّف، أو ربما لا يحرّركم. ولكنَّ هناك تحرراً من التكيّف. وهكذا فإن فهم سيرورة التفكير هي التأمل. نناقش الآن فحسب بنية الفكر وسيرورته، التي هي خلفية الذاكرة، والتجربة، والمعرفة، ولكننا نحاول أيضاً اكتشاف إن كان الذهن يستطيع تحرير نفسه من الخلفية. وحين لا يمنح الذهن استمرارية للفكر، حين يظل هادئاً وغير متأثر بالإغراء، أي بدون أي سبب، عندئذ فحسب يمكن أن يكون هناك تحرر من الخلفية.

21. الجنس

سؤال: نعرف أن الجنس ضرورة جسدية لا غنى عنها ويبدو كأنه سبب الفوضى في الحياة الشخصية لجيلنا. كيف نستطيع التعامل مع هذه المشكلة؟

كريشنامورتي: لماذا نحوّل كل ما نلمسه إلى مشكلة؟ جَعلْنا من الله مشكلة، ومن الحب مشكلة، ومن العلاقة والعيش مشكلة، وجعلنا من الجنس مشكلة. لماذا؟ لماذا كل ما نفعله، مشكلة، رعب؟ لماذا نعاني؟ لماذا صار الجنس مشكلة؟ لماذا نخضع الحياة للمشاكل، لماذا لا ننهي هذه المشاكل؟ لماذا لا نموت بالنسبة إلى مشكلاتنا بدلاً من أن نحملها يوماً بعد آخر، عاماً بعد آخر؟ إن الجنس هو مسألة وثيقة الصلة ولكن هناك المشكلة الرئيسية، لماذا نجعل الحياة مشكلة؟ لماذا العمل، والجنس، وكسب النقود، والتفكير، والشعور، والتجريب ـ وكما تعرفون، عمل الحياة كله ـ هو مشكلة؟ أليس لأننا نفكّر دوماً من وجهة نظر معيّنه، ومن وجهة نظر ثابتة؟ نفكر من المركز نحو المحيط دوماً ولكن المحيط هو المركز لمعظمنا وهكذا فإن كل ما نلمسه سطحي. ولكن الحياة ليست سطحية؛ تتطلب أن نعيشها بامتلاء. ولأننا نعيش سطحياً فحسب لا نعرف إلا رد الفعل السطحي. كل ما نفعله على الحافة يجب أن يؤدي، حتمياً، إلى مشكلة، وهذه هي حياتنا: نعيش في السطحي ونحن راضون بأن نعيش هناك مع كل مشكلات السطحي. توجد المشكلات طالما أننا نعيش في السطحي، في المحيط، المحيط هو "الأنا" وإحساساتها، والتي يمكن أن تُدفع إلى الخارج أو تُذوّتْ، والتي يمكن أن تتماهى مع الكون، مع البلاد أو مع شيء آخر يصنعه الذهن.

طالما أننا نعيش في حقل الذهن يجب أن يكون هناك تعقيدات، ومشكلات؛ هذا كل ما نعرفه. فالذهن إحساس، نتاج الإحساسات وردود

الفعل المتراكمة، وأي شيء يلمسه من المحتم أن يخلق البؤس والفوضى والمشكلات اللانهائية. إن الذهن هو العلّة الحقيقية لمشكلاتنا، الذهن الذي يعمل آلياً ليلاً ونهاراً، بوعي وبلا وعي. إن الذهن شيء سطحي. ولقد أمضينا أجيالاً، ونمضي حيواتنا كلها، في صقل الذهن، وفي جعله أكثر ذكاء، وأكثر حذقاً، وأكثر مكراً، وأكثر كذباً والتواء، ويتجلّى كلُّ هذا في جميع الأنشطة في حياتنا. فطبيعة ذهننا ذاتها تقتضي أن يكون كاذباً، وملتوياً، وغير قادر على مواجهة الحقائق، وهذا هو الشيء الذي يؤدي إلى المشكلات؛ هذا هو الشيء الذي هو المشكلة ذاتها.

ما الذي نعنيه بمشكلة الجنس؟ أهو الفعل، أم أنه فكرة عن الفعل؟ إنه ليس الفعل بالتأكيد. ليس الفعل الجنسي مشكلة لكم، كما هو تناول الطعام، ولكن إذا فكرتم بتناول الطعام أو أي شيء آخر طول الوقت لأنه ليس لديكم شيء آخر تفكرون به، يصبح مشكلة. هل الفعل الجنسي المشكلة أم الفكرة عن الفعل؟ لماذا تفكرون به؟ لماذا تعززونه، وهذا ما تفعلونه على ما يبدو؟ إن صالات السينما، والمجلات، والقصص والطريقة التي تلبس بها النساء، وكل شيء من هذا القبيل يصنع فكرتكم عن الجنس. لماذا يبني الذهن هذا، لماذا يفكّر الذهن بالجنس؟ لماذا؟ لماذا صار الجنس المسألة المركزية في حياتكم؟ حين تكون هناك أمور كثيرة تدعوكم، وتتطلب انتباهكم، تمنحون انتباهاً كاملاً لفكرة الجنس. ماذا يحدث، لماذا عقولكم مشغولة به هكذا؟ لأن هذا طريق الهرب المطلق، أليس كذلك؟ إنه طريقة لنسيان الذات. ففي تلك اللحظة تستطيعون نسيان أنفسكم ولا توجد طريقة أخرى لنسيان أنفسكم. فكل ما تفعلونه في الحياة يشدِّد على "الأنا"، وعلى الذات. إن تجارتكم، ودينكم، وآلهتكم، وقادتكم، وأفعالكم الاقتصادية والسياسية، وحالات هربكم، وأنشطتكم الاجتماعية، وانضمامكم إلى حزب ورفض آخر، كلّ هذا يشدِّد على "الأنا" ويقوّيها. هذا يعني أن هناك فعلاً واحداً فيه لا يوجد تشديد على "الأنا"، وهكذا يصبح

مشكلة، أليس كذلك؟ حين يكون هناك فقط شيء واحد في حياتكم هو طريق للهرب النهائي، لإكمال نسيان أنفسكم، ولو لبضع ثوان، تتمسّكون به لأن هذه هي اللحظة الوحيدة التي تكونون فيها سعداء. كل مسألة أخرى تلمسونها تصبح كابوساً، لأنكم عندها تريدون أن تكونوا أحراراً منها، لا تريدون أن تكونوا عبيداً لها. وهكذا تبتكرون، مرة ثانية عبر الذهن، فكرة الطهارة، والتبتّل، وتحاولون أن تكونوا متبتّلين، وطاهرين، عبر الكبت، وكل هذه سيرورات للذهن كي يفصل نفسه عن الحقيقة. يشدّد هذا مرة ثانية بشكل خاص على "الأنا"، التي تحاول أن تصبح شيئاً ما، وهكذا تعلقون ثانية في التفاهات والمشكلات والجهد والألم.

يصبح الجنس مشكلة صعبة ومعقّدة بشكل فائق للعادة طالما أنكم لا تفهمون العقل الذي يفكّر بالمشكلة. إن الفعل نفسه لا يمكن أن يكون مشكلة ولكن الفكرة عن الفعل تخلق المشكلة. إن الفعل الذي تقومون به؛ وانفلاتكم، وانغماسكم في الزواج، محولين زوجاتكم إلى عاهرات كل هذا محترم جداً على ما يبدو، وأنت راضون بأن تتركوا المسألة عند هذا الحد. أكيد أن المشكلة لا يمكن أن تُحل إلا حين تفهمون السيرورة كلها وبنية "الأنا" و"لي": زوجتي، طفلي، ملكيتي، سيارتي، إنجازي، نجاحي؛ إذا لم تفهموا وتحلّوا كلّ هذه الأمور، فإن الجنس كمشكلة سيبقى. طالما أنكم طموحون سياسياً ودينياً أو بأية طريقة أخرى، طالما أنكم تشدّدون على الذات، على المفكّر، على المجرِّب، عبر تغذيته بالطموح سواء باسمكم كأفراد أو باسم البلاد، أوالحزب أو فكرة تسمّونها الدين، طالما أن هناك هذا النشاط من التعبير عن الذات، فإنكم ستواجهون مشكلة جنسية. أنتم تبدعون، وتغذّون، وتوسّعون أنفسكم من ناحية، ومن ناحية أخرى تحاولون نسيان أنفسكم، وفقدان أنفسكم ولو للحظة. كيف يمكن أن يوجد الاثنان معاً؟ إن في حياتكم تناقضاً؛ تشديداً على "الأنا" ونسياناً لها. إن الجنس ليس مشكلة؛ إن المشكلة هي هذا التناقض في حياتكم؛ ولا يمكن

أن يردم الذهن هذا التناقض، لأنه هو نفسه تناقض. لا يمكن أن يُفهم التناقض إلا حين تفهمون بشكل كامل السيرورة الكاملة لوجودكم اليومي. إن الذهاب إلى صالات السينما ومشاهدة النساء على الشاشة، وقراءة الكتب التي تحفّز الفكر، والمجلات بصورها نصف العارية، وطريقتكم في النظر إلى النساء، وأعينكم المختلسة، كل هذه الأمور تشجّع الذهن عبر طرق مداورة للتشديد على الذات، وفي الوقت نفسه تحاولون أن تكونوا لطيفين، ومحبين ورقيقين. لا يتماشى الأمران سوية. فالرجل الطموح، روحياً أو غير ذلك، لا يمكن أن يكون أبداً من دون مشكلة، لأن المشكلات لا تتوقف إلا حين تُنسى الذات، حين لا توجد "الأنا". إنّ حالة عدم وجود الذات فعل إرادي، لا مجرد رد فعل. يصبح الجنس رد فعل؛ حين يحاول الذهن أن يحل المشكلة، فإنه يجعل المشكلة أكثر تعقيداً، وإزعاجاً وإيلاماً. إن الفعل ليس المشكلة وإنما الذهن هو المشكلة، الذهن الذي يقول إنه يجب أن يكون طاهراً. ليست الطهارة من الذهن. يستطيع الذهن أن يكبت أنشطته فحسب إلا أنّ الكبت ليس طهارة. فالطهارة ليست فضيلة. إنّ الطهارة لا يمكن صقلها. فالرجل الذي يصقل التواضع هو غير متواضع؛ يمكن أن يدعو كبرياءه تواضعاً؛ ولكنه رجل متباه، ولهذا ينشد أن يصبح متواضعاً. لا يمكن أن تكون الكبرياء تواضعاً والطهارة ليست من الذهن. لا تستطيعون أن تصبحوا طاهرين. لن تعرفوا الطهارة إلا حيث يكون هناك حب، والحب ليس من الذهن وليس شيئاً ينتمي إلى الذهن.

بالتالي إن مشكلة الجنس التي تعذّب كثيراً من الناس في كافة أنحاء العالم لا يمكن أن تُحل إلى أن يُفهم الذهن. لا يمكن أن ننهي التفكير ولكن الفكر ينتهي حين يتوقف المفكر ولا يمكن أن يتوقف المفكر إلا إذا كان هناك فهم للسيرورة كلها. يأتي الخوف إلى الوجود حين يكون هناك فصل بين المفكر وفكره؛ حين لا يكون هناك مفكر، يكون هناك فقط صراع في الفكر. ما هو كامن لا يحتاج إلى جهد للفهم. يأتي المفكر إلى الوجود عبر

الفكر؛ وعندها يكرّس وقته لصياغة أفكاره والسيطرة عليها أو لإنهائها. فالمفكر كيان خيالي، وهم للذهن. حين يتحقق الفكر كحقيقة، لا توجد حاجة للتفكير بالحقيقة. إذا كان هناك وعي بسيط، بلا خيار، فإن ذلك الكامن في الحقيقة يبدأ بالكشف عن نفسه. بالتالي ينتهي الفكر كحقيقة. سترى حينئذ أن المشكلات التي تشغلُ قلوبنا وعقولنا، مشكلات بنيتنا الاجتماعية، يمكن أن تُحل. حينها يتوقف الجنس عن كونه مشكلة، يكون له موقعه الملائم، إنه ليس شيئاً غير طاهر أو شيء طاهر. يمتلك الجنس موقعه؛ حينئذ يصبح مشكلة. يمنح الذهن الجنس مكاناً مهيمناً لأنه لا يستطيع أن يحيا من دون بعض السعادة وهكذا يصبح الجنس مشكلة؛ حين يفهم الذهن سيرورته كلها وينتهي، أي حين يتوقف التفكير، يكون هناك إبداع وهذا الإبداع يجعلنا سعداء. أن نكون في حالة الإبداع تلك منتهى السعادة، لأنها نسيان للذات لا يوجد فيه رد فعل كما من الذات. إنّ هذا ليس جواباً تجريدياً على المشكلة اليومية للجنس، إنه الجواب الوحيد. فالذهن ينكر الحب ومن دون حب لا توجد طهارة؛ ولأنه لا يوجد حب تحوّلون الجنس إلى مشكلة.

22. الحب

سؤال: ما الذي تعنيه بالحب؟

كريشنامورتي: سنفهم ما ليس هو الحب، لأنه، بما أن الحب هو المجهول، نأتي إليه عبر نبذ المعلوم. لا يمكن اكتشاف المجهول بذهن مليء بالمعلوم. ما سنفعله هو العثور على قيم المعلوم، والنظر إلى المعلوم، وحين يُنظر إلى هذا من دون شجب، يتحرر الذهن من المعلوم؛ عندها نعرف ما هو الحب.وهكذا، يجب أن نقارب الحب سلبياً، وليس إيجابياً.

ما هو الحب بالنسبة إلى معظمنا؟ حين نقول إننا نحب أحداً ما، ما الذي نعنيه؟ نعني أننا نملك هذا الشخص. تنشأ من تلك الملكية الغيرة، لأنني إذا فقدته أو فقدتها ما الذي يحدث؟ أشعر بالفراغ والضياع؛ بالتالي، أجعل الملكية قانونية؛ أملكه أو أملكها. من امتلاك ذلك الشخص، تولد الغيرة، وينشأ الخوف وكل الصراعات التي لا تُحصى التي تنشأ من الملكية. إن ملكية كهذه ليست حباً، أليس كذلك؟

إن الحب ليس عاطفة. فأن تكون عاطفياً، ليس حباً، لأن العاطفة مجرد إحساس. إن رجل الدين الذي يبكي على المسيح أو كريشنا، على معلمه الروحي أو أي شخص آخر، هو مجرد وجداني وعاطفي. ينغمس في الإحساس، الذي هو سيرورة تفكير، والتفكير ليس حباً. إنّ التفكير نتاج الإحساس، وهو ليس حباً. وهكذا فإن الشخص الوجداني والعاطفي لا يمكن أن يعرف الحب. ألسنا وجدانيين وعاطفيين؟ إن العاطفة مجرد تعبير عن الذات؟ فجيشانك بالعواطف ليس حباً، لأن العاطفي يمكن أن يكون قاسياً جداً حين لا تتم الاستجابة لعواطفه، حين لا يكون هناك مخرج لعواطفه. فالشخص العاطفي يمكن أن يُثار إلى الكراهية، والحرب، والذبح. الشخص العاطفي مليء بالدموع لدينه، وهو لا يملك حباً.

هل الصفح حب؟ ما الذي هو متضمن في الصفح؟ تهينني وأستاء، أتذكر ذلك؛ عندها، إما عبر الإكراه وإما عبر التوبة، أقول: "أصفح عنك". أولاً أحتفظ بالأمر ثم أرفض. ماذا يعني هذا؟ ما أزال الشخصية المحورية. ما أزال مهمّاً، إنه أنا الذي يسامح شخصاً آخر. طالما أن هناك موقف الصفح إن من هو مهمّ هو أنا، وليس الشخص الذي من المفترض أنه أهانني. وهكذا حين أراكم الاستياء ثم أنكر ذلك الاستياء، الذي تدعوه الصفح، فإن هذا ليس حباً. إن الذي يحب لا يشعر بالعداء، وهو غير مبال بهذه الأمور كلّها. إن التعاطف، والصفح، وعلاقة الامتلاك، والغيرة، والخوف، ليست حباً لأنها كلها من الذهن، أليس كذلك؟ طالما أن الذهن هو الحاكم، لا يوجد حب، لأن الذهن لا يحكم إلا عبر الامتلاك وحكمه مجرد امتلاك في أشكال مختلفة. إن الذهن فحسب يستطيع أن يقوّض الحب، لا يستطيع أن ينجبه، لا يستطيع تقديم الجمال. تستطيع تأليف قصيدة عن الحب، ولكن هذا ليس حباً.

لا يوجد حب على ما يبدو حين لا يكون هناك احترام حقيقي، حين لا تحترم الآخر، سواء كان خادمك أو صديقك. هل لاحظت أنك غير محترم ولطيف وكريم مع خدمك وناسك الذين يدعون "أدنى منك"؟ تحترم من هم أعلى منك، رئيسك، المليونير، الرجل صاحب اللقب والمنزل الكبيرين، الرجل الذي يستطيع منحك منصباً أكبر، الرجل الذي تستطيع الحصول على شيء ما منه. ولكنك ترفس من هم أدنى منك، تمتلك لغة خاصة لهم. بالتالي حيث لا يوجد احترام، لا يوجد حب؛ حيث لا توجد رحمة، شفقة، صفح، لا يوجد حب. وبما أن معظمنا في هذه الحالة لا حب لدينا. لسنا محترمين ولا رحيمين ولا كريمين. نحن امتلاكيون، جياشون بالعاطفة التي يمكن أن تُوجّه نحو أي اتجاه: القتل، الذبح أو توحيد نوايا حمقاء وجاهلة. فهل يمكن أن يكون هناك حب؟ لا تستطيعون معرفة الحب إلا حين تتوقف جميع الأمور، وتنتهي، وحين لا تمتلكون،

وحين لا تكونون عاطفيين ومكرّسين لموضوع. إن إخلاصاً كهذا تضرع، نشدان شيء ما بشكل مختلف. فالرجل الذي يصلّي يجهل الحب. بما أنك امتلاكيّون، بما أنكم تنشدون غاية، نتيجة، عبر الإخلاص، والصلاة، التي تجعلكم عاطفيين، لا يوجد حب بشكل طبيعي؛ ولا يوجد حب حيث لا يوجد احترام. يمكنكم القول إن لديكم الاحترام ولكن احترامكم هو للمتفوق، إنه فقط الاحترام الذي يأتي من الرغبة بشيء، احترام الخوف. إذا كنتم فعلاً تشعرون بالاحترام، ستحترمون الأدنى كما تحترمون ما تدعونهم الأعلى؛ وبما أنكم لا تفعلون ذلك، لا يوجد حب. كم منا كرماء، ومتسامحون، ورحماء! أنتم كرماء حين ينفعكم هذا، أنتم رحماء حين يمكنكم أن تروا شيئاً بالمقابل. حين تختفي هذه الأمور، حين لا تشغل هذه الأمور ذهنكم، وحين لا تملأ أشياء الذهن قلوبكم، حينئذ يوجد حب؛ لا شيء سوى الحب يستطيع أن يحوّل جنون الحاضر في العالم، لا الأنظمة، ولا النظريات سواء من اليمين أو اليسار. إنكم في الواقع تحبون حين لا تملكون، حين لا تحسدون، ولا تكونون جشعين، حين تكونون محترمين، حين يكون لديكم رحمة وعطف، حين تحترمون زوجاتكم وأولادكم وجاركم وخدمكم سيئي الحظ.

لا يمكن التفكير بالحب، لا يمكن أن يُربّى، لا يمكن أن يُمارس. إن ممارسة الحب، وممارسة الأخوّة، ما تزال داخل حقل الذهن، بالتالي ليست حباً. حين يحدث كل هذا، يأتي الحب إلى الوجود، تعرفون ما يعنيه الحب. حينئذ لا يكون الحب كمياً بل يكون نوعياً. لا تقولون: "أحب العالم كله"، ولكن حين تعرفون كيف تحبون أحداً، تعرفون كيف تحبون الكل. ولأننا نجهل كيف نحب أحداً، فإن حبنا للبشرية خيالي. حين تحبون، لا يوجد واحد ولا كثيرون: هناك حب فقط. حين يكون هناك حب فحسب يمكن أن تُحل مشاكلنا حينئذ نعرف سعادته.

23 . الموت

سؤال: ما علاقة الموت بالحياة؟

كريشنامورتي: هل هناك فصل بين الحياة والموت؟ لماذا نعتبر الموت شيئاً منفصلاً عن الحياة؟ لماذا نخشى الموت. لماذا أُلِّفتْ كتبٌ كثيرة عن الموت؟ لماذا هناك خطٌّ ترسيمٍ بين الحياة والموت؟ وهل الفصل حقيقي، أم اعتباطي، ينتمي إلى الذهن؟

حين نتحدث عن الحياة، نعني العيش في سيرورة مستمرة فيها تماه. أنا ومنزلي، أنا وزوجتي، أنا وحسابي المصرفي، أنا وتجاربي في الماضي، هذا ما نعنيه بالحياة، أليس كذلك؟ إن الحياة سيرورة متواصلة في الذاكرة، واعية وغير واعية، بصراعاتها المختلفة، وخصوماتها، وحوادثها، وتجاربها، وكل ما نسمّيه الحياة؛ ما يعارض هذا هو الموت، الذي هو نهاية كل شيء. بعد أن أبدعنا النقيض، الذي هو الموت، وصرنا خائفين منه، نواصل البحث عن علاقة بين الحياة والموت؛ إذا كان بوسعنا ردم الفجوة مع بعض الشرح، مع إيمان بالاستمرارية، في الماوراء، نصبح راضين. نؤمن بالتناسخ أو بشكل آخر من الاستمرارية للفكر ثم نحاول تأسيس علاقة بين المعلوم والمجهول. نحاول ردم الفجوة بين المعلوم والمجهول ومن ثمَّ نحاول العثور على علاقة بين الماضي والمستقبل. هذا ما نفعله، أليس كذلك؟ حين نستقصي إن كانت هناك علاقة بين الحياة والموت. نريد أن نعرف كيف نطيل الحياة، هذه هي رغبتنا الجوهرية.

والآن، هل تستطيع النهاية، التي هي الموت، أن تُعرف فيما نحن أحياء؟ إذا كان بوسعنا معرفة الموت بينما نحن أحياء، لن تعترضنا أية مشكلة. لأننا لا نستطيع تجريب المجهول بينما نحن نحيا لأننا نخافه. يهدف صراعنا إلى تأسيس علاقة بين ذواتنا، والتي هي نتيجة المعلوم، والمجهول الذي ندعوه الموت. هل يمكن أن تكون هناك أية علاقة بين

الماضي وشيء لا يستطيع الذهن إدراكه، ندعوه الموت؟ لماذا نفصل بين الاثنين؟ أليس لأن ذهننا لا يستطيع العمل إلا داخل حقل المعلوم، داخل حقل المستمر؟ لا يعرف المرء نفسه كمفكِّر، كممثل، يمتلك ذكريات معينة عن البؤس، والمتعة، والحب، والتعاطف، وأنواع مختلفة من التجربة؛ لا يعرف المرء نفسه إلا كمستمر، وإلا فإن المرء لن يتذكر نفسه كشيء ما. والآن، حين ينتهي ذلك الشيء، الذي ندعوه الموت، يكون هناك خوف من المجهول؛ وهكذا نريد أن ندفع المجهول إلى المعلوم ويتمثل كل جهدنا في منح الاستمرارية للمجهول. هذا يعني أننا لا نريد معرفة الحياة، التي تشمل الموت، ولكن نريد أن نعرف كيف نستمر ولا ننتهي. لا نريد أن نعرف الحياة والموت، نريد فقط أن نعرف كيف نستمر بلا نهاية.

إن ما يستمر لا يتجدد. لا يمكن أن يكون هناك شيء جديد، أو خلاق، في ما هو مستمر وهذا واضح تماماً. حين تنتهي الاستمرارية تكون هناك إمكانية لما هو دائماً جديد. ولكن هذه نهاية نمقتها، ولا نرى أنه في الإنهاء فقط يمكن أن يكون هناك تجديد، وإبداع، والمجهول ليس نقل تجاربنا وذكرياتنا ومصائبنا من يوم إلى آخر. حين نموت كل يوم إزاء ما هو قديم يمكن أن يكون هناك جديد فحسب. لا يمكن أن يكون الجديد حيث تكون هناك استمرارية،الجديد الذي هو الخلاق، المجهول، الأبدي، الله أو ما تشاؤون. إن الشخص، الكيان المستمر، الذي ينشد المجهول، والحقيقي، والأبدي، لن يعثر عليه أبداً، لأنه لا يستطيع العثور إلا على الذي يُسقطه من نفسه وما يسقطه غير حقيقي. فالجديد لا يمكن أن يُعرف إلا في النهاية والموت؛ والرجل الذي ينشد علاقة بين الحياة والموت، كي يربط ما هو مستمر بذلك الذي يعتقد أنه في الماوراء، يعيش في عالم خيالي غير واقعي، والذي هو إسقاط من نفسه.

هل من الممكن أن نموت فيما نحن أحياء، مما يعني النهاية، أن نصير عدماً؟ هذا ممكن، بينما نحن نعيش في هذا العالم حيث يصبح كل شيء

أكثر وأكثر أو أقل وأقل، حيث كل شيء عملية تسلق وإنجاز ونجاح، هل من الممكن، في عالم كهذا، أن نعرف الموت؟ هل من الممكن إنهاء كل الذكريات، ليس ذكريات الحقائق، الطريق إلى منزلك وغير ذلك، وإنما الارتباط الداخلي عبر الذاكرة مع الأمن النفسي، والذكريات التي راكمها المرء، وخزنها، والتي ينشد فيها الأمن والسعادة؟ هل من الممكن إنهاء كل هذا، مما يعني الموت كل يوم بحيث يكون هناك تجديد غداً؟ حينئذٍ فحسب يعرف المرء الموت بينما هو حي. في ذلك الموت، في تلك النهاية، في إنهاء الاستمرارية فحسب، يوجد التجدد، إبداع ما هو أبدي.

24 . الزمن

سؤال: هل يمكن أن ينحلّ الماضي فوراً، أم هل يحتاج إلى الزمن بشكل ثابت؟

كريشنامورتي: نحن نتاج الماضي. إن فكرنا مؤسّس على الأمس وعل آلاف كثيرة من أيام أمس. نحن نتاج الزمن، واستجاباتنا، ومواقفنا الحالية، هي النتيجة التراكمية لآلاف كثيرة من اللحظات والحوادث والتجارب. وهكذا فإن الماضي، بالنسبة لأغلبيتنا، هو الحاضر، الذي هو حقيقة لا يُمكن أن تُنكر. أنتم، وأفكاركم، وأفعالكم، واستجاباتكم، نتاج الماضي. يريد السائل الآن أن يعرف إن كان ذلك الماضي يمكن أن يُمسح على الفور؛ أو إن كان هذا الماضي التراكمي يتطلب الوقت كي يتحرر الذهن في الحاضر؟ من المهم أن نفهم السؤال، والذي هو هذا: بما أن كلّاً منا نتيجة الماضي، بخلفية من التأثيرات التي لا تُحصى، التي تتنوع باستمرار، وتتغير باستمرار، هل من الممكن مسح الخلفية بدون المرور بسيرورة الزمن؟

ما هو الماضي؟ ما الذي نعنيه بالماضي؟ أكيدٌ أننا لا نعني الماضي التسلسلي؟ نعني التجارب المتراكمة، والاستجابات المتراكمة، والذكريات، والتقاليد، والمعرفة، ومخزن اللاوعي من الأفكار والمشاعر والتأثيرات والاستجابات التي لا تُحصى. بتلك الخلفية، لا يمكن فهم الحقيقة، لأن الحقيقة لا علاقة لها بالزمن: إنها لازمانية. وهكذا لا يستطيع المرء أن يفهم اللازماني بذهن هو نتاج الزمن. يريد السائل أن يعرف إن كان من الممكن تحرير الذهن، أو أن يتوقف الذهن، الذي هو نتاج الزمن، عن الوجود فوراً؛ أم هل يريد المرء أن يمرّ عبر سلسلة طويلة من الفحوصات والتحليلات وهكذا يحرر الذهن من خلفيته.

إن الذهن هو الخلفية؛ الذهن نتاج الزمن؛ الذهن هو الماضي، الذهن ليس المستقبل. يمكن أن يُسقط الذهن نفسه على المستقبل ويستخدم الحاضر كممر إلى المستقبل، وهكذا فهو هادئ في كل ما يفعله، مهما كان نشاطه، نشاطه المستقبلي، ونشاطه الحالي، ونشاطه الماضي - في شبكة الزمن. هل من الممكن أن يتوقف الذهن بشكل كامل، أن تنتهي سيرورة التفكير؟ هناك على ما يبدو طبقات كثيرة للذهن؛ ما ندعوه الوعي له كثير من الطبقات، كل طبقة متواشجة مع الطبقة الأخرى، كل طبقة معتمدة على الأخرى، متفاعلة؛ إن وعينا كله ليس تجريبياً فقط وإنما أيضاً تسمية تلك التجربة وبالتالي خزنها في الذاكرة. هذه هي سيرورة الوعي كلها، أليس كذلك؟

حين نتحدث عن الوعي، ألا نعني التجريب، والتسمية وإطلاق المصطلح على تلك التجربة وبالتالي خزن تلك التجربة في الذاكرة؟ إن كل هذا، على مستويات مختلفة، وعي. هل يستطيع الذهن، الذي هو نتاج الزمن، أن يمرّ عبْرَ عملية التحليل، خطوة خطوة، من أجل أن يحرر نفسه من الخلفية، أم هل من الممكن أن يكون حراً بشكل كامل من الزمن وينظر إلى الحقيقة بشكل مباشر؟

قال كثير من المحللين إنه لكي تتحرر من الخلفية يجب أن تفحص جميع الاستجابات، وجميع العقد، وجميع العوائق، التي تتضمن على ما يبدو سيرورة الزمن. هذا يعني أن المحلل يجب أن يفهم ما يحلله وينبغي ألا يسيء تأويل ما يحلله. إذا أساء ترجمة ما يحلله سيقوده هذا إلى استنتاجات خاطئة ومن ثمَّ سيؤسس خلفية أخرى. يحب أن يكون المحلل قادراً على تحليل أفكاره ومشاعره من دون أية مداورة؛ ويجب ألا يفقد أية خطوة في تحليله، لأن اتخاذ خطوة خاطئة، والوصول إلى استنتاج خاطئ، يعني إعادة تأسيس خلفية على خط مختلف، وعلى مستوى مختلف. تنشأ هذه المشكلة أيضاً: هل المحلل مختلف عمّا يحلّله؟ أليس المحلّل والشيء الخاضع للتحليل ظاهرة متصلة؟

أكيدٌ أن المجرِّب والتجربة ظاهرة متصلة؛ ليسا عمليتين منفصلتين، ولهذا تواجهنا صعوبة التحليل. من المستحيل تقريباً تحليل محتوى وعينا كلّه، وبالتالي أن نتحرر عبر تلك السيرورة. في النهاية، من هو المحلل؟ ليس المحلل مختلفاً، رغم أنه يمكن أن يعتقد أنه مختلف، عن ذلك الذي يحلّله. لديَّ فكرة، لديَّ شعور، لنقل، مثلاً، أنا غاضب. إن الشخص الذي يحلّل الغضب ما يزال جزءاً من الغضب ومن ثمَّ إن المحلّل والمُحلَّل هما ظاهرة متصلة، ليسا قوتين أو عمليتين منفصلتين. وهكذا فإن صعوبة تحليل أنفسنا، وكشفها، والنظر في أنفسنا صفحة بعد صفحة، ومراقبة جميع ردود الفعل،وجميع الاستجابات، صعب ويقتضي وقتاً لانهائياً. بالتالي، هذه ليست الطريقة لتحرير أنفسنا من الخلفية، أليس كذلك؟ ينبغي أن تكون هناك طريقة أكثر بساطة ومباشرة، وهذا ما سنحاول أنا وأنتم العثور عليه. من أجل أن نكتشف يجب أن ننبذ ما هو مزيّف وأن لا نتمسّك به. وهكذا فإن التحليل ليس الطريقة، ويجب أن نتحرّر من عملية التحليل.

ما الذي تركته عندئذ؟ أنت معتاد على التحليل فقط، أليس كذلك؟ الراصد يرصد ـ الراصد والمرصود كونهما ظاهرة متصلة ـ إن الراصد الذي يحاول أن يحلّل ما يرصده لن يحرّره من خلفيته. إذا كان الأمر هكذا، وهو هكذا، تتخلى عن تلك العملية، أليس كذلك؟ إذا رأيت أن هذه طريقة مزيّفة، ماذا يحدث لتحليلك عندئذ؟ تتوقف عن التحليل، أليس كذلك؟ ما الذي تركته عندئذ؟ راقبه، اتبعه، وسترى كيف يستطيع المرء أن يتحرر من الخلفية بسرعة. أليست هذه هي الطريقة، أي شيء آخر تركته؟ ما هي الحالة الذهنية المعتادة على التحليل، والسبر، والنظر، والتشريح، واستخراج الخلاصات وهلمّجرّا؟ إذا توقفت تلك العملية، ما هي حالتك الذهنية؟

تقول إن الذهن فارغ. تابع في ذلك الذهن الفارغ. بتعبير آخر، حين تنبذ ما هو معلوم كزائف، ماذا يجري لذهنك؟ في النهاية، ما الذي نبذته؟

نبذت السيرورة المزيفة التي هي نتيجة خلفية. أليس كذلك؟ بضربة واحدة، كما حدث، نبذت الشيء كله. بالتالي، حين تنبذ السيرورة التحليلية بكل معانيها الضمنية وتراها مزيفة، ما الذي يجري لذهنك؟ في النهاية، ما الذي نبذته؟ لقد تخلّصت من السيرورة المزيّفة التي هي نتيجة خلفية. أليس كذلك؟ لقد تخلّصتَ بضربة واحدة، كما حدث، من الشيء كله. بالتالي إن ذهنك، حين تنبذ السيرورة التحليلية بكل معانيها الضمنية وتراها كمزيفة، يتحرر من الأمس، ويصير قادراً على النظر بشكل مباشر، من دون المرور في سيرورة الزمن، ومن ثمّ تتحرر من الخلفية على الفور.

لنطرح المسألة بشكل مختلف: إن الفكر نتاج الزمن، أليس كذلك؟ إن الفكر نتاج البيئة، والتأثيرات الاجتماعية والدينية، وهذا كلّه جزء من الزمن. الآن، هل يستطيع الفكر أن يتحرر من الزمن؟ أي أن الفكر الذي هو نتاج الزمن، هل يستطيع التوقف والتحرر من سيرورة الزمن؟ يمكن أن يُسيطر على الذهن، ويُصاغ؛ ولكن السيطرة على التفكير ما تزال داخل حقل الزمن وهكذا فإنّ الصعوبة التي تواجهنا هي: كيف يستطيع الذهن الذي هو نتاج الزمن، وآلاف كثيرة من أيام أمس، أن يتحرّر على الفور من عقدة الخلفية هذه؟ يمكن أن يتحرّر منها، ليس غداً بل في الحاضر، الآن. لا يمكن أن يُنجز هذا إلا حين تُدرك ما هو مزيف، والمزيف هو على ما يبدو العملية التحليلية. وهذا هو الشيء الوحيد الذي لدينا. حين تتوقف العملية التحليلية، ليس عبر الإكراه، وإنما عبر فهم الزيف المحتم لتلك السيرورة، ستكتشف أن ذهنك منفصل بشكل كامل عن الماضي، وهذا لا يعني أنك لا تعترف بالماضي وإنما أن ذهنك غير مرتبط بشكل مباشر مع الماضي. وهكذا يستطيع أن يحرر نفسه من الماضي على الفور، الآن، وهذا الانفكاك عن الماضي، هذا التحرر الكامل من الأمس، نفسيٌّ وليس تسلسلياً، إنه ممكن؛ وهذه هي الطريقة الوحيدة لفهم الحقيقة.

لنعبّر عن الأمر ببساطة: حين تريد فهم شيء ما، ما هي حالة الذهن؟ حين تريد أن تفهم طفلك، حين تريد أن تفهم شخصاً ما، شيئاً ما يقوله شخص، ما هي حالة الذهن؟ أنت لا تحلل، وتنتقد، وتحكم على ما يقوله الآخر؛ أنت تصغي، أليس كذلك؟ إن ذهنك يكون في حالة فيها سيرورة التفكير غير نشيطة وإنما متيقظة جداً. إن هذا التيقظ ليس من الزمن، أليس كذلك؟ أنت متيقظ فقط، متلق بشكل هادئ، ومع ذلك واع بشكل كامل؛ وفي هذه الحالة فقط يوجد فهم. حين يكون الذهن مهتاجاً، ومتسائلاً، وقلقاً، ومشرِّحاً، ومحللاً، لا يوجد فهم. حين يوجد توتر من أجل الفهم، يكون الذهن هادئاً. يجب أن تجرب هذا بالطبع، لا أن تتحدث عنه، وتستطيع أن ترى أنه كلما حلّلت، قلَّ فهمك. يمكن أن تفهم حوادث معينة، وتجارب معينة، ولكن محتوى الوعي كله لا يمكن أن يُفرّغ عبر السيرورة التحليلية. لا يمكن أن يُفرّغ إلا حين ترى زيف المقاربة عبر التحليل. حين ترى الزيف كزيف، تبدأ برؤية ما هو صحيح؛ وسيحرّرك ما هو حقيقي من الخلفية.

25. العمل من دون فكرة

سؤال: أنت تناصر الفعل بدون فكرة من أجل الوصول إلى الحقيقة. هل من الممكن أن نفعل طول الوقت بدون فكرة، أي بدون هدف منظور؟

كريشنامورتي: ما هو فعلك حالياً؟ ما الذي نعنيه بالفعل؟ إن فعلنا ـ ما نريد أن نفعله أو نكونه ـ يستند إلى فكرة، أليس كذلك؟ هذا كل ما نعرفه؛ لدينا أفكار، ومُثل، ووعود، وصيغ مختلفة حول ما نحن وما ليس نحن. إن أساس فعلنا هو مكافأة في المستقبل أو خوف من العقاب. نعرف هذا، أليس كذلك؟ إن نشاطاً كهذا يعزل الذات ويسجنها. لديك فكرة عن الفضيلة وتعيش وتفعل في علاقة بحيب تلك الفكرة. إن العلاقة، الجمعية أو الفردية، بالنسبة إليك، فعل يتجه نحو مُثل، ونحو فضيلة، ونحو إنجاز، وهلمّجرّا.

حين يستند فكري إلى مثال هو فكرة ـ مثل: "يجب أن أكون شجاعاً، "يجب أن أتّبع مثالاً"، "يجب أن أكون فاضلاً"، "يجب أن أكون واعياً اجتماعياً" ـ إن تلك الفكرة تصوغ فعلي، وتوجهه. هناك هاوية بين الفعل والفكرة، وفصل، وسيرورة زمنية. أليس كذلك؟ بتعبير آخر، أنا لست فاضلاً، ولست محباً، لا يوجد صفح في قلبي ولكنني أشعر أنني يجب أن أكون فاضلاً. وهكذا هناك فجوة، بين ما أنا وما يجب أن أكونه؛ نحاول طول الوقت جسر تلك الفجوة. هذا هو نشاطنا، أليس كذلك؟

ما الذي سيحدث الآن إذا لم توجد الفكرة؟ بضربة واحدة، ستزيل الفجوة، أليس كذلك؟ ستكون ما أنت. تقول: "أنا دميم، يجب أن أصبح جميلاً؛ ما الذي يجب أن أفعله"، إن هذا الفعل يستند إلى فكرة. تقول: "أنا لست رؤوفاً، يجب أن أصبح رؤوفاً". وهكذا تُدخل فكرة منفصلة عن الفعل. بالتالي لا يوجد أبداً فعل حقيقي حيال ما أنت، وإنما فعل

يستند إلى مثال ما ستكونه دوماً. يقول الرجل الغبي على الدوام إنه سيصير ذكياً. يعمل، ويصارع كي يصبح؛ لا يتوقف أبداً، لا يقول أبداً: "أنا غبي". وهكذا فإن فعله، الذي يستند إلى الفكرة، ليس فعلاً مطلقاً.

إن الفعل يعني العمل، الحركة. ولكن حين تكون لديك فكرة، فإن ما يجري هو تكوين الأفكار فقط، سيرورة تفكير تتعلق بفعل. إذا لم تكن هناك فكرة، ما الذي سيحدث؟ أنت ما أنت. أنت غير محب لفعل الخير، غير متسامح، أنت قاس، وغبي، وبلا تفكير. هل تستطيع البقاء هكذا؟ إذا فعلت، انظر ما الذي يحدث عندئذ. حين أدرك أنني غير محب لفعل الخير، وغبي، ما الذي يحدث حين أعي أنني هكذا؟ ألا يوجد حب لفعل الخير، ألا يوجد ذكاء؟ حين أعرف عدم فعل الخير بشكل كامل، ليس لغوياً، ليس بشكل سطحي، حين أدرك أنني غير محب لفعل الخير وغير محب، ألا يوجد حب في تلك الرؤية نفسها لما هو كائن ؟ ألا أصبح على الفور محباً لفعل الخير؟ إذا رأيت ضرورة في أن أكون نظيفاً، هذا بسيط جداً؛ أذهب وأغسل. لكن إذا كان يجب عليّ أن أكون نظيفاً مثلاً، ما الذي يحدث؟ إن النظافة لا تُؤجل وليست سطحية.

إن الفعل المستند إلى فكرة سطحي جداً، ليس صحيحاً، إنه تكوين للأفكار فقط، إنه سيرورة التفكير التي تجري فحسب.

إن الفعل الذي يحوّلنا ككائنات بشرية، الذي يسبب الانبعاث والشفاء والتحول ـ سمّه ما شئت ـ إن فعلاً كهذا يستند إلى فكرة. إنه فعل، بصرف النظر عن تتالي المكافأة والعقاب. إن فعلاً كهذا لازماني، لأن الذهن، الذي هو سيرورة الزمن، لا تدخل فيه عملية الحساب، عملية الفصل والعزل.

إن هذا السؤال لا يُحل بسهولة. يطرح معظمكم الأسئلة وتتوقعون جواباً: نعم أو لا. من السهل طرح أسئلة مثل: "ما الذي تعنيه؟" ثم تعود إلى مقعدك وتتركني أشرح ولكنه من الصعب أكثر اكتشاف الجواب بأنفسكم، ادخلوا في المشكلة بعمق، بوضوح وبدون أي فساد فتتوقف

المشكلة عن الوجود. لا يمكن أن يحدث هذا حين يكون الذهن هادئاً في وجه المشكلة. إن المشكلة، إن أحببتموها، جميلة كالغروب. إذا كنتم عدوانيين إزاء المشكلة، لن تفهموها أبداً. إن معظمنا عدائيون لأننا خائفون من النتيجة، مما يمكن أن يحصل إذا تابعنا، وهكذا نفقد أهمية و صلب المسألة.

26. القديم والجديد

سؤال: حين أصغي إليك، كل شيء يبدو واضحاً وجديداً. في المنزل، يؤكد القلق القديم والبليد نفسه. ما الذي يجري لي؟

كريشنامورتي: ما الذي يجري في حيواتنا حقاً؟ ثمة تحد واستجابة باستمرار. هذا هو الوجود، هذه هي الحياة، أليس كذلك؟ ـ تحد واستجابة متواصلان. إن التحدي جديد دوماً والاستجابة قديمة دوماً. أقابلك البارحة وتأتي لرؤيتي اليوم. أنت مختلف، معدّل، لقد تغيّرت، تجددت؛ ولكن لدي صورتك كما كنت أمس. بالتالي أمتص الجديد في القديم. لا أقابلك من جديد ولكنني أملك عنك صورة الأمس، وهكذا فإن استجابتي للتحدي مشروطة دوماً. هنا، للحظة، تتوقف عن كونك براهمياً، ومسيحياً، ومن طبقة مغلقة رفيعة، أو أي شيء آخر ـ تنسى كل شيء. تصغي فقط، وتُمتص، وتحاول الاكتشاف. وحين تواصل حياتك اليومية، وتصبح ذاتك القديمة ـ تعود إلى عملك، وطبقتك المنغلقة، ونظامك، وأسرتك. بتعبير آخر، يمتصُّ القديمُ الجديدَ دوماً، وتسود العادات، والأفكار، والتقاليد، والذكريات القديمة. فالجديد لا يوجد أبداً، لأنك دوماً تواجهه بالقديم. إن المشكلة في هذا السؤال هي كيف تحرر الفكر من القديم بحيث تكون جديداً طول الوقت. حين ترى زهرة، وحين تشاهد وجهاً، وحين ترى السماء، شجرة، ابتسامة، كيف تقابلها من جديد؟ لماذا يمتص القديم الجديد ويعدّله؛ لماذا يتوقف الجديد حين تذهب إلى المنزل؟

تنشأ الاستجابة القديمة من المفكر. أليس المفكر هو دوماً القديم؟ لأن فكرك مؤسس على الماضي، حين تواجه الجديد فإن المفكر هو الذي يواجهه؛ تجربة الأمس هي التي تواجهه. إن المفكر هو دوماً القديم. وهكذا نعود إلى المشكلة ذاتها بطريقة مختلفة: كيف نحرر الذهن من نفسه

كمفكر؟ كيف نستأصل الذاكرة، لا الذاكرة الوقائعية، وإنما الذاكرة النفسية، التي هي تراكم التجربة؟ بدون تحرر من ملاذ التجربة، لا يمكن أن يتم تلقي الجديد. من الصعب تحرير الفكر، والتحرر من سيرورة التفكير لمواجهة الجديد، أليس كذلك؟ لأن معتقداتنا، وتقاليدنا، وطرقنا في التربية سيرورة محاكاة، ونسخ، واستظهار، وتعزيز احتياطي الذاكرة. إن تلك الذاكرة تستجيب باستمرار للجديد؛ إن استجابة تلك الذاكرة نسمّيها التفكير. وذلك التفكير يواجه الجديد. إذاً، كيف يمكن أن يكون هناك جديد؟ حين لا يكون هناك رواسب ذاكرة يمكن أن تكون هناك جدة. توجد الرواسب حين لا تنتهي التجربة؛ أي حين يكون فهم التجربة غير كامل. حين تكون التجربة كاملة، لا يوجد رواسب، هذا هو جمال الحياة. إنّ الحب ليس مسكناً، ليس تجربة، إنه حالة وجود. إنّ الحب أبدياً جديد. بالتالي مشكلتنا هي: هل يستطيع المرء أن يواجه الجديد دوماً، حتى في المنزل؟ أكيد أنه يستطيع ذلك. لفعل هذا، يجب أن يُحدث ثورة في الفكر؛ وفي الشعور، ولا تستطيع أن تكون متحرّراً إلا حين يتم التفكير بكل حادث من لحظة إلى أخرى، حين تُفهم الاستجابات كلّها بشكل كامل، لا أن يُنظر إليها بشكل عابر وتُرمى جانباً. لا يمكن التحرر من الذاكرة التراكمية إلا حين يتم إكمال الأفكار جميعها، والمشاعر كلها، ويُفكَّر بها إلى النهاية. بتعبير آخر، حين يتم التفكير بالأفكار والمشاعر جميعها، ويتم إكمالها، تكون هناك نهاية، ويكون مكان بين ذلك الإنهاء والفكرة التالية.في مكان الصمت ذاك، ثمة تجديد، ويحصل الإبداع الجديد.

ليس هذا نظرياً، ليس هذا غير عملي. إذا حاولت أن تفكر بالأفكار والمشاعر كلّها، ستكتشف أن هذا يجري بشكل فائق للعادة في حياتنا اليومية، عندها أنت جديد وما هو جديد مستمر بشكل أبدي. أن تكون جديداً إبداع والإبداع يعني السعادة؛ إن الإنسان السعيد لا يهمه إن كان فقيراً أو غنياً، لا يهمه إلى أي مستوى من المجتمع ينتمي، إلى أية طبقة

مغلقة أو بلاد. لا قادة له، لا آلهة، لا معابد، لا كنائس وبالتالي لا خصومات ولا عداوة.

هذه هي الطريقة الأكثر عملية لحل صعوباتنا في عالم الفوضى الحالي. هل لأننا لسنا خلاقين، بالمعنى الذي أستخدم به الكلمة، نحن معادون للمجتمع على المستويات المختلفة لوعينا؟ كي نكون عمليين جداً وفعالين في علاقاتنا الاجتماعية، في علاقتنا مع الأشياء كلّها، يجب أن يكون المرء سعيداً؛ لا يمكن أن تكون هناك سعادة إذا لم يكن هناك إنهاء، لا يمكن أن تكون هناك سعادة إذا كانت هناك سيرورة مستمرة من الصيرورة. في الإنهاء، ثمة تجديد، وولادة جديدة، وجدة، ومتعة.

يتم امتصاص الجديد في القديم ويدمِّر القديم الجديد، طالما أن هناك خلفية، طالما أن الذهن، المفكر، مشروط بفكره. للتحرر من الخلفية، من التأثيرات الاشتراطية، من الذاكرة، يجب أن يكون هناك تحرر من الاستمرارية. هناك استمرارية طالما أن الفكر والمشاعر غير منتهية بشكل كامل. تُكمل فكرة حين تلاحقها إلى نهايتها وبالتالي تنهي الأفكار والمشاعر كلها. إن الحب ليس عادة، ولا ذاكرة؛ إن الحب دوماً جديد. لا يمكن أن يحدث لقاء مع الجديد إلاّ حين يكون العقل جديداً؛ والذهن ليس جديداً طالما أن هناك رواسب الذاكرة. إن الذاكرة وقائعية، وكذلك نفسية. أنا لا أتحدث عن الذاكرة الوقائعية بل عن الذاكرة النفسية. وهكذا طالما أن التجربة غير مفهومة بشكل كامل، ثمة رواسب، هي القديم، هي من الأمس، الشيء الذي هو ماض؛ إن الماضي دوماً يمتص الجديد وبالتالي يدمره. حين يتحرر الذهن من القديم فحسب يُقابل كل شيء من جديد، وتولد المتعة.

27. التسمية

سؤال: كيف يستطيع المرء أن يعي العاطفة دون أن يسميها أو يطلق عليها لقباً؟ إذا كنت واعياً لشعور، أبدو كأنني أعرف ما هو ذلك الشعور قبل أن ينشأ. أم هل تعني شيئاً مختلفاً حين تقول: "لا تُسَمّوا"؟

كريشنامورتي: لماذا نسمّي أي شيء؟ لماذا نسمي زهرة، وشخصاً، وشعوراً؟ إما لإيصال مشاعرنا، ولوصف الزهرة وهلمّجرّا؛ وإما لكي نتماهى مع ذلك الشعور. أليس كذلك؟ أسمي شيئاً، وشعوراً، لكي أوصله. "أنا غاضب". أو أتماهى مع ذلك الشعور لكي أقوّيه أو لكي أجد له حلاً أو لكي أفعل شيئاً حياله. نمنح اسماً لشيء، ولوردة، كي نوصله إلى الآخرين، أو عبر منح هذا الاسم، نعتقد أننا فهمناه؛ وصنفناه ونعتقد أننا بهذا فهمنا محتوى وجمال تلك الزهرة.

حين نسمّي شيئاً، نضعه في فئة فحسب ونعتقد أننا فهمناه؛ لا ننظر إليه بدقة أكبر. إذا لم نمنحه اسماً، على أي حال، فنحن مجبرون عل النظر إليه. أي أننا نقارب الزهرة أو أي شيء آخر بجدة، بنوع جديد من الفحص؛ ننظر إليها كأننا لم ننظر إليها من قبل. إن التسمية طريقة ملائمة جداً للتخلص من الأشياء والناس. حين تقول إنهم ألمان، ويابانيون، وأمريكيون، وهندوس، تمنحهم اسماً وتدمر ذلك الاسم. إذا لم تمنح اسماً للناس تُجبر على النظر إليهم وعندها يكون من الأصعب قتل أحد ما. تستطيع تدمير الاسم بقنبلة وتشعر بأنك فاضل، ولكن إذا لم تمنح اسماً ونظرتَ إلى الشيء الفردي ـ سواء كان رجلاً أو زهرة أو حادثاً أو عاطفة ـ عندها أنت مجبر على التفكير بعلاقتك معه، وبالفعل الذي يتبع. وهكذا فإن التسمية أو منح الاسم طريقة ملائمة جداً للتخلص من أي شيء أو إنكاره أو شجبه أو تبريره. هذا جانب من السؤال.

ما هو الجوهر الذي تسمي منه، ما هو المركز الذي يسمي دوماً، ويختار ويطرح الألقاب؟ نشعر جميعاً بأن هناك مركزاً، جوهراً، أليس كذلك؟ نعمل منه،ونحكم منه، ونسمي منه. ما هو ذلك المركز، ذلك الجوهر؟ سيحب البعض أن يعتقدوا أنه جوهر روحاني، الله، أو ما تشاؤون. دعونا نكتشف ما هو هذا الجوهر، وذلك المركز، الذي يسمي، ويطلق المصطلحات والأحكام. إن هذا الجوهر هو الذاكرة، أليس كذلك؟ إنه سلسلة من الإحساسات، المحددة والمطوقة، ـ الماضي، يمنح حياة عبر الحاضر. إن الجوهر، المركز، يتغذى على الحاضر عبر التسمية، وإطلاق الأسماء، والتذكر.

سنرى في الحال، فيما نكشفه، أنه طالما أن هذا المركز، هذا الجوهر، يوجد، لا يمكن أن يكون هناك فهم. وحين نتخلّص من هذا الجوهر يأتي فهم، لأن هذا الجوهر هو الذاكرة؛ ذاكرة تجارب مختلفة مُنحت أسماء وهويات. بهذه التجارب المسماة، من المركز، ثمة قبول ورفض، تصميم كي تكون أو لا تكون، وفق الإحساسات، والمتع والآلام الخاصة بذاكرة التجربة. وهكذا فإن ذلك المركز هو الكلمة. إذا لم تطلق تسمية على ذلك المركز، هل هناك مركز؟ إذا لم تفكر من زاوية الكلمات، إذا لم تستخدم الكلمات، هل تستطيع التفكير؟ يأتي التفكير إلى الوجود عبر التعبير اللفظي؛ أو يبدأ التعبير اللفظي بالاستجابة للتفكير. إن المركز، والجوهر، هو ذاكرة تجارب لا تُحصى من المتعة والألم، معبّرٌ عنها لفظياً. راقب ذلك في نفسك، وستكتشف أن الكلمات والتسميات صارت أكثر أهمية من الجوهر؛ وأننا نحيا على الكلمات.

بالنسبة إلينا، صارت كلمتا الحقيقة والله، أو الشعور الذي تثيره هاتان الكلمتان، في غاية الأهمية. حين نقول كلمة "أمريكي"، "مسيحي"، "هندوسي"، أو كلمة "غضب"، فنحن الكلمة التي تمثّل الشعور. ولكن لا نعرف ما هو ذلك الشعور، لأن الكلمة صارت مهمّة. حين تدعو نفسك

بوذياً أو مسيحياً ما الذي تعنيه الكلمة، ما هو المعنى الكامن خلف تلك الكلمة، الذي لم تقم بفحصه أبداً؟ إن مركزنا، الجوهر، هو الكلمة، والتسمية. إذا لم تهم التسمية، إذا كان ما يهم هو ذلك الذي خلف التسمية، عندها تكونون قادرين على التحقق، ولكن إذا تماهيتم مع التسمية وتعلقتم بها، لا تستطيعون الاستمرار. ونحن نتماهى مع التسمية: المنزل، والشكل، والاسم، والأثاث، والحساب المصرفي، وآرائنا، ومحفزاتنا وهكذا دواليك. نحن كل تلك الأمور، تلك الأشياء التي يجسدها اسم. صارت الأشياء مهمّة، وهكذا فإن الأسماء، والألقاب؛ وبالتالي المركز، والجوهر، هم الكلمة.

إذا لم تكن هناك كلمة، وتسمية، لا يوجد مركز، أليس كذلك؟ ثمة تحلل، فراغ، ليس فراغ الخوف، الذي هو أمر مختلف تماماً. ثمة إحساس بكونك لا شيء؛ لأنك أزلت التسميات كلّها، أو لأنك فهمت لماذا تُسمّي المشاعر والأفكار، أنت جديد بشكل كامل، أليس كذلك؟ ليس هناك مركز تعمل عبره. إن المركز، الذي هو الكلمة، تم حلّه. أُزيلت التسمية وموقعك كمركز؟ أنت هناك ولكن حدثَ تحوّلٌ. إن هذا التحوّل مخيف قليلاً؛ بالتالي، لا تستمر بما هو متضمن فيه؛ لقد بدأت الحكم عليه، لكي تقرر إن كنت تحبه أم لا. لا تستمر بفهم ما هو آت ولكن تحكم مسبقاً، مما يعني أنه لديك مركز تعمل انطلاقاً منه. بالتالي تبقى ثابتاً في اللحظة التي تحكم فيها؛ إن كلمتي "تحب" و"تكره" تصبحان مهمتين. ولكن ماذا يحدث حين لا تسمي؟ تنظر إلى عاطفة، إلى إحساس، بشكل مباشر أكثر، وبالتالي تمتلك علاقة مختلفة تماماً معه، كما تكون العلاقة مع الزهرة حين لا تسميها. تُجبر على النظر إليها من جديد. حين لا تسمي مجموعة من الناس، أنت مجبر على النظر إلى وجه كل فرد، وأن لا تعاملهم جميعهم ككتلة. بالتالي أنت أكثر تيقظاً، أكثر رصداً، وفهماً؛ لديك شعور أعمق بالشفقة، والحب؛ ولكن إذا عاملتهم جميعاً ككتلة، انتهى الأمر.

إذا لم تسمّ، يجب أن تحترم كل شعور حين ينشأ. حين تسمي، هل الشعور يختلف عن التسمية؟ أم هل يوقظ الاسم الشعور؟ فكروا من فضلكم بالأمر. حين نسمي، يوتّر معظمنا الشعور. الشعور والتسمية فوريان. لو كانت هناك فجوة بين التسمية والشعور لاستطعتم اكتشاف إن كان الشعور مختلفاً عن التسمية، وعندها ستكونون قادرين على التعامل مع الشعور، بدون تسميته.

إن المشكلة هي هذه، أليس كذلك؟ كيف نتحرر من شعور نسمّيه، كالغضب؟ لا كيف نخضعه، ونصعّده، ونكبته، وهذه حلول غير ناضجة وبلهاء، وإنما كيف نتحرر منه؟ كي نتحرر منه بشكل حقيقي، علينا أن نكتشف إن كانت الكلمة أكثر أهمية من الشعور. إن كلمة "غضب" لها أهمية أكثر من الشعور نفسه. وكي نكتشف يجب أن تكون هناك فجوة بين الشعور والتسمية. هذا جزء.

إذا لم أسمّ شعوراً، أي أن أقول إن التفكير لا يعمل فقط بسبب الكلمات أو إذا لم أفكر من زاوية الكلمات والصور والرموز، الأمر الذي يفعله معظمنا، ماذا يحدث؟ أكيد إن الذهن ليس مجرد راصد. حين لا يفكر الذهن من زاوية الكلمات والرموز والصور لا يوجد مفكر منفصل عن الفكرة، التي هي الكلمة. حينئذ يكون الذهن هادئاً، أليس كذلك؟ ـ لا *يُجعل* هادئاً، إنه هادئ. حين يكون الذهن هادئاً، فإن المشاعر التي تنشأ يمكن التعامل معها على الفور. حين نسمي المشاعر ونقويها تحصل المشاعر على الاستمرارية؛ تُخزن في المركز، الذي يأتي منه المزيد من التسميات، إما لتقويتها وإما لإيصالها. حين يتوقف الذهن عن كونه المركز، بما أن المفكر مصنوع من الكلمات، من التجارب الماضية، التي هي الذكريات، والتسميات، التي تُخزن وتوضع في فئات، وأبواب، حين لا يمارس أيّاً من هذه الأمور، يكون هادئاً. لم يعد مربوطاً، لم يعد لديه مركز كمثل "الأنا" ـ بيتي، إنجازي، عملي ـ الذي ما يزال كلمات، تمنح الدافع للشعور

وبالتالي تقوّي الذاكرة. حين لا يحدث أي من هذه الأمور، يكون الذهن هادئاً جداً. إن تلك الحالة ليست سلباً. على العكس، للوصول إلى تلك النقطة، يجب أن تمروا في كل هذا، وهذه سيرورة ضخمة؛ إنها ليست مجرد تعلّم بعض الكلمات وتكرارها كطفل مدرسة: "لا تسمّي"،"لا تسمّي". إذا اتبعت كل المعاني الضمنية للذهن، إذا جربته، إذا فهمت كيف يعمل ووصلتَ إلى تلك النقطة التي تتوقّف فيها عن التسمية، فإن هذا يعني أنه لم يعد هناك مركز بمعزل عن التفكير وأكيد أن السيرورة تحتاج إلى تأمل حقيقي.

حين يكون الذهن هادئاً حقاً، يمكن لما لا يُعبر عنه أن يأتي إلى الوجود. إن أية سيرورة أخرى، أي بحث آخر عن الحقيقة، هو مجرد إسقاط ذاتي، مصنوع محلياً وبالتالي غير حقيقي. ولكن هذه السيرورة صعبة وتعني أن الذهن يجب أن يكون واعياً بشكل مستمر لكل شيء يحدث له داخلياً. للوصول إلى هذه النقطة، لا يمكن أن يكون هناك حكم أو تبرير من البداية إلى النهاية. لا يعني هذا أن هذا نهاية، لأن هناك شيئاً فائقاً للعادة ما يزال يجري. ليس هذا وعداً. إنه لك كي تجرب، كي تدخل في نفسك إلى أعمق وأعمق وأعمق، بحيث أن الطبقات الكثيرة للمركز تنحلُّ كلُّها. وتستطيع أن تفعل هذا بسرعة أو بكسل. إنه لمن المهم بشكل فائق للعادة مراقبة سيرورة الذهن، وكيف يعتمد على الكلمات، وكيف تحفّز الكلمات الذاكرة أو تبعث التجربة الميتة وتمنحها الحياة. في تلك السيرورة يعيش الذهن إما في المستقبل أو في الماضي. بالتالي إن للكلمات دلالة هامّة عصبياً ونفسياً. ومن فضلكم لا تتعلّموا هذا منّي أو من كتاب. لا تستطيعون تعلّمه من بعضكم بعضاً أو العثور عليه في كتاب. ما تتعلّمونه أو تعثرون عليه في كتاب لن يكون حقيقياً. ولكنكم تستطيعون تجريبه، تستطيعون مراقبة أنفسكم في الفعل، وفيما أنتم تفكرون، ترون كيف تفكرون، وكيف تسمّون بسرعة الشعور حين ينشأ، ومراقبة السيرورة كلها تحرّر الذهن من مركزه. بعد أن يهدأ الذهن، يستطيع أن يتلقّى ما هو أبدي.

28. المعلوم والمجهول

سؤال: لا يعرف عقلنا إلا المعلوم. ما الذي يدفعنا للعثور على المجهول، الحقيقة أم الله؟

كريشنامورتي: هل يحثّك ذهنك نحو المجهول؟ هل فينا توق نحو المجهول، والحقيقة، والله؟ من فضلكم فكروا بهذا بشكل جدي. ليس هذا سؤالاً بلاغياً ولكن دعونا نكتشف. هل هناك توق داخلي في كل واحد منا لاكتشاف المجهول؟ كيف تستطيعون العثور على المجهول؟ إذا كنتم لا تعرفون، كيف تستطيعون العثور عليه؟ هل هناك إلحاح من أجل الحقيقة، أم مجرد رغبة بالمعلوم، موسّعة؟ هل تفهمون ما أقوله؟ لقد عرفت أموراً كثيرة؛ لكنها لم تمنحني السعادة، والرضا، والمتعة. وهكذا فأنا أريد الآن شيئاً ما آخر سيمنحني متعة أعظم، وسعادة أعظم، وحيوية أعظم ـ أو ما تشاؤون. هل يستطيع المعلوم، الذي هو ذهني ـ لأن ذهني معلوم، نتاج الماضي ـ، هل يستطيع هذا الذهن أن ينشد المجهول؟ إذا لم أعرف الحقيقة، المجهول، كيف أستطيع البحث عنه؟ يجب أن يأتي، لا أستطيع الذهاب وراءه. إذا لاحقته، فإنني ألاحق شيئاً ما هو المعلوم، مسقطاً عليّ.

إن مشكلتنا ليست ما الذي فينا يدفعنا للعثور على المجهول. هذا واضح بما يكفي. إنها رغبتنا بأن نكون أكثر أمناً، واستمرارية، ورسوخاً، وسعادة، وللهرب من الاضطراب، والألم، والتشوش. هذا دافعنا الواضح. حين يوجد ذلك الدافع، ذلك الإلحاح، ستكتشفون مهرباً مدهشاً، وملاذاً مدهشاً، في بوذا، وفي المسيح أو في الشعارات السياسية، وهلمّجرّا. هذا ليس الحقيقة؛ هذا ليس ما هو غير قابل للمعرفة، المجهول. بالتالي، إن الإلحاح من أجل المجهول يجب أن ينتهي، يجب أن يتوقف البحث عن

المجهول؛ مما يعني أنه يجب أن يكون هناك فهم للمعلوم المتراكم، الذي هو الذهن. يجب أن يفهم الذهن نفسه كمعلوم، لأن هذا كل ما يعرفه. لا تستطيع التفكير بشيء ما لا تعرفه. تستطيع فقط أن تفكر بشيء ما تعرفه.

إن الصعوبة التي تواجهنا هي أن الذهن لا يتواصل في المعلوم؛ لا يمكن أن يحدث هذا إلا حين يفهم الذهن نفسه وكيف أن حركاته كلّها من الماضي، تُسقط نفسها عبر الحاضر، إلى المستقبل. إنها حركة متواصلة للمعلوم؛ هل يمكن أن تنتهي تلك الحركة؟ لا يمكن أن تنتهي إلا حين تُفهم سيرورة آليتها، لا يمكن أن تنتهي إلا حين يفهم الذهن نفسه ومشاغله، وطرقه، وأهدافه، واهتماماته، ومتطلباته، لا المتطلبات السطحية فقط، وإنما الإلحاحات والدوافع العميقة. وهذه مهمة صعبة جداً. لا تُكتشف عبر اجتماع أو محاضرة أو قراءة كتاب فحسب، بل على العكس، تحتاج إلى مراقبة مستمرة، ووعي مستمر لحركات الفكر جميعها، ليس حين تستيقظ فحسب ولكن أيضاً حين تكون نائماً. يجب أن تكون سيرورة كلية، لا جزئية متقطّعة.

يجب أن تكون النية سليمة أيضاً. أي يجب أن تتوقف خرافة أننا جميعاً نريد داخلياً المجهول. فالاعتقاد بأننا جميعاً ننشد الله وهم ـ نحن لا نفعل هذا. لسنا مضطرين للبحث عن الضوء. سيكون هناك ضوء حيث لا توجد ظلمة وعبر الظلمة لا نستطيع العثور على الضوء. كل ما نستطيع فعله هو إزاحة تلك الحواجز التي تسبب الظلمة وتعتمد الإزالة على النية. إذا كنت تزيلها كي ترى الضوء، فإنك عندها لا تزيل أي شيء، أنت فقط تستبدل كلمة ظلمة بكلمة ضوء.حتى النظر خلف الظلمة هرب من الظلمة.

يجب أن نفكر، لا بما يحفّزنا، وإنما لماذا فينا تشوش، واضطراب، ونزاع وعداء ـ كل تلك الأمور الغبية لوجودنا. حين لا تغيب هذه، يكون هنا ضوء، ليس علينا أن نبحث عنه. حين يذهب الغباء، يوجد الذكاء. ولكن الرجل الغبي والذي يحاول أن يكون ذكياً يظلّ غبياً. لا يمكن أن يصير الغباء حكمة أبداً؛ حين ينتهي الغباء توجد الحكمة، والذكاء. إن

الإنسان الغبي الذي يحاول أن يصير ذكياً وحكيماً لا يمكن أن يكون هكذا أبداً على ما يبدو. لمعرفة ما هو الغباء، يجب أن يدخل المرء فيه، ليس سطحياً وإنما بشكل كامل وعميق؛ يجب أن يدخل المرء في الطبقات المختلفة للغباء، وحين يتوقف الغباء، تكون هناك حكمة.

وعليه، من الضروري اكتشاف لا إذا كان هناك شيء أكبر وأعظم من المعلوم، يحثّنا على المجهول، وإنما ما الذي في داخلنا يسبب التشوش والحروب والفروق الطبقية، والتنفّج، وملاحقة الشهرة، ومراكمة المعرفة، والهرب عبر الموسيقى، والفن، وعبر طرق كثيرة. من الضروري أن نفهم هذه الأمور كما هي وأن نعود إلى أنفسنا كما نحن. من هناك نستطيع الاستمرار. عندها يكون نبذ المعلوم سهلاً نسبياً. حين يصمت الذهن، حين لا يُسقط نفسه على المستقبل، راغباً بشيء ما؛ حين يهدأ الذهن حقاً، ويكون مسالماً بشكل عميق، فإن المجهول يأتي إلى الوجود. ليس عليك أن تبحث عنه. لا تستطيع أن تدعوه. إن الذي تستطيع أن تدعوه هو فقط ذلك الذي تعرفه. لا تستطيع أن تدعو ضيفاً مجهولاً. تستطيع أن تدعو فقط شخصاً تعرفه. ولكنك لا تعرف المجهول، والله، والحقيقة، أو ما تشاء. يجب أن يأتي. لا يمكن أن يأتي إلا إذا كان الحقل ملائماً، إلا إذا كانت التربة محروثة، ولكن إذا حرثتم من أجل أن يأتي فلن تحصلوا عليه.

إن مشكلتنا ليست كيف ننشد ما هو غير قابل للمعرفة، وإنما فهم السيرورات التراكمية للذهن، والذي هو المعلوم أبداً. هذه مهمة صعبة: تتطلب انتباهاً مستمراً، وعياً مستمراً ليس فيه إحساس بالإلهاء، بالتماهي، بالشجب؛ *إنه الوجود مع ما هو موجود*. حينئذ فحسب يمكن أن يهدأ الذهن. لا يستطيع التأمل والنظام جعل الذهن هادئاً، بالمعنى الحقيقي للكلمة. إذ إن البحيرة لا تهدأ إلا حين تتوقف النسمات. لا تستطيعون جعل البحيرة هادئة. ليس عملنا هو أن نلاحق ما هو غير قابل للمعرفة وإنما أن نفهم التشوش، والاضطراب، والبؤس، في أنفسنا؛ وعندئذ يأتي الشيء بشكل غامض إلى الوجود، وفيه تكمن المتعة.

29. الكذب والحقيقة

سؤال: كيف تصبح الحقيقة كذبة حين تُكرر، كما قلت؟ ما هي الكذبة؟ لماذا من الخطأ الكذب؟ أليست هذه المشكلة العميقة والدقيقة موجودة على جميع مستويات وجودنا؟

كريشنامورتي: هناك سؤالان في هذا السؤال، فدعونا نفحص الأول، الذي هو: حين تُكرر الحقيقة، كيف تصبح كذبة؟ ما هو الشيء الذي نكرره؟ هل تستطيع أن تكرر الفهم؟ أنا أفهم شيئاً ما. هل أستطيع تكراره؟ أستطيع التعبير عنه، أستطيع إيصاله ولكن التجربة ليست ما هو مكرر ؟ نعلقُ في الكلمة ونفقد دلالة التجربة. إذا كانت لديك تجربة، هل تستطيع تكرارها؟ يمكن أن ترغب بتكرارها، للإحساس بها، ولكن حالما تمر في تجربة، تنتهي، لا يمكن أن تُكرر. ما يُمكن أن يكرر هو الإحساس والكلمة المتواشجة التي تمنح الحياة لذلك الإحساس. وبما أن معظمنا، لسوء الحظ، دعائيون، فنحن عالقون في تكرار الكلمة. وهكذا نعيش على الكلمات، وتُنكر الحقيقة.

خذ، مثلاً، شعور الحب. هل تستطيع تكراره؟ حين تسمع الكلمات: "أحببْ جارك"، هل هذه حقيقة بالنسبة إليك؟ إنها حقيقة فقط حين تحب جارك؛ ولكن ذلك الحب لا يمكن أن يُكرر، الكلمة فقط تُكرّر.مع ذلك معظمنا سعداء، راضون، بالتكرار: "أحبوا جيرانكم"، أو "لا تكونوا جشعين". وهكذا فإن حقيقة تجربة أخرى فعلية مررتم بها، عبر التكرار فقط، لا تصبح حقيقة. على العكس، إن التكرار يحجب الحقيقة. إن مجرد تكرار أفكار معينة ليس الحقيقة.

إنّ الصعوبة الكامنة في هذا هي أن نفهم السؤال بدون التفكير من زاوية النقيض. فالكذبة ليست شيئاً معارضاً للحقيقة. ويستطيع المرء أن يرى

حقيقة ما قيل، ليس في معارضة أو تغاير، ككذبة أو حقيقة؛ ولكن فقط يرى أن معظمنا يكررون من دون فهم. مثلاً، ناقشنا تسمية وعدم تسمية شعور وهلمّجرّا. سيكرره كثيرون منكم، أنا متأكد، معتقدين أنه الحقيقة. لن تكرروا أبداً تجربة إذا كانت تجربة مباشرة. يمكن أن تعبروا عنها ولكن حين تكون تجربة حقيقية فإن الإحساسات التي خلفها تذهب، يتلاشى المحتوى العاطفي الذي خلف الكلمات بشكل كامل.

خذوا مثلاً فكرة أن المفكر والفكرة واحد. يمكن أن تكون حقيقة لكم. يمكن أن تكون حقيقة لكم، لأنكم جربتموها بشكل مباشر. لكن إذا تكررتْ، لن تكون صحيحة، أليس كذلك؟ صحيحة، ليس كمناقضة للمزيفة، من فضلكم. لن تكون حقيقية، ستكون مجرد تكرار، وبالتالي لن تكون لها قيمة. كما ترون،نخلق، بالتكرار، عقيدة قطعية، نبني كنيسة ونلوذ إليهما. إن الكلمة، لا الحقيقة، هي التي تصبح "حقيقة". إن الكلمة ليست الشيء. بالنسبة إلينا، إن الشيء هو الكلمة ولهذا يجب على المرء أن يكون في غاية الحرص كي لا يكرر شيئاً ما لا يفهمه. إذا فهمتم شيئاً ما، تستطيعون إيصاله، ولكن الكلمة والذاكرة فقدتا معناهما العاطفي. بالتالي إذا فهم المرء ذلك في المحادثة العادية،فإن مظهر المرء وقاموسه يتغيران.

بما أننا ننشد الحقيقة عبر معرفة الذات ولسنا مجرد دعائيين، من المهم أن نفهم هذا. فعبر التكرار يفتن المرء نفسه بالكلمات أو بالأحاسيس. يعلق المرء في الأوهام. كي نتحرّر من هذا، من الملحّ أن نجرّب بشكل مباشر، وكي يجرِّب المرء بشكل مباشر يجب أن يكون واعياً لنفسه في سيرورة التكرار، والعادات، أو الكلمات، والأحاسيس. إن ذلك الوعي يمنح المرء حرية فائقة للعادة، بحيث يكون هناك تجديد، وتجريب مستمر،وجدة.

السؤال الآخر هو: "ما هي الكذبة في الواقع؟ لماذا من الخطأ أن نكذب؟ أليست هذه مشكلة عميقة وماكرة على جميع مستويات وجودنا؟"

ما هي الكذبة؟ إنها تناقض، أليس كذلك؟ تناقض ذاتي. يستطيع المرء أن يناقض بوعي أو بدون وعي؛ يمكن أن يكون هذا متعمداً أو لاواعياً؛

يمكن أن يكون التناقض إما ماكراً جداً أو واضحاً. حين يكون الانقسام في التناقض كبيراً، فإنّ المرء يصبح حينئذ إما غير متوازن وإمّا يدرك الانقسام وينطلق لإصلاحه.

لفهم مشكلة الكذب، ولماذا نكذب، على المرء أن يدخل فيها دون التفكير من زاوية النقيض. هل نستطيع النظر في مشكلة التناقض هذه في أنفسنا من دون أن نكون متناقضين؟ إن الصعوبة التي تعترضنا في فحص هذا السؤال هي أننا مُهيّأون لكي نشجب كذبة، ولكن كي نفهمها، هل نستطيع التفكير بها من زاوية ما هو التناقض لا من زاوية الحقيقة والزيف؟ لماذا نتناقض؟ لماذا هناك تناقض في أنفسنا؟ ألا توجد محاولة للعيش وفق معيار، نموذج، اقتراب مستمر من أنفسنا إلى نموذج، جهد متواصل كي نكون شيئاً ما، إما في عين آخر أو في أعيننا؟ ثمة رغبة، أليس كذلك؟ للانسجام مع نموذج؛ حين لا يعيش المرء وفق معيار، ثمة تناقض.

لماذا لدينا نموذج، معيار، اقتراب، فكرة نحاول العيش بمقتضاها؟ لماذا؟ كي نكون آمنين، مشهورين، لامتلاك رأي جيد عن أنفسنا، وهلمّجرّا. هنا بذرة التناقض. طالما أننا نماثل أنفسنا مع شيء ما، ونحاول أن نكون شيئاً ما، يجب أن يكون هناك تناقض؛ بالتالي يجب أن يكون هناك فصل بين المزيف والحقيقي. أعتقد أن هذا سيكون مهمّاً، إذا دخلتم فيه بهدوء. لا يعني هذا أنه لا يوجد المزيف والحقيقي؛ ولكن لماذا التناقض في أنفسنا؟ أليس لأننا نحاول أن نكون شيئاً ما، أن نكون نبلاء، وجيدين، وفاضلين، ومبدعين، وسعيدين، وهلمّجرّا؟ في الرغبة ذاتها كي نكون شيئاً، ثمة تناقض: أن لا نكون شيئاً آخر. إن هذا التناقض مدمر. إذا كان المرء قادراً على التماهي الكامل مع شيء ما، مع هذا أو ذاك، فإن التناقض يتوقف؛ حين نتماهى بشكل كامل مع شيء ما، يوجد تطويق للذات، مقاومة، تؤدي إلى فقدان التوازن، وهذا أمر واضح.

لماذا يوجد تناقض في أنفسنا؟ فعلت شيئاً ما ولا أريده أن يُكتشف؛ فكرت بشيء ما لا يُظهرالعلامة التي تضعني في حالة تناقض، لا أحبها. حيث يوجد اقتراب، يجب أن يكون هناك خوف وهذا الخوف هو الذي يناقض. بينما إذا لم تكن هناك صيرورة، أو محاولة لكي أكون شيئاً ما، يغيب الإحساس بالخوف؛ لا يوجد تناقض؛ لا توجد كذبة فينا على أي مستوى، واع أو غير واع، شيء يجب أن يُكبت، شيء يجب أن يظهر. وبما أن معظم حيواتنا مسألة أمزجة ومواقف، فإننا نتخذ موقفاً بحسب أمزجتنا، وهذا تناقض. وحين يختفي المزاج، نكون ما نحن عليه. إن هذا التناقض هو المهمّ في الحقيقة، وليس تفوّهك بكذبة لبقة أم لا. وطالما أن هذا التناقض موجود، يجب أن يكون هناك وجود سطحي وبالتالي مخاوف سطحية، وأكاذيب بيضاء يجب أن تُحرس، وهلمّجرًا. يجب أن ننظر في هذه المسألة، لا أن نسأل ما هي الكذبة وما هي الحقيقة، وبدون هذه الأمور المتناقضة، يجب أن ندخل في مشكلة التناقض في أنفسنا، وهذا أمر في غاية الصعوبة، لأنه بما أننا نعتمد كثيراً على الأحاسيس، فإن معظم حيواتنا متناقضة. نعتمد على الذكريات، والآراء؛ لدينا الكثير من المخاوف التي نريد أن نخفيها،وكل هذه تخلق تناقضاً في أنفسنا؛ حين يصبح ذلك التناقض غير قابل للاحتمال، يخرج المرء من رأسه. يريد المرء السلام وكل ما يفعله يؤدي إلى الحرب، ليس في الأسرة فحسب بل في الخارج أيضاً. بدلاً من فهم ما يؤدي إلى الصراع، نحاول أن نصبح شيئاً ما أو آخر،أن نصبح النقيض، بالتالي نسبّب انقساماً أكبر.

هل من الممكن فهم لماذا هناك تناقض في أنفسنا، ليس سطحياً فحسب، وإنما على مستوى نفسي أكثر عمقاً؟ أولاً، هل يعي المرء أنه يعيش حياة متناقضة؟ نريد السلام ونحن قوميون؛ نريد تجنب البؤس الاجتماعي ومع ذلك كل واحد منا فردي، ومحدود، ومحاصر ذاتياً. نحن نعيش في تناقض مستمر. لماذا؟ ليس لأننا عبيد للإحساس؟ هذا ليس كي يُقبل أو يُنكر.

يتطلب كمية كبيرة من فهم المعاني الضمنية للإحساس، التي هي الرغبات. نريد أموراً كثيرة، وكلها في تناقض مع بعضها البعض. نحن أقنعة كثيرة متصارعة؛ نرتدي قناعاً حين يناسبنا ونخلعه حين يكون هناك شيء آخر أكثر ربحاً، وأكثر إمتاعاً. إن حالة التناقض هذه، هي التي تصنع الكذبة. في مقابل هذا، نصنع "الحقيقة". ولكن الحقيقة ليست نقيض الكذبة. فالذي له نقيض ليس حقيقة. إنّ النقيض يحوي نقيضه، بالتالي ليس حقيقة وكي يفهم المرء هذه المشكلة بعمق كبير، يجب أن يعي جميع التناقضات التي يعيش فيها. حين أقول: "أحبك"، يترافق هذا مع الغيرة والحسد والقلق والخوف، وهذا تناقض. إن هذا التناقض هو الذي يجب أن يُفهم، ولا يستطيع المرء فهمه إلا حين يعيه بدون أي شجب أو تبرير، أي ينظر إليه فحسب. لكي ينظر إليه بهدوء، يجب أن يفهم المرء جميع سيرورات التبرير والشجب.

ليس من السهل أن ننظر بهدوء إلى شيء ما؛ ولكن إذا فهمناه، نبدأ بفهم سيرورة طرق مشاعره وتفكيره. حين يعي المرء الدلالة الكاملة للتناقض في الذات، فإنه يحدث تغييراً فائقاً للعادة: أنت نفسك، وليس شيئاً تحاول أن تكونه. لم تعد تتبع مثالاً، وتنشد سعادة. أنت ما أنت عليه وتستطيع الانطلاق من هنا. وعندها لا يعود هناك احتمال للتناقض.

30. الله

سؤال: لقد وصلتَ إلى الحقيقة. هل تستطيع أن تقول لنا ما هو الله؟

كريشنامورتي: كيف تعرف أنني وصلتُ إلى الحقيقة؟ لكي تعرف أنني وصلت، يجب أن تكون أنت قد وصلت أيضاً. ليس هذا جواباً ذكياً فحسب. كي تعرف شيئاً ما يجب أن تكون منه. يجب أن تمرّ بالتجربة بنفسك، ولكن يبدو كأن قولك بأنني وصلت لا معنى له. ما الذي يهم لو أنني وصلتُ أو لم أصل؟ أليس ما أقوله هو الحقيقة؟ حتى لو كنت الكائن البشري الأكثر كمالاً، إذا كان ما أقوله ليس الحقيقة لماذا ستصغي إلي؟ أكيد أن إدراكي لا علاقة له بما أقوله، فالإنسان الذي يعبد آخر لأن هذا الآخر قد وصلَ هو في الحقيقة يعبد السلطة، وبالتالي لا يستطيع أن يعثر على الحقيقة أبداً. إنّ فهم ما وُصِلَ إليه، ومعرفة الذي وصلَ ليس مهماً، أليس كذلك؟

أعرف أن التراث كله يقول: "كن مع شخص وصلَ إلى الحقيقة". كيف تستطيع أن تعرف أنه وصلَ؟ كل ما تستطيع فعله هو أن ترافقه وحتى هذا في غاية الصعوبة هذه الأيام. هناك قلة من الناس الجيدين، بالمعنى الحقيقي للكلمة، أشخاص لا ينشدون أي شيء، لا يلاحقون أي شيء. إن الذين ينشدون شيئاً ما أو يلاحقون شيئاً ما مُستَغلّون وبالتالي من الصعب جداً على أي شخص أن يجد رفيقاً يحبه.

نُمَثِّلنُ أولئك الذين وصلوا ونأمل أنهم سيمنحوننا شيئاً ما، وهو علاقة مزيّفة. كيف يستطيع الإنسان الذي وصلَ أن يوصل إن كان لا يوجد حب؟ هنا تكمن الصعوبة التي تواجهنا. ففي جميع مناقشاتنا نحن في الواقع لا نحب بعضنا بعضاً؛ نحن نشتبه ببعضنا بعضاً. تريد مني شيئاً، المعرفة، الوصول إلى الحقيقة، أو تريد أن ترافقني، وكل هذا يشير إلى أنك لا تحب. أنت تريد شيئاً

ما وبالتالي أنت هناك كي تستغل. إذا كنّا فعلاً نحب بعضنا بعضاً سيكون هناك اتصال فوري. حينها لا يهم إذا وصلتُ ولم أصل، أو إن كنت الأعلى أو الأدنى. بما أن قلوبنا ذَوَتْ، صار الله مهمّاً بشكل كبير. أي أنك تريد أن تعرف الله لأنك فقدت الأنشودة في قلبك وتلاحق المغني وتطلب منه إن كان بوسعه أن يعلمك كيف تغني. يستطيع أن يعلمك التقنية ولكن التقنية لن تقودك إلى الإبداع. ليس بوسعك أن تكون موسيقياً إذا كنت تستطيع الغناء فقط. يمكن أن تعرف جميع خطوات الرقصة ولكن إذا لم يكن لديك إبداع في قلبك، فلن تعمل إلا كآلة. لا تستطيع أن تحب إن كان غرضك هو تحقيق نتيجة فحسب. إن الجمال ليس إنجازاً، إنه حقيقة، الآن، وليس غداً. إذا كان هناك حب ستفهم المجهول، ستعرف ما هو الله ولست بحاجة لأحد كي يخبرك، وهذا هو جمال الحب. إنه الأبدية. ولكن لأنه لا يوجد حب، نريد شخصاً آخر، أو الله، كي يمنحه لنا. إذا أحببنا حقاً، أتعلمون كم سيكون العالم مختلفاً؟ يجب أن نكون سعداء في الحقيقة. بالتالي يجب ألا نستثمر في سعادتنا في الأشياء، في الأسرة، في المُثل. يجب أن نكون سعداء، وبالتالي فإن الأشياء والبشر والمُثل لن تهيمن على حياتنا. كلها أمور ثانوية. لأننا لا نحب ولأننا لسنا سعداء نستثمر في الأشياء، معتقدين أنها ستمنحنا السعادة، وأحد الأشياء التي نستثمر فيها هو الله.

تريد مني أن أخبرك ما هي الحقيقة. هل يمكن لما لا يُوصف أن يُعبّرَ عنه بالكلمات؟ هل تستطيع قياسَ ما لا يُقاس؟ هل تستطيع إمساكَ الريح بقبضة يدك؟ إذا كنت تستطيع، فهل هذه هي الريح؟ إذا صغتها، هل تصبح حقيقة؟ كلا، لأنه في اللحظة التي تصف فيها شيئاً ما لا يمكن وصفه، فإنه يتوقف عن كونه حقيقة. في اللحظة التي تُترجم فيها ما هو غير قابل للمعرفة إلى معلوم، يتوقف عن كونه غير قابل للمعرفة. هذا ما نلاحقه. نريد طول الوقت أن نعرف، لأننا حينئذ نكون قادرين على الاستمرار، والوصول، كما نعتقد، إلى السعادة المطلقة. نريد أن نعرف لأننا لسنا سعداء، لأننا نكافح ببؤس، لأننا منهكون، ومُحتقرون. وبدلاً من

إدراك هذه الحقيقة البسيطة: أننا مُزدرون، وبلداء، ومنهكون، ومضطربون، نريد أن نبتعد من ما هو معلوم إلى المجهول، الذي يصبح ثانية المعلوم، وبالتالي لا نستطيع العثور على الحقيقي أبداً.

وعليه، بدلاً من أن تسأل من الذي أدرك الله، أو ما هو الله، لماذا لا تمنح انتباهك كله ووعيك لما هو موجود؟ حينئذ ستعثر على المجهول، أو بالأحرى سيأتي إليك. إذا فهمتَ ما هو المعلوم، ستجرّب ذلك الصمت الفائق للعادة الذي لا يُغرى، لا يُكره، ذلك الفراغ الإبداعي الذي لا يستطيع أحد الدخول إليه إلا الحقيقة. لا يمكن أن تصل إلى ما هو *صيرورة*، ما هو كفاح؛ يمكن أن تصل فحسب إلى ما هو وجود، الذي يفهم ما هو موجود. حينئذ ستكتشف أن الحقيقة ليست بعيدة؛ أنّ المجهول ليس بعيداً؛ إنه في ما هو موجود. بما أن الجواب على المشكلة هو فيها، فإن الحقيقة هي في ما هو موجود؛ وإذا كان بوسعنا فهمه، سنعرف الحقيقة.

إنه لأمر في غاية الصعوبة أن ننهي البلادة، والجشع، والضغينة؛ والطموح وهلمّجرًا. إن حقيقة أن تكون واعياً لما هو موجود هي الحقيقة. فالحقيقة هي التي تحررك، وليس كفاحك لكي تكون حراً. وهكذا فإن الحقيقة ليست بعيدة ولكننا نضعها بعيداً جداً لأننا نحاول استخدامها كوسيلة لاستمرار الذات. إنها هنا، الآن، في المباشر. إن الأبدي، أو اللازماني هو الآن، ولا يمكن أن يُفهم الآن من قبل شخص عالق في شبكة الزمن. إنّ تحرير الفكر من الزمن يتطلب الفعل، لكن الذهن كسول، بطيء، وبالتالي يخلق عوائق أخرى دوماً. إنه ممكن عبر التأمل الصحيح فقط، مما يعني فعلاً كاملاً، وليس فعلاً مستمراً، ولا يمكن أن يُفهم الفعل الكامل إلا حين يدرك الذهن سيرورة الاستمرارية، التي هي الذاكرة، لا الذاكرة الوقائعية وإنما الذاكرة النفسية. طالما أن الذاكرة تعمل، لا يستطيع الذهن أن يفهم ما هو موجود. ولكن ذهن المرء، وجود المرء كله، يصبح إبداعياً بشكل فائق للعادة، ومتيقظاً بهدوء، حين يفهم أهمية الإنهاء، لأنه في الإنهاء تجديد، بينما في الاستمرارية موت وخراب.

31. الإدراك الفوري

سؤال: هل نستطيع أن ندرك الحقيقة التي تتحدث عنها فوراً، بدون أي تحضير مسبق؟

كريشنامورتي: ما الذي تعنيه بالحقيقة؟ لا تستخدم كلمة لا تعرف معناها؛ نستطيع استخدام كلمة أكثر بساطة، أكثر مباشرة. هل تستطيع أن تفهم، أن تستوعب مشكلة بشكل مباشر؟ هذا ما هو متضمن، أليس كذلك؟ هل تستطيع أن تفهم ما هو موجود على الفور، الآن؟ بفهم ما هو موجود، ستفهم أهمية الحقيقة؛ ولكن قولنا إن المرء يجب أن يفهم الحقيقة لا معنى له. هل تستطيع أن تفهم مشكلة بشكل مباشر، بشكل كامل، وتتحرر منها؟ هذا ما هو متضمن في السؤال، أليس كذلك؟ هل تستطيع أن تفهم أزمة، تحدياً، على الفور، وتفهم دلالتهما الكاملة وتتحرر منهما؟ ما تفهمه لا يترك علامة؛ بالتالي الفهم أو الحقيقة هو المحرر. هل تستطيع أن تتحرر الآن من مشكلة، من تحد؟ إن الحياة سلسلة من التحديات والاستجابات وإذا كان ردك على تحد مشروطاً، ومحدوداً، وغير كامل، فإن ذلك التحدي يترك علامته، ورواسبه، ويتقوّى أكثر بتحدّ آخر جديد. وهكذا فهناك ذاكرة مترسبة، وتراكمات، وندوب، ومع كل هذه الندوب تحاول أن تقابل الجديد وبالتالي لا تقابل الجديد أبداً. بالتالي لا تفهم أبداً، لا يوجد أبداً تحرر من أي تحد.

إن السؤال هو إن كان بوسعي أن أفهم تحدياً بشكل كامل، وبشكل مباشر؛ أحس بكل دلالته، وعطره، وعمقه وجماله ودمامته وهكذا أتحرر منه. إن التحدي هو دوماً جديد، أليس كذلك؟ إن المشكلة التي واجهتها أمس، مثلاً، مرّتْ في تعديل بحيث حين تواجهها اليوم، تراها جديدة مسبقاً. ولكنك تواجهها بالقديم، لأنك تواجهها بدون تحويل، تقوم بتعديل أفكارك فحسب.

دعني أعبّر عن الأمر بطريقة مختلفة. التقيتُ بكَ البارحة. في غضون ذلك تكون قد تغيّرت. طرأ عليك تعديل، ولكنني ما أزال أملك صورة الأمس عنك. أقابلك اليوم بصورتي عنك وبالتالي لا أفهمك، لا أفهم سوى الصورة التي كوَّنْتُها عنك أمس. بتعبير آخر، لكي أفهم تحدياً، هو جديد دوماً، يجب أن أقابله أيضاً من جديد، يجب ألا يبقى راسبٌ من الأمس؛ وهكذا يجب أن أقول وداعاً للأمس.

في النهاية، ما هي الحياة؟ إنها شيء جديد دوماً، أليس كذلك؟ إنها شيء يطرأ عليه تغيّر دائم، خالقاً شعوراً جديداً. إن اليوم ليس أبداً نفسه كالأمس وهذا هو جمال الحياة. هل أستطيع أنا وأنت أن نواجه جميع المشاكل من جديد؟ هل تستطيع، حين تعود إلى المنزل، أن تقابل طفلك وزوجتك من جديد، أن تواجه التحدي من جديد؟ لن تقدر على فعل هذا إذا كنت مثقلاً بذكريات الأمس؟ بالتالي، كي تفهم حقيقة مشكلة، وعلاقة، يجب أن تقاربها من جديد، ليس "بعقل منفتح"، لأن هذا لا معنى له. يجب أن تقاربها بدون ندوب ذكريات أمس، مما يعني، فيما ينشأ كل تحدي، يجب أن تكون واعياً لجميع استجابات الأمس، وعبر وعيك لرواسب الأمس، وذكريات الأمس، سترى أنها تسقط من دون صراع، وبالتالي يتجدّد ذهنك.

هل يستطيع المرء أن يدرك الحقيقة على الفور، من دون تحضير؟ أقول نعم، ليس بسبب خيال ثانوي مني، ليس بسبب وهم؛ وإنما جرّب ذلك نفسياً وستشاهد بنفسك. خذ أي تحدٍ، أي حادث صغير، لا تنتظر أزمة كبيرة، وانظر كيف تستجيب له. كن واعياً له، ولاستجاباتك، ولنواياك، ولمواقفك وستفهمها، وتفهم خلفيتك. أؤكد لك، تستطيع أن تفعل ذلك على الفور إذا منحت لها انتباهك كله. إذا كنت تنشد المعنى الكامل لخلفيتك؛ فإنه يقدم أهميته وحينئذ تفهم بضربة واحدة الحقيقة، والمشكلة. يأتي الفهم إلى الوجود من الآن، من الحاضر، والذي هو دوماً لازماني. على الرغم من أنه يمكن أن يكون الغد، ما يزال الآن؛ إن مجرد

التأجيل، والتحضير لاستقبال الغد، هو منع نفسك من فهم ما هو *الآن*. تستطيع أن تفهم بشكل مباشر ما هو الآن، أليس كذلك؟ لفهم ما هو موجود، يجب ألا تتضايق، ألا تضلّ، يجب أن تمنحه عقلك وقلبك. يجب أن يكون اهتمامك الوحيد في تلك اللحظة، بشكل كامل. عندها ما هو موجود يمنحك عمقه الكامل، ومن ثمّ تكون حراً من تلك المشكلة.

إذا أردت أن تعرف الحقيقة، الأهمية النفسية للملكية، مثلاً، إذا كنت في الواقع تريد أن تعرفها بشكل مباشر، الآن، وكيف تقاربها، يجب أن تشعر بالقرب من المشكلة، يجب ألا تخشاها، يجب ألا تكون لديك أية عقيدة، أي جواب، بينك وبين المشكلة. إذا أدخلت جواباً، إذا أطلقت حكماً، إذا كان لديك نفور نفسي، ستؤجل، ستستعد كي تفهم غداً ما لا يمكن أن يُفهم إلا "الآن". بالتالي لن تفهم أبداً. إن إدراك الحقيقة لا يحتاج إلى تحضير؛ يتضمن التحضير الوقت والوقت ليس وسيلة لفهم الحقيقة. إن الوقت هو الاستمرارية والحقيقة لازمانية، غير متواصلة. إن الفهم غير استمراري، إنه من لحظة إلى أخرى، غير رسوبي.

أخشى من أنني أجعل المسألة في غاية الصعوبة، أليس كذلك؟ ولكنها سهلة، يمكن فهمها بسهولة، إذا *جربتموها* فقط. إذا دخلتم في حلم، وتأمّلتموه، يصبح في غاية الصعوبة. حين لا يكون هناك حاجز بيني وبينكم، أفهمكم. إذا كنت منفتحاً، أفهمكم بشكل مباشر، وأن أكون منفتحاً ليست مسألة وقت. هل سيجعلني الوقت منفتحاً؟ هل التحضير، والنظام، والانضباط، يجعلني منفتحاً؟ كلا. ما يجعلني منفتحاً لكم هو نيتي للفهم. أريد أن أكون منفتحاً لأنني لا أملك شيئاً أخفيه، لا أخاف؛ بالتالي أنا منفتح وثمة مشاركة فورية، ثمة حقيقة. لتلقي الحقيقة، ولمعرفة جمالها، ومتعتها، يجب أن يكون هناك تلق فوري، بعيداً عن النظريات، والمخاوف والأجوبة.

32. في البساطة

سؤال: ما هي البساطة؟ هل تتضمن أن نرى بوضوح كبير الأمور الجوهرية ونطرح كل شيء آخر؟

كريشنامورتي: لنحاول أن نعرف ما ليس هو البساطة. لا تقل: "هذا سلبي"، أو: "قل لنا شيئاً ما إيجابياً". هذا رد فعل غير ناضجٍ، وبدون تفكير. إن الأشخاص الذين يقدمون لك "الإيجابي" هم مُستغلّون؛ لديهم شيء يمنحونه لك تريده ويستغلّونك عبره. نحن نفعل شيئاً ما من هذا القبيل. نحاول أن نجد حقيقة البساطة. بالتالي يجب أن تنبذ الأفكار وتضعها خلفك وتراقب من جديد. إن الشخص الذي يمتلك الكثير يخاف من الثورة، داخلياً وخارجياً.

لنكتشف ما هي البساطة. إن الذهن المعقّد ليس بسيطاً، أليس كذلك؟ إن الذهن الذكي ليس بسيطاً؛ الذهن الذي لديه غاية في مدى النظر يعمل من أجلها، الذهن الذي لديه مكافأة، وخوف، ليس ذهناً بسيطاً، أليس كذلك؟ إن الذهن المثقل بالمعرفة ليس بسيطاً؛ إن الذهن المشلول بالمعتقدات ليس بسيطاً، أليس كذلك؟ إن الذهن الذي تماهى مع شيء أكبر ويناضل كي يحافظ على تلك الهوية، ليس ذهناً بسيطاً، أليس كذلك؟ نظنّ أنه من قبيل البساطة أن يكون لدينا مئزر أو اثنان، نريد المظهر الخارجي للبساطة ويخدعنا هذا بسهولة. لهذا إن المفرط الثراء يعبد الشخص الذي تنسّك.

ما هي البساطة؟ هل تستطيع البساطة أن تكون نبذ اللاضروريات وملاحقة الضروريات، مما يعني سيرورة خيار؟ هل تعني خياراً، اختيار الأمور الضرورية وطرح اللاضرورية؟ ما هو خيار الاختيار هذا؟ ما هو الكيان الذي يختار؟ الذهن، أليس كذلك؟ لا يهم ما تدعوه. تقول: " سأختار هذا، الذي هو ضروري؟" كيف تعرف الضروري؟ إما أنك تمتلك نموذجاً مما قاله

آخرون وإما أن تجربتك تقول إن شيئاً ما ضروري. هل تستطيع الاعتماد على تجربتك؟ حين تختار، يستند خيارك إلى التجربة، أليس كذلك؟ ما تدعوه "الضروري" هو الذي يمنحك الرضا. وهكذا تعود ثانية إلى العملية نفسها، أليس كذلك؟ هل يستطيع العقل المشوش أن يختار؟ إذا اختار، يجب أن يكون الخيار مشوشاً أيضاً.

بالتالي، إن الخيار بين الضروري واللاضروري ليس البساطة. إنه صراع. إن ذهناً في صراع، في تشوش، لا يمكن أن يكون بسيطاً. حين ترصد حقاً وترى تلك الأمور المزيفة، خدع الذهن، حين تنظر إليه وتكون واعياً له، ستعرف بنفسك ما هي البساطة. إن الذهن المقيّد بالإيمان ليس ذهناً بسيطاً أبداً. إن الذهن المشلول بالمعرفة ليس بسيطاً. إن ذهناً مشغولاً بالله، وبالنساء، وبالموسيقى، ليس ذهناً بسيطاً. إن ذهناً عالقاً بروتين المكتب، وبالطقوس، وبالصلوات ليس بسيطاً. إن البساطة هي الفعل، بدون فكرة. هذا شيء نادر جداً؛ هذا يعني الإبداع. وهكذا طالما أنه لا يوجد إبداع، فنحن مراكز للأذى والبؤس والدمار. إن البساطة ليست شيئاً تستطيع ملاحقته وتجريبه. تأتي البساطة كما تتفتح الوردة في اللحظة المناسبة، حين يفهم جميع الأشخاص سيرورة الوجود كلها والعلاقة. لأننا لا نفكر أبداً بالأمر، ونرصده، ونعيه؛ نثمّن جميع الأشكال الخارجية لبعض الممتلكات ولكن هذه ليست بساطة. إن البساطة لا تُكتشف؛ لا تكمن كخيار بين الضروري واللاضروري. لا تأتي إلى الوجود إلا حين تكون الذات غائبة؛ حين لا يعلق الذهن في التأملات، والاستنتاجات، وتكوين الأفكار والمعتقدات. إن ذهناً حراً كهذا فحسب يستطيع العثور على الحقيقة. إن ذهناً كهذا فقط يستطيع أن يتلقى ما لا يُقاس، ما لا يُسمّى؛ هذه هي البساطة.

33. السطحية

سؤال: كيف لمن هو سطحي أن يكون جدياً؟

كريشنامورتي: أولاً، يجب أن نعي أننا سطحيون، أليس كذلك؟ ما الذي يعنيه أن نكون سطحيين؟ يعني، جوهرياً، أن نكون متكلين، أليس كذلك؟ أن نعتمد على الحافز، على التحدي، أن نتكل على آخر، أن نتكل، نفسياً، على قيم معيّنة، وتجارب معيّنة. ألا يشكل كل هذا السطحية؟ حين أعتمد على الذهاب إلى الكنيسة كل صباح أو كل أسبوع كي أقوّي معنوياتي، كي أتلقى المساعدة، ألا يجعلني هذا سطحياً؟ ألا أصبح سطحياً حين أسلم نفسي لبلاد، لخطة، أو لمجموعة سياسية معيّنة؟ أكيد أن عملية الاتكال هذه هرب من نفسي؛ فهذا التماهي مع الأكبر هو إنكار لما أنا. لكنني لا أستطيع أن أنكر ما أنا؛ يجب أن أفهم ما أنا وألا أحاول أن أتماهى مع الكون، ومع الله، ومع حزب سياسي معيّن أو ما تشاء. يقود كل هذا إلى تفكير ضحل وينتجُ عن التفكير الضحل نشاط مؤذ دوماً، إما على مستوى عالمي، أو على مستوى فردي.

أولاً، هل نعترف أننا نفعل هذه الأمور؟ لا نعترف؛ بل نبرّرها. نقول: "ما الذي أفعله إذا لم أفعل هذه الأمور؟ سأكون أسوأ؛ سيتمزّق عقلي. الآن، على الأقل، أنا أصارع من أجل شيء أفضل". كلما صارعنا صرنا سطحيين. يجب أن أرى هذا أولاً، أليس كذلك؟ هذا من أصعب الأمور؛ أن أرى ما أنا، أن أقرّ أنني غبي، أنني ضحل، أنني ضيّق الأفق، أنني غيور. إذا فهمت ما أنا، إذا اعترفت به، عندئذ أستطيع أن أبدأ. فالذهن الضحل هو ذهن يهرب مما هو موجود؛ إن عدم الهرب يتطلب استقصاء في غاية الصعوبة، وإنكار القصور الذاتي. في اللحظة التي أعرف فيها أنني ضحل، تحدث سيرورة تعميق، إذا لم أفعل أي شيء حيال

الضحالة. إذا قال الذهن: "أنا تافه، وأنني سأستقصي الأمر، سأفهم كل هذه التفاهة، وهذا التأثير الذي يحدّني"، حينئذ يكون هناك إمكانية للتحول؛ ولكن ذهناً تافهاً، يقرُّ أنه تافه ويحاول ألا يكون تافهاً عبر القراءة، ولقاء الناس، والسفر، ويقرُّ بأنه نشيط باستمرار كقرد، يظلُّ ذهناً تافهاً.

ثانياً، لا تحدث ثورة حقيقية إلا إذا قاربنا هذه المشكلة بصورة صحيحة. إن المقاربة الصحيحة للمشكلة تمنح ثقة فائقة للعادة. أؤكد لك أنها تحرّك الجبال، جبال مسبّقات المرء، وإكراهاته. إذا كنت واعياً للذهن الضحل، لا تحاول أن تصبح عميقاً. لا يستطيع الذهن الضحل أن يعرف أبداً الأعماق العظيمة. يمكن أن يحصل على الكثير من المعرفة، والمعلومات، يمكن أن يكرر الكلمات. ولكن إذا عرفت أنك ضحل وسطحي، إذا وعيت الضحالة وراقبت جميع الأنشطة بدون حكم، بدون شجب، سترى بسرعة أن الشيء الضحل اختفى بشكل كامل، بدون اشتغالك عليه. يتطلب هذا الصبر، والمراقبة، لا رغبة متلهفة لنتيجة، لإنجاز. إنه ذهن ضحل ذلك الذي يريد إنجازاً، نتيجة.

كلما كنت واعياً لهذه السيرورة كلها، اكتشفت أنشطة الذهن، ولكن يجب أن ترصدها دون أن تحاول إنهاءها، لأنك في اللحظة التي تنشد فيها نهاية، ستعلق ثانية في ثنائية "الأنا" و"لا أنا"، مما يجعل المشكلة متواصلة.

34. التفاهة

سؤال: بماذا يجب أن ينشغل الذهن؟

كريشنامورتي: ثمة مثال جيد جداً حول كيف يولد الصراع: الصراع بين ما يجب أن يكون وما هو موجود. أولاً نؤسس ما يجب أن يكون، المثال، ثم نحاول أن نعيش بحسب ذلك النموذج. نقول إن الذهن يجب أن يكون مشغولاً بأشياء نبيلة، باللاأنانية، وبالكرم، وباللطف، وبالحب؛ هذا هو النموذج، والمعتقد، وما يجب أن يكون، هذه هي الضرورة، ونحاول أن نعيش وفقاً لذلك. لقد نشبَ صراعٌ بين إسقاط ما يجب أن يكون والحقيقة، ما هو موجود، وعبر ذلك الصراع نأمل أن يتم تحويلنا. وطالما أننا نصارع ما يجب أن يكون نشعر بأننا فاضلون، ونشعر بأننا جيدون، ولكن ما الأكثر أهمية: ما يجب أن يوجد أم ما هو موجود؟ بماذا نشغل أذهاننا، فعلياً، وليس إيديولوجياً؟ بالتفاهات، أليس كذلك؟ بكيفية الظهور، وبالطموح، وبالجشع، وبالحسد، وبالثرثرة، وبالقسوة. يعيش الذهن في عالم من التفاهات. والذهن التافه الذي يبدع نموذجاً نبيلاً يظلُّ تافهاً، أليس كذلك؟ إذ ليست المسألة بماذا يجب أن ينشغل الذهن، وإنما هل يستطيع أن يحرر نفسه من التفاهات؟ إذا كنا واعين، إذا كنا نستقصي، نعرف تفاهاتنا الخاصة: الحديث الذي لا يتوقف، والثرثرة الأبدية للذهن، والقلق على هذا وذاك، والفضول حيال ما يفعله الناس أو لا يفعلونه، ومحاولة تحقيق نتيجة، والسعي وراء تعظيم الذات وهلمّجرًا. نحن مشغولون بهذا، ونعرفه بشكل جيد جداً. هل يمكن أن يتحوّل هذا؟ هذه هي المشكلة، أليس كذلك؟ إن السؤال: بماذا يجب أن ينشغل الذهن؟ لا ينمُّ عن نضج.

الآن، كوني واعياً أن ذهني تافه ومشغول بالتفاهات، هل يستطيع تحرير نفسه من هذا الوضع؟ أليس الذهن، بطبيعته، تافهاً؟ ما هو الذهن

سوى أنه نتاج الذاكرة؟ ذاكرة ماذا؟ كيف نحيا، ليس جسدياً فقط وإنما نفسياً أيضاً، عبر تطوير صفات وفضائل معينة وخزن التجارب وتأسيس الذات في أنشطتها؟ أليس هذا تافهاً؟ إن الذهن، كونه نتاج الذاكرة والزمن، تافه؛ ما الذي يستطيع فعله لتحرير نفسه من تفاهته؟ هل يستطيع فعل أي شيء؟ من فضلكم انظروا إلى أهمية هذا. هل يستطيع الذهن الذي هو نشاط أناني أن يحرر نفسه من ذلك النشاط؟ إنه لا يستطيع على ما يبدو؛ مهما فعل، يظل تافهاً. يستطيع أن يفكر بالله، أن يخترع الأنظمة السياسية، أن يبتكر المعتقدات؛ لكنه يظل داخل حقل الزمن، تغيّرهُ يظلُّ من ذاكرة إلى أخرى، يظلُّ مقيداً بحدوده. هل يستطيع الذهن أن يحطم هذه الحدود؟ أم هل تُزال تلك الحدود حين يكون الذهن هادئاً، حين لا يكون نشيطاً، حين يعترف بتفاهاته، مهما تخيل أنها عظيمة؟ حين يعي الذهن تفاهاته بشكل كامل، بعد أن يراها، ويصبح هادئاً بالفعل، تكون هناك إمكانية لإسقاط تلك التفاهات. وطالما أنك تستقصي بماذا يجب أن ينشغل العقل، فإنه سينشغل بالتفاهات، سواء بنى كنيسة أو صلّى أو ذهب إلى معبد. إن الذهن في ذاته تافه وصغير وبمجرد قول إنه تافه فإنك لن تخلصه من تفاهاته. يجب أن تفهم هذا، يجب على الذهن أن يعترف بتفاهاته وفي سيرورة الاعتراف، في وعي تلك التفاهات التي بناها بوعي أو بلا وعي، يصبح الذهن هادئاً. وفي ذلك الهدوء هناك حالة إبداعية، وهذا هو العامل الذي يُحدث التحول.

35. هدوء الذهن

سؤال: لماذا تتحدث عن هدوء الذهن، وما هو هذا الهدوء؟

كريشنامورتي: أليس من الضروري، إذا كنا نريد أن نفهم أي شيء، أن يكون الذهن هادئاً؟ إذا واجهتنا مشكلة، نقلق منها، أليس كذلك؟ ندخل فيها، ونحللها، ونمزقها إلى قطع، آملين فهمها. الآن، هل نفهم عبر الجهد، وعبر التحليل، والمقارنة، وأي شكل من الصراع الذهني؟ أكيد، لا يأتي الفهم إلا حين يكون الذهن هادئاً جداً. نقول إنه كلما صارعنا المجاعة، والحرب، أو أية مشكلة إنسانية أخرى، نفهمها بشكل أفضل. هل هذا صحيح الآن؟ فقد نشبت الحروب على مدى قرون، واحتدم الصراع بين الأفراد، وبين المجتمعات؛ فالحرب، داخلياً وخارجياً، مستمرة. هل أنهينا تلك الحرب، ذلك الصراع، بحرب أخرى، بصراع آخر، بالمحاولة الماكرة؟ أم هل نفهم المشكلة فقط حين نكون أمامها بشكل مباشر، حين تواجهنا الحقيقة؟ لا نستطيع أن نواجه تلك الحقيقة إلا حين لا يكون هناك هياج يتدخل بين الذهن والحقيقة، وهكذا أليس من الضروري، إذا أردنا الفهم، أن يكون ذلك الذهن هادئاً؟

ستسأل حتماً: "كيف يمكن أن يُجعل الذهن هادئاً؟" هذه هي الاستجابة الفورية، أليس كذلك؟ تقول: "إن ذهني مهتاج فكيف أجعله هادئاً؟" هل يستطيع أي نظام أن يجعل الذهن هادئاً؟ هل تستطيع صيغة، نظام، أن تجعل الذهن هادئاً؟ تستطيع؛ ولكن حين يُجعل الذهن هادئاً، هل هذا هدوء؟ أم أن الذهن يُحاصر فقط بفكرة، في صيغة، داخل عبارة؟ إن ذهناً كهذا ميت، أليس كذلك؟ لذا إن معظم الناس الذين يحاولون أن يكونوا روحانيين، هم موتى لأنهم دربوا أذهانهم كي تكون هادئة، لقد

حصروا أنفسهم داخل صيغة كونهم هادئين. إن ذهناً كهذا لا يهدأ أبداً؛ يُكبح فقط، ويُسجن.

يهدأ الذهن حين يكتشف حقيقة أن الفهم لا يأتي إلا حين يكون هادئاً؛ أي إذا أردت أن أفهمك، يجب أن أكون هادئاً، لا أستطيع أن أمتلك ردود فعل ضدك، يجب ألا أمتلك مسبقات، يجب أن أتخلص من جميع استنتاجاتي، وتجاربي وأواجهك وجهاً لوجه. حينئذ فقط، حين يتحرر الذهن من اشتراطاتي، أفهم. حين أرى حقيقة هذا، عندها يكون الذهن هادئاً، وعندها لا تُطرح مسألة كيف نجعل الذهن هادئاً. إن الحقيقة فحسب تستطيع أن تحرر الذهن من تكوينه للأفكار؛ لكي يرى الحقيقة، يجب أن يدرك الذهن حقيقة أنه طالما أنه مهتاج لا يمكن أن يفهم. إن هدوء الذهن ليس شيئاً تنتجه قوة الإرادة، أو أي فعل من أفعال الرغبة؛ إذا كان الذهن محاصراً ومعزولاً، يكون ميتاً وبالتالي غير قادر على التكيف والمرونة والسرعة. إن ذهناً كهذا غير إبداعي.

إن مشكلتنا، إذاً، هي ليست كيف نجعل الذهن هادئاً بل أن نرى حقيقة كل مشكلة كما تطرح نفسها علينا. إنه كمثل البركة التي لا تهدأ إلا حين تتوقف الريح. يهتاج ذهننا لأنه لدينا مشكلات؛ وكي نتجنب المشكلات، نجعله هادئاً. لقد أسقط الذهن الآن هذه المشكلات ولا توجد مشكلات بمعزل عنه؛ وطالما أنه يسقط أي مفهوم للحساسية، ويمارس أي نوع من الهدوء، لا يمكن أن يهدأ أبداً. حين يدرك الذهن أن الفهم لا يأتي إلا حين يهدأ، يصبح هادئاً جداً. إن هذا الهدوء لا يُفرض، ولا يُنظم، إنه هدوء لا يمكن أن يُفهم بذهن مهتاج.

إن كثيرين من الذين ينشدون هدوء الذهن ينسحبون من الحياة النشيطة إلى قرية، أو أبرشية، إلى الجبال، أو ينسحبون إلى الأفكار، ويحصّنون أنفسهم بمعتقد أو يتجنّبون الناس الذين يسبّبون لهم الإزعاج. إن عزلة كهذه ليست هدوءاً للذهن. إن محاصرة الذهن بفكرة أو تجنب الناس الذين

يجعلون الحياة معقدة لا يجلب هدوء الذهن. لا يأتي هدوء الذهن حين تكون هناك سيرورة عزل عبر التراكم، لا يأتي إلا إذا كان هناك فهم كامل لسيرورة العلاقة كلها. إن التراكم يجعل الذهن قديماً؛ وحين يكون الذهن جديداً، من دون سيرورة التراكم، عندئذ فحسب يمكن الحصول على سكينة الذهن. إن ذهناً كهذا ليس ميتاً، إنه في غاية النشاط. إن الذهن الهادئ هو الذهن الأكثر نشاطاً ولكن إذا أردت أن تجرب معه، أن تدخل فيه عميقاً، سترى أنه في الهدوء لا يوجد إسقاط للفكر. إن الفكر، على جميع المستويات، هو على ما يبدو رد فعل الذاكرة، والفكر لا يمكن أن يكون أبداً في حالة إبداع. حين يكون هناك صمت، هدوء الذهن الذي ليس نتيجة، عندها سنرى أنه في ذلك الهدوء ثمة نشاط فائق للعادة، فعل فائق للعادة لا يمكن أن يعرفه ذهن يثيره التفكير. في ذلك الهدوء، لا توجد صياغة، لا توجد فكرة، لا توجد ذاكرة؛ إن ذلك الهدوء هو حالة خلق لا يمكن أن تُجرب إلا حين يكون هناك فهم كامل لسيرورة "الأنا" كلها. بخلاف ذلك، لا معنى للهدوء. إذ إنه في ذلك الهدوء فقط، الذي ليس نتيجة، يُكتشف الأبدي، الذي هو وراء الزمن.

36. معنى الحياة

سؤال: نعيش ولكن لا نعرف لماذا. وتبدو الحياة لكثيرين منا بدون معنى. هل تستطيع أن تخبرنا عن معنى وهدف حياتنا؟

كريشنامورتي: لماذا تطرح هذا السؤال؟ لماذا تسألني كي أخبرك عن معنى الحياة، وهدفها؟ ما الذي نعنيه بالحياة؟ هل تمتلك الحياة معنى، هدفاً؟ لماذا نريد المزيد؟ لأننا غير راضين عن حياتنا، حياتنا فارغة، ومبهرجة، ورتيبة، وتكرر الأمور مرة بعد أخرى، لهذا نريد المزيد، نريد شيئاً يتجاوز هذا. بما أن حياتنا اليومية فارغة وبليدة وبلا معنى ومضجرة وغبية بشكل لا يُطاق، نقول إن الحياة يجب أن تمتلك معنى أكثر امتلاء ولهذا تطرح سؤالك. أكيد أن الإنسان الذي يعيش بامتلاء، الإنسان الذي يرى الأمور كما هي هو راض بما يمتلكه، غير مشوّش؛ إنه واضح، بالتالي لا يسأل ما هو هدف الحياة. إن الحياة بالنسبة إليه هي البداية والنهاية. إن الصعوبة التي تواجهنا هي أنه بما أن حياتنا فارغة، نريد أن نعثر على هدف للحياة ونكافح من أجله. إن هدفاً كهذا لا يمكن أن يكون إلا تفكيراً، من دون أية حقيقة؛ وحين يلاحقُ هدفَ الحياة ذهنٌ بليدٌ وغبيٌّ، وقلبٌ فارغ، فإن هذا الهدف سيكون فارغاً أيضاً. بالتالي إن هدفنا هو كيف نجعل حياتنا غنية، ليس بالنقود وغيرها، وإنما غنية داخلياً، وهذا ليس شيئاً سرّياً. حين تقول إن هدف الحياة هو أن تكون سعيداً، وأن تعثر على الله، فإن هذه الرغبة للعثور على الله هي هرب من الحياة وإلهك مجرد شيء معلوم. تستطيع أن تشقّ طريقك نحو شيء تعرفه؛ إذا بنيت درجاً إلى ما تدعوه بالإله فإن هذا ليس الإله. لا يمكن فهم الحقيقة إلا في العيش، ليس في الهرب. حين تنشد هدفاً للحياة، فأنت في الواقع تهرب ولا تفهم ما هي الحياة. إن الحياة علاقة؛ حين لا أفهم العلاقة، أو حين

تتشوّش العلاقة، عندها أنشد معنى أكثر امتلاء. لماذا حياتنا فارغة؟ لماذا نحن وحيدون ومُحبطون؟ لأننا لم ننظر أبداً في أنفسنا ونفهم أنفسنا. لا نقر أبداً لأنفسنا أن هذه الحياة هي كل ما نعرفه وبالتالي يجب أن تُفهم بشكل كامل. نفضل الهرب من أنفسنا ولهذا ننشد هدف الحياة بعيداً عن العلاقة. إذا بدأت بفهم الفعل، والذي هو علاقتنا مع الناس، مع الملكية، مع المعتقدات والأفكار، ستكتشف أن العلاقة نفسها تقدم مكافأتها. لست مضطراً إلى البحث. إنه كمثل نشدان الحب. هل تستطيع العثور على الحب بنشدانه؟ لا يمكن للحب أن يُحصّل. لن تعثر على الحب إلا في العلاقة، وليس خارج العلاقة، ولأنه ليس لدينا حب نريد هدفاً للحياة. حين يكون هناك حب، الذي هو أبديّته، عندها يتوقف البحث عن الله، لأن الحب هو الله.

لأن أذهاننا مليئة بالتقنيات والكلمات الخرافية حياتنا فارغة ولهذا ننشد هدفاً وراء أنفسنا. وللعثور على هدف الحياة يجب أن ندخل من الباب بأنفسنا؛ ونتجنب بوعي أو بلا وعي مواجهة الأمور كما هي ونريد من الله أن يفتح لنا الباب الماورائي. إن هذا السؤال عن هدف الحياة لا يطرحه إلا أولئك الذين لا يحبون. لا يمكن العثور على الحب إلا في الفعل، الذي هو علاقة.

37. فوضى الذهن

سؤال: أصغيتُ إلى جميع أحاديثك وقرأت كتبك كلَّها. أسأل بكل جدية، ماذا يمكن أن يكون هدف حياتي إذا، كما تقول، يجب أن يتوقف كل تفكير، وتُكبح كل معرفة، وتضيع كل ذكرى؟ كيف تربط حالة الوجود هذه، مهما كانت بحسب رؤيتك، بالعالم الذي نعيش فيه؟ ما علاقة هذا الوجود بوجودنا الحزين والمؤلم؟

كريشنامورتي: نريد أن نعرف ما هي تلك الحالة التي لا تأتي إلا حين تغيبُ المعرفة والعارف؛ نريد أن نعرف العلاقة التي تربط هذه الحالة مع عالم نشاطنا اليومي، واهتماماتنا اليومية. نعرف ما هي حياتنا الآن، إنها حزينة، ومؤلمة، ومخيفة، لا شيء مستمراً؛ نعرف هذا جيداً. نريد أن نعرف أية علاقة تربط هذه الحالة مع تلك الحالة الأخرى، ونريد أن نعرف، إذا ما وضعنا جانباً المعرفة، وتحرّرنا من ذكرياتنا وهلمّجرّا، ما هو هدف الوجود.

ما هو هدف الوجود كما نعرفه الآن؟ ليس نظرياً بل واقعياً؟ ما هو هدف وجودنا اليومي؟ أن نحيا، أليس كذلك؟ أن نحيا الحياة بكل بؤسها، وبكل أساها وفوضاها، وحروبها، ودمارها. نستطيع أن نبتكر النظريات، نستطيع القول: "يجب ألا يحدث هذا، يجب أن يحدث شيء". هذه كلها نظريات، ليست حقائق. ما نعرفه هو فوضى، وألم، ومعاناة، وعداوات لا تنتهي. نعرف أيضاً، إذا كنا واعين، كيف تأتي هذه. إن هدف الحياة، من لحظة إلى أخرى، كل يوم، هو أن ندمر بعضنا بعضاً، إما كأفراد وإما ككائنات بشرية جماعية. ففي وحدتنا، وفي بؤسنا، نحاول استخدام الآخرين، ونحاول أن نهرب من أنفسنا عبر التسليات، وعبر الآلهة، وعبر المعرفة، وعبر جميع أشكال الاعتقاد، وعبر التماهي. هذا هو

هدفنا، الواعي أو اللاواعي، فيما نحيا الآن. هل يوجد هدف أعمق وأشمل في الماوراء، هدف ليس من الفوضى، من الاكتساب؟ هل لحالة اللاجهد علاقة بحياتنا اليومية؟

لا علاقة لهذا بحياتنا مطلقاً. كيف يمكن أن تكون له علاقة؟ إذا كان ذهني مشوّشاً، ومتألّماً، ووحيداً، كيف يمكن أن يتعلق بالزيف، وبالوهم؟ لا نريد أن نعترف بهذا، لأن أملنا، وفوضانا، يجعلاننا نؤمن بشيء أكبر وأنبل، نقول إنه مرتبط بنا. ففي يأسنا نسعى إلى الحقيقة، آملين أنه في اكتشافها سيختفي يأسنا.

وهكذا نستطيع أن نرى أن ذهناً مشوّشاً، ومليئاً بالأسى، وواعياً لفراغه، ووحدته، لا يستطيع أن يعثر أبداً على ما يتجاوز نفسه. إن ما يكمن وراء الذهن لا يمكن أن يأتي إلى الوجود إلا حين يتم التخلص من أسباب الفوضى والبؤس أو حين تُفهم. إن كل ما كنت أقوله وأتحدث عنه هو كيف نفهم أنفسنا، لأنه من دون معرفة الذات لا يوجد آخر، الآخر مجرد وهم. إذا استطعنا أن نفهم السيرورة الكلية لأنفسنا، من لحظة إلى أخرى، سنرى أنه حين ننهي تشوّشنا، يأتي الآخر إلى الوجود، سيكون لتجريب ذلك علاقة مع هذا. لكن هذا لن تكون له أبداً علاقة مع ذلك. كونك في هذا الجانب من الستارة، كونك في الظلام، كيف تجرّب الضوء والحرية؟ ولكن حين تحدث تجربة الحقيقة، تستطيع أن تربطها بهذا العالم الذي نعيش فيه.

إذا لم نعرف ما هو الحب، إذا لم نعرف سوى أنه نزاعات، وبؤس، وصراعات، كيف نستطيع أن نجرب ذلك الحب الذي ليس فيه أيّ من هذا؟ حين نجرّب ذلك، لا يزعجنا اكتشاف العلاقة. حينئذ يعمل الحب، والذكاء. ولكن لكي نجرب تلك الحالة، فإن المعرفة، والذكريات المتراكمة، والأنشطة المحددة ذاتياً، يجب أن تتوقف، ويتحصّن الذهن ضد الأحاسيس المسقطة. حين نجرّب هذا يحدثُ فعلٌ في العالم.

إن هدف الوجود هو تجاوز النشاط الأناني للذهن. بعد أن نجرّب تلك الحالة، التي لا يمكن أن يقيسها الذهن، ستحدث ثورة داخلية. حينئذ، إذا كان هناك حب، لن تكون هناك مشكلة اجتماعية. لن تحدث مشكلة من أي نوع حين يكون هناك حب. لأننا لا نعرف كيف نحب لدينا مشكلات اجتماعية ومناهج فلسفية حول كيف نتعامل مع مشكلاتنا. أقول إن هذه المشكلات لا يمكن أن تُحل أبداً من قبل أي نظام، سواء من اليسار أو من اليمين أو الوسط. لا يمكن أن تتوقّف فوضانا وبؤسنا ودمارنا الذاتي إلا حين نستطيع أن نجرب تلك الحالة التي هي غير مسقطة ذاتياً.

38. في التحول

سؤال: ما الذي تعنيه بالتحول؟

كريشنامورتي: يجب أن تحدث ثورة جذرية. فأزمة العالم تتطلب ذلك. وحيواتنا تتطلب ذلك. إن حوادثنا اليومية، واهتماماتنا، وحالات قلقنا، تتطلب ذلك. مشاكلنا تتطلب ذلك. يجب أن تحدث ثورة جذرية جوهرية، لأن كل ما حولنا قد انهار. وعلى الرغم من أنه يوجد ظاهرياً نظام، فإنه في الواقع لا يوجد سوى الخراب، والدمار: موجة الدمار تحتل دوماً موجة الحياة.

وهكذا يجب أن تحدث ثورة، ولكن ليس ثورة مستندة إلى فكرة. إن ثورة كهذه هي مجرد استمرار للفكرة، وليست تحولاً جذرياً. إن ثورة مستندة إلى فكرة تؤدي إلى سفك الدماء، والتمزق، والفوضى. من الفوضى لا تستطيع أن تخلق النظام؛ لا تستطيع أن توظّف بشكل مقصود الفوضى والأمل كي تخلق النظام من تلك الفوضى. لست أنت المختار من الله كي تخلق النظام من الفوضى. هذه طريقة مزيّفة في التفكير من قبل أولئك الذين يرغبون بإحداث المزيد من الفوضى من أجل صناعة النظام. لأنهم الآن يمتلكون القوة، يفترضون أنهم يعرفون طرق إنتاج النظام كلها. وبسبب الكوارث، والحروب المتكررة، والصراع الذي لا يتوقف بين الطبقات، وبين الشعوب، واللامساواة الاقتصادية والاجتماعية المريعة، واللامساواة في السلطة والثروة، والفجوة بين أولئك الذين هم سعداء بشكل فائق للعادة، والهادئين، وأولئك العالقين في الكراهية، والصراع، والبؤس، بسبب كل هذا، يجب أن تحدث ثورة، يجب أن يحدث تحول كامل، أليس كذلك؟

هل هذه الثورة الجذرية، حاسمة ونهائيّة، أم هل هي من لحظة إلى أخرى؟ أعرف أننا نحب أن تكون الثورة حاسمة، لأنه من الأسهل بكثير أن نفكر من زاوية ما هو بعيد. في النهاية سنتحوّل، في النهاية سنكون

سعداء، في النهاية سنعثر على الحقيقة؛ وفي أثناء ذلك، دعونا نستمر. أكيد أن ذهناً كهذا، يفكر من زاوية المستقبل، غير قادر على العمل في الحاضر؛ بالتالي إن ذهناً كهذا لا ينشد التحول. ما الذي نعنيه بالتحول؟

ليس التحول في المستقبل، لا يمكن أن يحدث أبداً في المستقبل. لا يمكن أن يكون إلا الآن، من لحظة إلى أخرى. وهكذا ما الذي نعنيه بالتحول؟ إنه بسيط جداً: رؤية المزيف كمزيّف والحقيقي كحقيقي. رؤية الحقيقة في المزيف ورؤية المزيف في ما قُبل كحقيقة. إن رؤية المزيف كمزيف والحقيقي كحقيقي هو التحول، لأنك حين ترى شيئاً ما بوضوح كبير كحقيقة، فإن الحقيقة تحرّر. حين ترى أن شيئاً ما مزيف، فإن ذلك الشيء المزيف ينتهي. حين ترى أن الطقوس مجرد تكرار بلا جدوى، حين ترى حقيقة ذلك ولا تبررها، يحدث التحول، أليس كذلك؟ لأن عقداً آخر يتلاشى. حين ترى أن الفروق الطبقية مزيفة، أنها تسبب الصراع، والبؤس، والانقسام بين الناس، حين ترى حقيقة ذلك، فإن هذه الحقيقة تحرّر. إن إدراك تلك الحقيقة هو تحرر، أليس كذلك؟ بما أننا محاطون بالكثير مما هو مزيّف، فإن إدراك الزيف من لحظة إلى أخرى تحول. إن الحقيقة ليست تراكمية. إنها من لحظة إلى أخرى. إن ما هو تراكمي، ومتراكم، هو الذاكرة، وعبر الذاكرة لا يمكن أن تصل إلى الحقيقة، ذلك أن الذاكرة تنتمي إلى الزمن، الزمن الماضي، والحاضر، والمستقبل. إن الزمن، الذي هو الاستمرارية، لا يمكن أن يعثر على ما هو أبدي؛ فالأبدية ليست الاستمرارية. فما يستمر ليس الأبدية. الأبدية هي في اللحظة. الأبدية هي الآن. والآن ليس انعكاس الماضي وليس استمرارية المستقبل عبر الحاضر إلى المستقبل.

إن الذهن الراغب بتحول مستقبلي، أو الذي ينظر إلى التحول كغاية نهائية، لا يستطيع أبداً أن يعثر على الحقيقة، ذلك أن الحقيقة شيء يجب أن يأتي من لحظة إلى أخرى، يجب أن يكتشف من جديد؛ لا

يمكن أن يكون هناك اكتشاف عبر التراكم؟ لكي تستطيع أن تكتشف الجديد، الأبدي، في الحاضر، من لحظة إلى أخرى، تحتاج إلى ذهن متيقظ بشكل فائق للعادة، ذهن لا ينشد نتيجة، وإنما الرضا الذي يأتي حين يرى حقيقة ما هو موجود والمزيف في ما هو موجود. إن إدراك تلك الحقيقة هو من لحظة إلى أخرى؛ وذلك الإدراك يُؤخر عبر التعبير اللفظي عن اللحظة.

إن التحول ليس غاية، أو نتيجة. إن النتيجة تتضمن راسباً، علة ومعلولاً. وحيث توجد علّة، ثمة قيد على الفعالية. والفعالية هي نتيجة رغبتك بالتحول. حين ترغب بأن تتحول، فإنك تفكر من زاوية الصيرورة؛ إن ذلك الذي يصير لا يمكن أن يعرف أبداً ذلك الشيء الذي هو الوجود. فالحقيقة هي الوجود من لحظة إلى أخرى، والسعادة التي تتواصل ليست سعادة. إن السعادة هي حالة الوجود تلك التي هي لازمانية. لا يمكن أن تأتي الحالة اللازمانية إلا حين يكون هناك سخط هائل، ليس السخط الذي عثر على قناة يهرب منها وإنما السخط الذي لا مخرج له، لا مهرب له، الذي لم يعد ينشد التحقق. عندئذ فحسب، في تلك الحالة من السخط الهائل، يمكن أن تأتي الحقيقة إلى الوجود. لا يمكن أن تُشترى هذه الحقيقة أو تُباع أو تُكرر؛ لا يمكن التعبير عنها في الكتب. يجب أن يُعثر عليها من لحظة إلى أخرى، في الابتسامة، وفي الدمعة، وتحت الورقة الميتة، وفي الأفكار غير المكبوحة، في امتلاء الحب.

لا يختلف الحب عن الحقيقة. الحب هو تلك الحالة التي تتوقف فيها سيرورة التفكير كما الزمن. حيث يوجد حب يحدث تحول. من دون حب، لا معنى للثورة، لأنها عندئذ تصبح مجرد دمار وخراب والمزيد من البؤس المتصاعد. حيث يوجد حب، تحدث ثورة، لأن الحب تحوّل من لحظة إلى أخرى.

الفهرس

وُلد جودو كريشنامورتي Judo Krishnamurti في الهند في العام ١٨٩٥، وفي سنّ الثالثة عشرة، تبنّته الجمعية الثيوصوفية التي اعتبرته "المعلّم العالمي" القادم الذي كانت تبشّر به. وبرز كريشنامورتي بسرعة كمعلّم قوي، لا يساوم وغير قابل للتصنيف، ولم ترتبط أحاديثه وكتاباته بأي دين، ولم تنتمِ لا إلى الشرق ولا إلى الغرب، وإنما إلى العالم كلّه. رفض بقوة الصورة الرّسولية. وفي العام ١٩٢٩ حلّ المنظمة الضخمة والممولة التي بُنيت حوله، معلناً أن الحقيقة "أرض لا طريق إليها"، ولا يمكن الوصول إليها عبر أي دين رسمي أو فلسفة أو طائفة.

رفض كريشنامورتي فيما تبقى من حياته صورة المعلّم التي حاول الآخرون أن يضفوها عليه. وواصل جذب جمهور كبير في أنحاء العالم لم يدّعِ أية سلطة أو مرجعية، ولم يرغب بأي حواريين. وتحدث دوماً كفرد إلى فرد آخر. وفي جوهر تعاليمه هنالك فكرة أن التغيرات الجوهرية في المجتمع لا يمكن أن تحدث إلا عبر تحويل وعي الفرد. شدّد باستمرار على الحاجة إلى معرفة الذات، وفهم التأثيرات التقسيمية والمقيّدة. وقد أشار كريشنامورتي دوماً إلى الحاجة الملحّة للانفتاح، إلى تلك "الفسحة الواسعة في الدماغ التي توجد فيها طاقة غير قابلة للتصوّر". ويبدا كان تلك الفسحة هي منبع ابداعه والمفتاح لفهم تأثيره المحفّز في عدد واسع ومتنوع من البشر.

حاضر كريشنامورتي في أنحاء العالم كافة إلى أن وافته المنيّة في العام ١٩٨٦ في سنّ التسعين. وقد حُفظت أحاديثه وحواراته ويومياته ورسائله في أكثر من ستين كتاباً، وفي مئات من الأقراص المضغوطة.

وفي هذا الكتاب الذي يُترجم لأوّل مرة إلى اللغة العربية يفكّك أحد أبرز المعلمين الروحيين في القرن العشرين الرموز والروابط المزيّفة في البحث عن الحقيقة النقية والحرية التامة إن الحرية التي يتحدث عنها كريشنامورتي هي التخلص من الاهتمام الأناني بالذات وحالما يحقق البشر حريتهم الأولى يتخلّصون من الاستحواذات المجتمعية المدمرة. في كتاب الحرية الأولى والأخيرة يناقش كريشنامورتي موضوعات متنوعة تشمل المعاناة، والخوف، والثرثرة والجنس، ولكنه يعود باستمرار إلى مفهومه الجوهري في الحرية وهنا يصبح بحث كريشنامورتي هو بحث القارئ، مما يحدث تأثيراً هائلاً.

